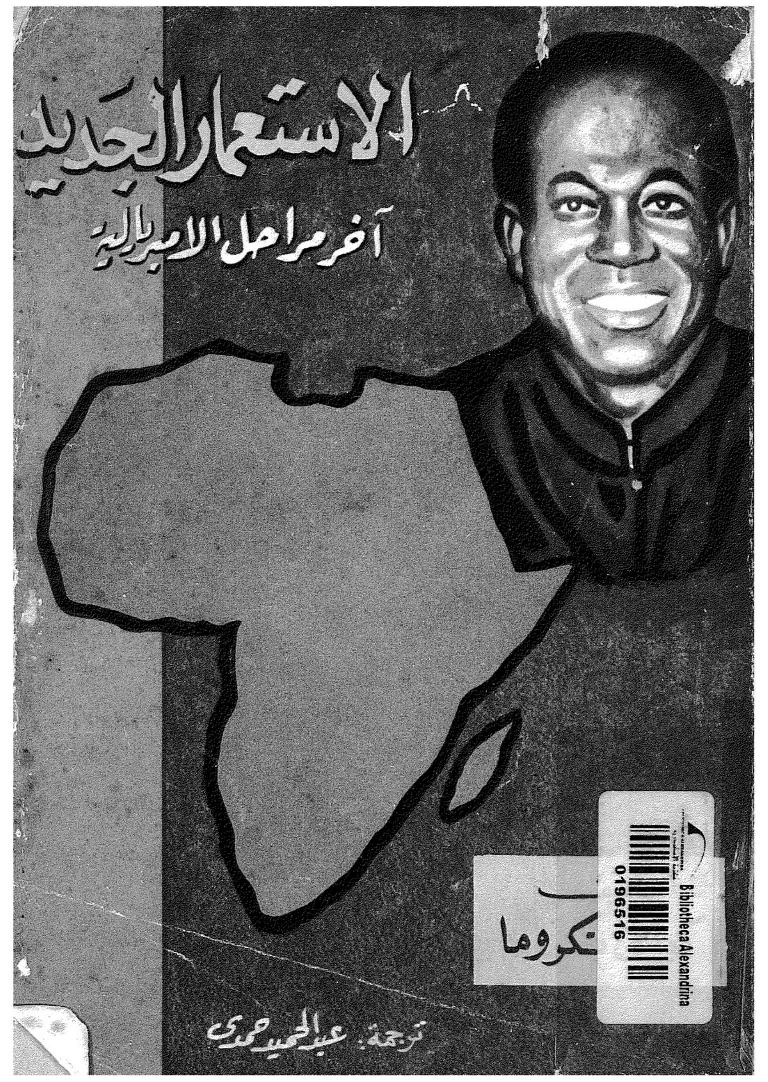

الاستعمار الجديد
آخر مراحل الامبريالية
كروما
ترجمة: عبد الحميد حمدي
Bibliotheca Alexandrina
0196516

اهداءات ١٩٩٩

محمود محمد علي العيسوي

الإسكندرية

الاستعمار الجديد

آخر مراحل الامبريالية

تأليف : كوامى نكروما
ترجمة : عبد الحميد حمدى

١٩٦٦

مقدمة

يمثل الاستعمار الجديد اليوم الامبريالية فى آخر مراحلها وربما فى أخطر مراحلها • وفى الماضى كان من الممكن تحويل بلاد فرض عليها نظام الاستعمار الجديد الى مستعمرة ـ وتعتبر مصر فى القرن التاسع عشر مثلا لذلك • أما اليوم فلم تعد هذه العملية معقولة•وان كان لم يقض بعد قضاء تاما على الاستعمار القديم• انه ما زال يشكل مشكلة أفريقية وان كان فى طريقه الى الانسحاب من كل مكان فاذا ما استقلت بلد من البلاد استقلالا اسميا لم يعد ممكنا ـ كما كان الحال فى القرن الماضى ـ قلب هذه العملية . وقد تستمر المستعمرات القائمة على حالها ولكن لم يعد يمكن خلق مستعمرات جديدة • وقد حل الاستعمار الجديد محل الاستعمار القديم كأداة امبريالية •

ان جوهر الاستعمار الجديد هو استقلال نظرى للبلاد التى طبق نظامه فيها وسيادة دولية بكل مظاهرها • أما نظامها الاقتصادى ودفتها السياسية فتوجه من الخارج •

وقد تأخذ طرق هذا التوجيه وأساليبه أشكال متنوعة • فنجد مثلا فى الحالات المتطرفة أن قوات الدولة الامبريالية تقوم بحماية الدولة التى فرض عليها نظام الاستعمار الجديد كما تشرف على حكومتها • وكثيرا ما يكون هذا الاشراف الاستعمارى الجديد بوسائل اقتصادية أو مالية • وقد تجبر الدولة الخاضعة لنظام الاستعمار الجديد على أن تستورد المنتجات المصنوعة فى الدولة الامبريالية دون منتجات الدول المنافسة الأخرى • وقد يكون الاشراف على سياسة الحكومة فى صورة معونات مالية للاسهام فى تكاليف ادارة الدولة أو فى

صورة تزويد البلاد بموظفين حكوميين يشغلون مناصب يستطيعون عن طريقها أن يملوا سياستهم • كما قد يكون فى صورة اشراف مالى بواسطة فرض نظام مصرفى من جانب الدولة الامبريالية •

وحيث يوجد الاستعمار الجديد نجد أن السلطة المشرفة غالبا ما تكون الدولة التى كانت تحكم هذه البلاد • ولكن لم تكن هذه هى القاعدة دائماً • فمثلا فى حالة فيتنام الجنوبية كانت القوة الامبريالية السابقة هى فرنسا ثم انتقل الاستعمار الجديد الى الولايات المتحدة • وقد يحدث أن يمارس هذا الاشراف اتحاد من الشركات المالية لا نستطيع أن نتبين فيه دولة معينة . وتمثل الكونغو هذا النوع الأخير حيث تتحكم فيها بعض المشروعات المالية الدولية العظمى •

وفى الاستعمار الجديد يستخدم رأس المال الاجنبى فى استغلال البلاد المتخلفة أكثر مما يستخدم للنهوض بها • ان الاستثمار فى ظل الاستعمار الجديد يعمل على توسيع الهوة ـ لا تضييقها ـ بين الدول الغنية والدول الفقيرة •

ولا يستهدف النضال ضد الاستعمار الجديد منع رأس مال الدول المتقدمة من أن يستثمر فى البلاد المتخلفة • انه يستهدف منع سلطة الدولة المالية من أن تعمل على أن تزيد من فقر الدولة المتخلفة •

وأساس عدم الانحياز ـ الذى تمارسه غانا وبلاد أخرى كثيرة ـ التعاون مع كل الدول سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية أو كان لها اقتصاد مختلط • وتسمح مثل هذه السياسة باستثمارات الدول الرأسمالية ، ولكن يجب أن تتم هذه الاستثمارات وفقا لخطة قومية ترسمها الدولة غير المنحازة مستهدفة مصلحتها هى • وليست العبرة هى الربح الذى يعود على المستثمر الأجنبى نظير استثماره . والأفضل له أن يستثمر أمواله فى دولة غير منحازة ، من أن يستثمره فى دولة خاضعة للاستعمار الجديد • ان الدولة الأخيرة هى مصدر تهديد للسلام

العالمى • فان اطراد انتاج الأسلحة النووية قد جعل توازن القوى القديم غير ذى موضوع • هذا التوازن الذى كان يعول على الموافقة النهائية عند قيام حرب • ان التأكد من حدوث الدمار الشامل لكلا الطرفين يمنع كل معسكر من معسكرى الدول العظمى من تهديد المعسكر الآخر باحتمال نشوب حرب عالمية ، وكانت النتيجة أن النزاع العسكرى اقتصر على الحرب المحدودة . وهنا نجد أن الاستعمار الجديد هو مرتع خصيب لهذا النوع من الحروب •

ويمكن بطبيعة الحال لمثل هذه الحروب أن تنشب فى البلاد التى لم يكن يسيطر عليها الاستعمار الجديد • ويكون الغرض من ذلك هو فرض نظام استعمارى جديد فى بلد صغير كان مستقلا • وان ضرر الاستعمار الجديد هو أنه يقف حجر عثرة فى سبيل تكوين الوحدات الكبرى التى من شأنها أن تجعل نشوب الحروب المحدودة مستحيلا • ولنضرب لذلك مثلا : فلو كانت أفريقيا موحدة لما أمكن لأى كتلة من كتل الدول العظمى أن تخضعها عن طريق الحرب المحدودة لأن طبيعة هذه الحرب المحدودة تجعل مكاسبها محدودة أيضا . ان التوفيق فى الوصول الى نتائج حاسمة عن طريق هذه الحروب لا يتم الا فى حالة الدول الصغيرة اذ يتم الانتصار بواسطة انزال بضعة آلاف من رجال الأسطول أو باستخدام بعض الجنود المرتزقة وتمويلهم •

ولكن اقتصار العمل العسكرى على الحروب المحدودة لا يعتبر ضمانا للسلام العالمى ، بل وقد تكون هذه الحروب المحدودة عاملا يدفع الدول العظمى فى النهاية الى التورط فى حرب عالمية مهما كان تصميم هذه الدول على تجنبها •

ان الحرب المحدودة ـ متى بدأت ـ تأخذ دفعا خاصا بها ، وتشكل الحرب فى فيتنام الجنوبية مثلا لذلك • انها تنتشر رغم رغبة الدول العظمى فى جعلها محدودة • وحتى اذا منعنا هذه الحرب من أن تؤدى الى صراع عالمى فان ازدياد عدد هذه الحروب المحدودة لن يكون له فى آخر الأمر الا نهاية واحدة : حرب عالمية وما ينتج عنها من صراع نووى مريع •

ويعتبر الاستعمار الجديد أسوأ ألوان الامبريالية فهو يعنى لمن يمارسونه سلطة دون تحمل للمسئولية ، وهو يعنى لمن يقاسون منه استغلالا دون تعويض ففى أيام الاستعمار القديم كان على الدولة الامبريالية أن تبرر أعمالها فى الخارج أمام شعبها . أما فى المستعمرة نفسهـا فقد كان من يخدمون الحـاكم الامبريالى يتطلعون الى أن تقوم الدولة الامبريالية بحمايتهم ضد أى عدوان من خصومهم . أما فى حالة الاستعمار الجديد فلا يوجد أى من الوضعين ٠

وفوق ذلك فان الاستعمار الجديد ـ مثله فى ذلك مثل الاستعمار القديم ـ انما يؤجل مواجهة العواقب الاجتماعية التى كان على قطاع العـــالم المتقدم أن يواجهها ، قبل أن يمكنه ازالة خطر حرب عالمية أو حل مشكلة الفقر العالمية ٠

ان الاستعمار الجديد ـ مثل الاستعمار القديم ـ هو محاولة لتصدير الصراع الاجتماعى الموجود فى البلاد الرأسمالية ٠ ان النجاح المؤقت لهذه السياسة يمكن أن نراه فى توسيع الهوة التى تفصل بين الدول الغنية والدول الفقيرة ٠ ولكن التناقض الذى يخلقه الاستعمار الجديد وأنواع الصراع التى يسببها تجعلنـــا متأكدين من أنه لا يستطيع أن يستمر كسياسة عالمية ثابتة ٠ أما كيف نضع حدا له فهذه مشكلة يجدر دراستها بواسطة الدول المتقدمة لأنهـــا هى التى سوف تشعر أكثر من غيرها بوطأة الفشل فى النهاية ٠ وكلما طال استمرارها كلمـــا زاد تأكدنا من أن حتمية انهيارها ستدمر فى النهاية النظام الاجتماعى الذى وضع كأساس لها ٠

ويمكننا أن نلخص السبب فى تطور هذا الاستعمـار الجديد فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية ٠ كانت المشكلة التى واجهت الدول الغنية فى نهاية الحرب العالمية الثانية هى اســتحالة عودة الموقف الأول الذى كان قائما قبل الحرب ، وهو وجود هوة سحيقة بين القلة الغنية والكثرة الفقيرة . وبغض النظر عن الحزب السياسى الذى كان يتولى الحكم فقد كان الضــغط الداخلى فى الدول الغنية من الشدة بحيث لم يعد ممكنا لدولة رأسمالية بعد الحرب أن تبقى الا اذا أصبحت

دولة تعمل للصالح العام • قد يكون هناك تفاوت فى درجة الامتيازات الاجتماعية التى تعطى للعمال الزراعيين والعمال الصناعيين ، ولكن كان من المستحيل العودة الى نظام البطالة الواسعة النطاق أو الى مستوى المعيشة المنخفض الذى كان سائدا قبل الحرب •

فمنذ نهاية القرن التاسع عشر كان ينظر الى المستعمرات على أنهـا مورد الثروة التى تستخدم لتقليل الصراع الطبقى فى الدول الراسمالية وكما سوف نبين بعد ذلك قد أصابت هذه السياسة بعض النجاح • ولكنها فشلت فى النهاية لأن الدول الرأسمالية كانت منظمة قبل الحرب داخليا بحيث كان أغلب الأرباح الواردة من المستعمرات يذهب الى جيوب طبقة الرأسماليين دون العمال • وبدلا من أن تحقق هذه السياسة الهدف المنشود فانها أدت الى اتجاه أحزاب الطبقة العاملة نحو ربط مصالحها بمصالح الشعوب المستعمرة وبهذه الطريقة وجدت الدول الاستعمارية نفسها تحارب فى جبهتين جبهة داخلية تضم عمالها وجبهة خارجية تتألف من قوات التحرر من نير الاستعمار •

وقد افتتحت فترة ما بعد الحرب سياسة استعمارية مختلفة كل الاختلاف . فبذلت محاولة لتحويل المكاسب الاستعمارية من جيوب الطبقة الثرية الى الدولة نفسها • وسوف نرى من الأمثلة التى سوف نوردها فيما بعد كانت هذه هى الوسيلة التى اتبعها زعماء طبقة العمال الذين كانوا ينظرون الى الشعوب المستعمرة على أنهم حلفاؤهم الطبيعيون ضد أعدائهم الرأسماليين فى الداخل •

وساد الاعتقاد فى بادىء الأمر أن هذا الهدف يمكن أن يتحقق عن طريق الاحتفاظ بالنظام الاستعمارى الذى كان موجودا قبل الحرب • ولكن أثبتت التجربة أن هذا سوف يؤدى الى كارثة وسوف يثير حروبا استعمارية من شانها أن تمنع استمرار نظام الحكم الاستعمارى وقد أدركت بريطانيا ذلك فى وقت مبكر ، وتبدو سلامة حكم البريطانيين واضحة من تجربة فشل الاستعمار الفرنسى فى الشرق الأقصى وفى الجزائر ومن فشل الهولنديين فى الاحتفاظ بأى مستعمرة من مستعمرات امبراطوريتهم السابقة •

ولذلك اتبع نظام الاستعمار الجديد فخدم الدول المتقدمة خدمة جليلة • ولن تكون نتائجه وخيمة الا بعد فترة طويلة •

ويقوم الاستعمار الجديد على أساس تفتيت البلاد المستعمرة الواسعة الى عدد من الدويلات الصغيرة التى لا تستطيع النهوض بنفسها ، بل يجب أن تعتمد على الدولة المستعمرة لتتولى الدفاع عنها ، بل ولتحتفظ لها بأمنها الداخلى • وكما كان الحال أيام الاستعمار القديم تستمر نظمها المالية والاقتصادية مرتبطة بنظم الحاكم المستعمر السابق •

وقد يبدو من النظرة الأولى أن هذا المشروع يعود بالمزايا على الدول المتقدمة وأنه يمكن الحصول على كل مكاسب الاستعمار الجديد اذا أمكن قيام نظام الاستعمار الجديد فى نسبه معقولة من الدويلات ، ولكن ليس من الضرورى قيامه فى كل الدويلات • فما لم تتحد هذه الدويلات الصغيرة فسوف تجد نفسها مجبرة على أن تبيع موادها الخام الى الدول المتقدمة ثم تشترى السلع المصنعة من هذه الدول الأخيرة بالثمن الذى تحدده لها • ولما كان فى مقدور الاستعمار الجديد أن يحول بين الظروف السياسية والاقتصادية وبين تحقيق التنمية المناسبة فان الدول النامية سواء كانت خاضعة للنظام الاستعمارى الجديد — أو لم تكن — غير قادرة على ايجاد السوق الذى يعين على حركة التصنيع فيها • وفى نفس الوقت ستعوزها القوة المالية التى تجعلها قادرة على أن تفرض على الدول المتقدمة شراء موادها الخام بأسعار معقولة •

وفى البلاد التى يسيطر عليها الاستعمار الجديد يمكن بعد أن تنازل الاستعمار القديم — نظريا — عن الاشراف السياسى ، تضحيه الحكومة المحلية اذا حدثت ثورة واحلال أخرى تساويها خضوعا محلها • ومن جهة أخرى ففى أى قارة يوجد فيها الاستعمار الجديد على نطاق واسع تقوم نفس الضغوط الاجتماعية التى تسبب الثورات فى بلاد هذا الاستعمار بغرض تأثيرها على الدول التى رفضت قبول هذا النظام ، وعلى ذلك يكون فى يد البلاد الاستعمارية سلاح تشهره فى وجه خصومها اذا ما تحدوا بنجاح هذا النظام •

هذه الميزات التى تبدو واضحة لأول وهلة تصبح بعد تمحيصهـا وهمية لأنها لا تأخذ فى الاعتبار حقائق العالم اليوم ٠

ثم ان الاستعمار الجديد ليزيد من المنافسة التى كانت موجودة بين الدول العظمى والتى كان يثيرها الاستعمار القديم ٠ فمهما كانت السلطة التى فى يد حكومة المستعمرة فلها بحكم استقلالها الاسمى بعض النفوذ ٠ فهى وان كانت غير قادرة على الوجود دون سيد مستعمر الا أن فى مقدورها أن تغير هذا السيد ٠

ان الدولة المثالية للاستعمار الجديد هى الدولة الخاضعة لمصالح المستعمر ، ولكن وجود الدول الاشتراكية يجعل من المستحيل فرض نظام الاستعمار الجديد بحذافيره ٠ ان وجود نظام آخر هو فى حد ذاته تحد لنظام الاسـتعمار الجديد ٠ أن التحذير من أخطار النظام الشـيوعى هو سـلاح ذو حدين لأنه يذكر أولئك الذين يعيشون فى ظله ٠ وفى الحقيقة ان الاستعمار الجديد ليقع فريسة لمتناقضاته فحتى يبدو الاستعمار الجديد جذابا فى عين أهل المستعمرة يجب أن يظهر بمظهر النظام الذى يرفع من مستوى معيشتهم ، فكيف يتم ذلك وهـدف الاسـتعمار الجديد الاقتصادى هو الهبوط بمستوى المعيشة لمصلحة المستعمر ٠ واذا فهمنا هذا التناقض أمكننا أن نفسر السر فى فشل برامج المعونة الكثيرة ٠

فأول كل شىء يستمد حكام المستعمرات (ذات النظام الجديد) سـلطتهم ـ لا من رغبة الشعب فى أن يحكموه ـ بل من التأييد الذى يمنحه لهم أسيادهم المستعمرون ٠ ولهذا السبب نجد أنه لا يهمهم فى كثير أن ينهضوا بالتعليم أو أن يقووا روح المساومة فى نفوس العمال الذين تستخدمهم الشركات الاجنبية ، أو أن يتخذوا أى خطوات من شأنها أن تتحدى النمط الاستعمارى للتجارة والصـناعة الذى يستهدف المستعمر الابقاء عليه ٠ وعلى ذلك تكون المعونة المقدمة الى المستعمرة عبارة عن قرض يدفعه السيد المستعمر ثم يستعيده مرة أخرى على شكل أرباح طائلة ٠

ثانيـا : ان مجـال المعونة هو المجـال الذى تتنافس فيه الدول المتقدمة فطالما أن الاستعمار الجديد موجود فهناك مجالات المصالح ومجالات النفوذ وهـذا بدوره يجعل المعونة المقدمة من جهات كثيرة ـ وهى المعونة الحقيقيـة المجدية ـ مستحيلة ٠

ومتى بدأت المعونة المتعددة الأطراف وجد سادة الاستعمار الجديد أنهـم يواجهون عداوة المصالح المكتسبة فى بلادهم ٠ فرجال الصناعة يعترضون بطبيعة الحال على أى محاولة يقصد بها رفع أسعار المواد الخام التى يحصلون عليهـا من المستعمرة ، كمـا يعترضون على فكرة انشـاء صناعات قد تقف من صادراتهم موقف المنافسة ٠ وحتى التعليم يقفون منه موقف الريبة خشية أن يسفر عن حركة طلابية ، وفعلا حدث فى كثير من البلاد المتخلفة أن كان الطلاب طلائع القتـال ضد الاستعمار الجديد ٠

وفى النهاية يسفر الموقف عن الاعتقاد بأن أضمن نوع من المعـونة يمكن للاستعمار تقديمه هو المعونة العسكرية ٠

واذا وصلت المستعمرة الجديدة الى مثل هذه الحالة من الفوضى الاقتصادية والبؤس نشبت الثورة وهنا لا يتوانى المستعمر عن اظهار نوبة من الكرم بشرط أن تنفق كل الاعتمادات الممنوحة فى أغراض حربية صرفة ٠

وتعتبر المعونة العسكرية المرحـلة الأخيرة للاسـتعمار الجديد ، وان أثرهـا لمدمر ٠ فآجلا أو عاجلا تنتقل الأسلحة المقدمة الى أيدى خصوم الاستعمار الجديد ثم تزيد الحرب من بؤس الشعب الاجتماعى هذا البؤس الذى كان سببا فى نشوب هذه الحرب ٠

ان الاستعمار الجديد هو حجر الطاحون المعلق برقاب الدول المتقـدمة التى تمارسه ٠ وما لم تقم هذه الدول بالتخلص منه فانه سيكون سببا فى غرقها ٠ وقديما كان فى امكان هذه الدول المتقدمة أن تهرب من نتائج هذا الاستعمار الجديد

وعواقبه ، بأن تحوله الىاستعمار مباشر ، ولكن أصبح مثل هذا الحل غير ميسور ، كما أوضحه مستر أوين لاتيمور ـ الخبير الأمريكى فى شئون الشرق الأقصى ومستشار جنرال تشيانج كاى شيك فى فترة ما بعد الحرب • انه يقول ما يأتى :

« لقد أظهرت آسيا التى ظلت خاضعة لغزاتها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مقدرة مذهلة فى مقاومتها لكل عتاد الجيوش الحديثة المزودة بالطائرات والدبابات والسيارات والمدفعية •

« أما فى الماضى فقد كان فى استطاعة قوات قليلة أن تغزو مناطق شاسعة • وكان الدخل الناتج من أعمال النهب ثم من الضرائب المباشرة وأخيرا من التجارة ومن استثمار رؤوس الاموال ومن الاستثمارات طويلة المدى يغطى نفقاتالعمليات العسكرية • ويمثل هذا الحساب اغراء عظيما للدول القوية ، ولكن سرعان ما يجابههم حساب من نوع آخر مما يثبط همتهم » •

ولذلك فهذا الكتاب هو محاولة لدراسة الاستعمار الجديد لا فى المجال الأفريقى ولا فى علاقته بالوحدة الافريقية فحسب بل فىالمجال العالمى . فالاستعمار الجديد ليس موضوع الدول الافريقية وحدها • فقبل أن يمارس على نطاق واسع فى أفريقيا كان نظاما قائما فى جهات أخرى فى العالم • ولم يثبت قط نجاحه فى أى مكان فى رفع مستوى المعيشة أو فى منفعة الشعوب التى طبق فيها •

وقد سبق أن تنبأ ماركس بأن اتساع الهوة التى تفصل بين ثروة الطبقات الغنية وبين العمال الذين تستخدمهم سوف يسفر فى النهاية عن صراع يقضى على الرأسمالية فى كل دولة من الدول الرأسمالية •

لقد انتقل هذا الصراع بين الأغنياء والفقراء الى المجال الدولى ولم نعد فى حاجة الى أن نستشير الكتاب الماركسيين فى هذا الموضوع • لقد أوضحتالموضوع أمهات الصحف فى البلاد الرأسمالية • ولنأخذ مثلا المقتطفات الأتية من صحيفة « وول ستريت » وهى أفضل صحيفة يمكن أن تعكس التفكير الرأسمالى الامريكى

ففى عددها الصادر فى ١٢ مايو سنة ١٩٦٥ وتحت عنوان : « حالة بؤس الشعوب الفقيرة » قامت الصحيفة أولا بعمل تحليل عن البــلاد المعتبرة بلادا صناعية والبلاد المعتبرة بلادا متخلفة • وقالت الصحيفة انه بالرغم من عدم وجود طريقة محددة لعمل هذا التقسيم الا أنها أشارت الى ما يأتى :

« يقول مسئول فى صندوق النقــد الدولى أن هذا الخط الفــاصل أصبح واضحا • فالدول الصناعية هى الولايات المتحدة ، المملكة المتحدة ، معظم دول غرب أوروبا ، كندا ، اليابان • وهناك مجموعة أخرى من الدول المتقدمة تضم البلاد الاوروبية مثل فنلنده واليونان وايرلنده ويضاف اليها استراليا ونيوزيلنده وجنوب أفريقيا • أما الدول المتخلفة فى نظر مسئول صندوق النقد الدولى فهى دول أمريكا اللاتينية وكل الشرق الاوسط تقريبا والجزء غير الشيوعى من آسيا ثم أفريقيا •

بمعنى آخر ان البلاد المتخلفة هى البلاد الواقعة فى منطقة الاستعمار الجديد .

وبعد أن استشهدت الصحيفة بالارقام لتدعيم وجهة نظرها علقت على الموقف بقولها :

« لقد أضافت الدول الصناعية ما يقرب من ٢ بليون دولارا الى احتياطيها الذى يقرب من ٥٢ بليون دولارا • وفى نفس الوقت لم يكتف احتياطى الدول المتخلفة بأن توقف عن الارتفاع بل انخفض بمقدار ٢٠٠ مليون دولارا • ومعنى مثل هذه الاحصائيات واضح : ان الهوة الاقتصادية لتتسع بسرعة بين طبقــة البورجوازية الغنية ، بين نخبة غنية جدا من شمال الاطلنطى وبين غيرهم وليس هذا بالميراث المريح الذى نتركه لأطفالنا » •

« وكلمة غيرهم » تشمل تقريبا ثلثى سكان الــكرة الأرضية منتشرين فى حوالى ١٠٠ دولة » •

وليست هذه بالمشكلة الجديدة • ففى الفقرة الاولى من كتاب « الحرب على الفقر العالمى » الذى كتبه فى عام ١٩٥٣ زعيم العمال البريطانى ـ مستر هارولد ويلسون ـ لخص المشكلة العالمية الكبرى كما كان يراها :

« ان المشكلة الهامة العاجلة التى تواجه السواد الاعظم من البشرية ليست الحرب ، ولا الشيوعية ، ولا نفقات المعيشة ولا الضرائب • انها مشكلة الجوع • هناك ما يزيد على ١٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ شخصا (أى ثلثى عدد سكان العالم) يعيشون فى جوع شديد توضحه احصاءات أمراض التغذية المتفشية بينهم • ان هذا الجوع هو نتيجة للفقر وسبب له » •

كما أن عواقبه مفهومة • ويقوم مراسل صحيفة وول ستريت الذى سبق أن اقتبسنا فقرة منها :

« ••• وينظر كثير من الدبلوماسيين وكثير من الاقتصاديين الى هذه المشكلة على أنها مشكلة سياسية شديدة الخطورة . فما لم ينعكس هذا التيار فانه يخشى أن تواجه الولايات المتحدة وغيرها من الدول الصناعية حربا طبقية دولية »

وان ما ينقصنا الآن هو المقترحات الايجابية لمعالجة الموقف • وكل ما فعله مراسل صحيفة « وول ستريت » هو أنه أوضح أن الطرق التقليدية المقترحة لمعالجة الأضرار انما تزيد الموقف سوءا •

وقد قيل أن واجب الدول المتقدمة أن تعاون الدول الفقيرة ، وأن واجب العالم كله يقتضيه أن يتحول الى دول تعمل للصالح العام ، ولكن الامل فى تحقيق هذا الهدف ضعيف • فان ما يسمونه برامج المعونة الممنوحة لمعاونة الاقتصاد المتخلف يمثل ـ طبقا لاحصائيات الامم المتحدة ـ نصف واحد فى المائة من جملة دخول الدول الصناعية ، وأما من جهة احتمال زيادة هذه المعونة فنظرتنا الى ذلك نظرة تشاؤم •

« وهناك مدرسة فكرية كبرى تعتقد أن مشروعات « مقاسمة الثروة » هى مشروعاتها مثالية وغير عملية • وتقول هذه المدرسة لتبرر اعتقادها ، بأن المناخ وانعدام المهارات الانسانية ونقص الموارد الطبيعية وغيرها تعوق التقدم الاقتصادى فى هذه البلاد وأن المسألة ليست مسألة مال • كما تقول هذه المدرسة كذلك بأن هذه البلاد يعوزها الاشخاص المدربون أو الذين لديهم الرغبة الصادقة فى استغلال هذه المعونة استغلالا فعالا • وطبقا لوجهة النظر هذه يكون مثل هذه المشروعات مثل من يصب النقود فى بئر لا قرار له ، ان هذه المشروعات تضعف من قوة الدول التى تمنح المعونة وفى نفس الوقت لا تقضى على ما يقاسى منه من تتلقى المعونة » •

ان سخافة هذه الفكرة لتبدو واضحة اذا ذكرنا أن كل سبب من الأسباب سالفة الذكر كان قد مر فى تجربة البلاد المتقدمة فى المدة السابقة للوقت الذى أصبحت فيه متقدمة • ولكن هناك وجهة نظر أخرى حقيقية • لا يمكن للبلاد المتخلفة أن تصبح بلادا متقدمة بواسطة حسن نية الدول المتقدمة وكرمها • انها تستطيع أن تصبح بلادا متقدمة اذا ما ناضلت ضد القوى الخارجية التى تجد أن مصلحتها مرتبطة ببقائها متخلفة •

وان القوة الرئيسية من بين هذه القوى فى هذه المرحلة من التاريخ هى الاستعمار الجديد •

وانى أزمع أن أقوم بتحليل الاستعمار الجديد • أولا بدراسة حالة القارة الأفريقية وكيف يعمل الاستعمار الجديد بطرق مصطنعة على أن يبقيها فقيرة • وبعد ذلك أعتزم أن أوضح كيف أن الوحدة الأفريقية العملية ـ التى لا يمكن أن تتحقق الا بعد هزيمة الاستعمار الجديد ـ هى التى تستطيع رفع مستوى المعيشة ، ومن هذه النقطة سأدرس الاستعمار الجديد بصفة عامة أولا من الناحية التاريخية ثم أقوم بدراسة الاحتكارات الدولية الكبرى التى تمسك بخناق القطاعات المختلفة لتضمن بقاء هذا النظام ـ نظام الاستعمار •

الفصل الأول

موارد القارة الإفريقية

ان القارة الافريقية مجموعة من المتناقضات التي توضح الاستعمار الجديد وتلقى الأضواء عليه • ان أرضها غنية ولكن منتجاتها التي تأتي من فوق تربتها ومن تحتها تعمل على اثراء – لا الافريقيين أنفسهم – بل جماعات وأفراد آخرين يعملون على أن تظل القارة في حالة فقر . فبينما نجد أن عدد سكانها يبلغون ٢٨٠ مليون نسمة تقريبا أي مايقرب من ٨٪ من سكان العالم نرى أن انتاجها لايزيد على ٢٪ من جملة انتاج العالم • ويوضح المسح الحالي لموارد القارة الطبيعية – وان كان غير دقيق – أن هذه القارة تحوى ثروة عظيمة لم تستغل بعد • ففيها كمية من الحديد ضعف ما هو موجود في أمريكا وثلثا ما هو موجود في الاتحاد السوفييتي، على أساس أنها تبلغ بليونين من الأطنان المترية • بينما تبلغ كمية احتياطي الفحم الموجود في أرضها ما يكفي للاستغلال مدة ثلاثمائة عام . وتكتشف آبار البترول الجديدة في جميع أنحاء القارة • ورغم ذلك فان هذا الانتاج الضخم من المعادن الخام لم يمس بعد سوى الأطراف •

وتملك القارة الافريقية أكثر من ٤٠٪ من قوى العالم المائية وهو نصيب يفوق نصيب أي قارة أخرى • ولكن لم يستغل من هذه القوى الا ٥٪ أو أقل • واذا أخذنا في الاعتبار الأراضي الشاسعة التي تشغلها الصحراء الكبرى فلا يزال بها أراض قابلة للزراعة وللتحويل الى مراع أكثر مما هو موجود في الولايات

المتحدة الأمريكية وفى الاتحاد السوفييتى . انها تزيد حتى على ما هو موجود فى آسيا . كما أن مساحات الغابات فى القارة الافريقية ضعف مساحات الغابات فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ولو استغلت موارد القارة الافريقية المتعددة فى النهوض بها لأصبحت من أحدث قارات العالم . ولكن الواقع أن مواردها كانت تستغل وما زالت تستغل للنهوض بمصائح الدول الأخرى فيما وراء البحار . وفيما يلى ما زودت به القارة الأفريقية بريطانيا فى عام ١٩٥٧ من مواد أساسية استخدمتها فى صناعاتها :

المـواد	النسبة
الصفيح الخام	١٩ ٪
الحديد الخام	٢٩ ٪
المنجنيز	٨٠ ٪
النحاس الأحمر	٤٦ ٪
البوكسيت	٤٧ ٪
الكروم الخام	٥٠ ٪
الاسبستوس	٦٦ ٪
الكوبالت	٨٢ ٪
الأنتيمون	٩١ ٪

وقد استوردت فرنسا من القارة الافريقية المواد الآتية :

المواد	النسبة
القطن	٣٢ ٪
الحديد الخام	٣٦ ٪
الزنك الخام	٥٨ ٪
الرصاص	٨٥ ٪
الفوسفات	١٠٠ ٪

أما ألمانيا فقد استوردت المواد الآتية :

المواد	النسبة
الواردات النحاسية	٨ ٪
الحديد الخام	١٠ ٪
الرصاص الخام	١٢ ٪
المنجنيز الخام	٢٠ ٪
الكروم الخام	٢٢ ٪
الفسفور	٧١ ٪

ورغم كل ذلك فلا يوجد فيأى دولة من دول أفريقيا الجديدة صناعة متكاملة واحدة تعتمد على أحد الموارد السالفة الذكر ٠

وبالرغم من أن القارة الافريقية تمتلك ٥٣ معدنا من أهم معـادن الصناعة الأساسية فى العالم الا أنها تأتى فى الذيل من حيث التقدم الصناعى ٠

ويمكن من نظرة واحدة الى الجدول التالى أن نرى كيفأنها تشتغل بالمنتجات الأولية بالمقارنة بالدولة ذات أكبر انتاج ، ألا وهى الولايات المتحدة :

الدولة	العام	الزراعة الغابات صيد الأسماك	المناجم	الصناعة	المبانى	النقل المواصلات	التجارة	الادارة العامة الدفاع	أخرى
الجزائر	١٩٥٨	٢١	٣	١١	٦	٦	١٩	٢٢	١٢
الكونغو (ل)	١٩٥٨	٢٦	١٦	١٢	٦	٩	٧	١٤	١٦
كينيا	١٩٥٨	٤٢	١	١٠	٤	٩	١٣	١٠	١١
المغرب	١٩٥٨	٣٤	٦	١٨	٤	٠٠	١٥	١٠	١٣
نيجيريا	١٩٥٦	٦٣	١	٢	١١	١	٤	٦	٣
روديسيا ونياسالاند	١٩٥٨	٢٠	١٤	١٩	٨	٩	١٠	٤	٢٤
تنجانيقا	١٩٥٨	٥٩	٤	٧	٦	٧	٥	٧	٥
جنوب أفريقيا	١٩٥٨	١٢	١٣	٢	٥	٨	١٢	١٠	٢٠
الولايات المتحدة	١٩٥٩	٤	١	٣٠	٥	٨	١٧	١٣	٢٢

(هذا البيان مأخوذ من كتاب الاحصاء الذى أصدرته الامم المتحدة ١٩٦٠)
(هذه الأرقام نسب مئوية)

ويمكننا أن نتبين من الاحصاء السابق أن الزراعة والغابات وصيد الأسماك يحتل فى أمريكا ٤ ٪ فقط من جملة النشاط القومى وتحتل المناجم ١ ٪ فقط • ومن جهة أخرى نجد أن الصناعة والتجارة تحتلان ٤٧ ٪ • أما فى البلاد الأفريقية المبينة فى الجدول السابق وهى ـ باستثناء نيجيريا التى بها جماعات كبيرة من المستوطنين وعلى ذلك تكون أكثر البلاد استغلالا ـ فنجد أن الزراعة تحتل المكان البارز • أما الصناعة والتجارة فهما متخلفتان • وحتى فى جنوب أفريقيا ـ وهى أكبر قطاع مصنع فى القارة الأفريقية ـ فنجد أن الزراعة تبلغ ١٢ ٪ والمناجم ١٣ ٪ وهى مساوية لنسبة الصناعة والبناء معا •

ورغم ذلك فقد ثبت أن المناجم هى أكثر المشروعات ربحا بالنسبة لاستثمارات رأس المال الأجنبى فى أفريقيا • أما فوائدها بالنسبة للأفريقيين فلا تساوى فوائدها بالنسبة للأجانب • ففى عدد كبير من البلاد الافريقية نجد أن انتاج المناجم يعود على السكان الأفريقيين بواقع دولارين لكل فرد من السكان • ويقول يوروب أوتريميه (فرنسى) : « ومن المؤكد أن انتاج المناجم الذى يعود على الفرد بمبلغ دولار أو دولارين لا يمكن أن يؤثر على مستوى المعيشة • » وبعد أن أكد أنه بالمقارنة بمناطق الاستثمار الاخرى نرى أن صناعة التعدين ترفع من مستوى المعيشة مما جعل الكاتب يقول أن مناطق المناجم تعتبر كجزر محظوظة تقع وسط اقتصاد شامل فقير •

وسبب ذلك هو عدم وجود الصناعة وذلك نتيجة أن انتاج المناجم موجه أساسا نحو التصدير فى أشكاله الخام • أنه يغذى صناعات أوروبا وأمريكا ومصانعهما الشىء الذى يزيد من فقر البلاد المنتجة •

ويقول يوروب أوتريميه أيضا أن حوالى ٥٠٪ من انتاج المناجم الافريقية يبقى فى البلاد المنتجة على هيئة أجور • ولكن أى نظرة الى حسابات شركات التعدين تفند هذا الرأى • فزيادة الايرادات عن المصروفات تؤكد أن الأجور التى يتلقاها العمال لا يمكن أن تصل الى هذه النسبة المغالى فيها أى ٥٠٪ • ان المبالغ

الطائلة التى تمنح كمرتبات للموظفين الأوروبيين سواء منهم الاداريون أو العمال المهرة ـ وبعضها يحول الى بلادهم الأوروبية ـ تعادل جملة المبالغ المعطاة الى العمال الافريقيين • ولا يدخل فى هذا الاموال الطائلة التى تزيد من دخول المديرين الأثرياء الذين يسكنون فى عواصم بلاد الغرب •

كذلك تتجاهل الملاحظة السابقة حقيقة هامة • وهى أنه مع ضعف أجور العمال فان جزءا منها ينفق فى شراء سلع مصنوعة ومستوردة من الخارج • وهكذا يخرج من البلاد المنتجة جزء كبير من أجور العمال • وفى أحوال كثيرة تكون السلع المستوردة منتجات للشركات التابعة لشركات التعدين • ولذلك نجد أنها كثيرا ما تباع من مخازن شركات المناجم أو بواسطة وكلائها ويفرض على العمال أسعار تحددها الشركات •

وتتضح حالة الفقر التى تعيش فيها الشعوب الافريقية من الحقيقة البسيطة التى تقول بأن دخل الفرد فى أفريقيا من أقل دخول الأفراد فى العالم •

وفيما يلى جدول يبين دخل الفرد بالدولار الأمريكى فى أعوام ١٩٦٠ـ١٩٦٣ :

أقل من ٨٠ دولار	٨١ ـ ١٢٥ دولار	١٢٦ ـ ٢٠٠ دولار	٢٠٠ ـ ٢٥٠ دولار	أكثر من ٤٠٠ دولار
بوستولاند	أنجولا	ليبريا	الجزائر	جنوب أفريقيا
بوتشوانالاند	الكمرون	ليبيا	ساحل العاج	
بوراندى	الكونغو (ل)	المغرب	جابون	
تشاد	غامبيا	سوازيلاند	غانا	
كونغو (ب)	غينا	تونس	موريتيس	
داهومى	كينيا		السنغال	

تابع ـ متوسط دخل الفرد ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣

أقل من ٨٠ دولار	٨١ ـ ١٢٥ دولار	١٢٦ ـ ٢٠٠ دولار	٢٠٠ ـ ٢٥٠ دولار	أكثر من ٤٠٠ دولار
أثيوبيا	مالاجاشى		أفريقيا الجنوبية الغربية	
غينيا	موريتانيا		زامبيا	
مالاوى	سيراليون		روديسيا	
مالى	السودان			
موزمبيق	توجا			
النيجر	الجمهورية العربية المتحدة			
نيجيريا				
رواندا				
الصومال				
تنجانيقا				
زنزبار				
أوغنده				
الفولتا				

وفى بعض البلاد ـ مثل جابون وزامبيا ـ نجد أن نصف الانتاج المحلى يدفع الى الأجانب المقيمين والى شركات ما وراء البحار التى تمتلك المزارع والمناجم . كما نجد فى غينيا وأنجولا وليبيا وسوازيلاند وأفريقيا الجنوبية

الغربية وروديسيا أن أرباح الشركات الأجنبية ودخول المستوطنين الأجانب تبلغ أكثر من ثلث الانتاج المحلي • وكانت الجزائر والكونغو وكينيا من بين هذه المجموعة قبل أن تحصل على استقلالها •

وعند الحصول على الاستقلال كانت الدول الأفريقية الجديدة ترسم الخطط للتصنيع والنمو الاقتصادى حتى تحسن من الكفاية الانتاجية وترفع بذلك مستوى معيشة الشعب • ولكن طالما أن القارة الأفريقية منقسمة على نفسها فسوف يكون هذا التقدم بطيئا • أن التنمية الاقتصادية لا تعتمد فقط على الموارد الطبيعية فحسب ولا على عدد السكان فقط وانما تعتمد كذلك على الحجم الاقتصادى الذى يدخل فيه عامل عدد السكان ودخل الفرد • ونجد فى دول أفريقية كثيرة أن عدد السكان وانتاج الفرد صغير جدا مما يجعل الدولة من الناحية الاقتصادية لا تزيد على شركة متوسطة الحجم فى دولة رأسمالية غربية أو مشروع حكومى فى دولة اشتراكية أوروبية •

ان أفريقيا لتدفع ثمنا باهظا مرة أخرى على شكل أرباح خيالية تدخل جيوب الرأسماليين فى الغرب ، كان فى أول الامر نتيجة الاتجار فى شعوبها ثم نتيجة الاستغلال الاستعمارى • أن عملية اثراء جانب عن طريق استغلال الجانب الآخر قد جعل الاقتصاد الأفريقى عاجزا عن التصنيع • فعندما كانت أوروبا تمر فى ثورتها الصناعية كانت الهوة التى تفصل بين القارات أضيق • ولكن كانت كل خطوة يخطوها تطور طرق الانتاج وطرق الاستثمار الصناعى توسع من هذه الهوة فى سرعة متزايدة •

ويبين تقرير اللجنة الاقتصادية للأمم المتحدة عن أفريقيا والذى نشر فى ديسمبر ١٩٦٢ تحت عنوان « النمو الصناعى فى أفريقيا » أن الهوة التى كانت بين القارات التى يفصل بينها البحر الأبيض المتوسط قد زاد اتساعها سرعة فى القرن العشرين أكثر من أى وقت قبل ذلك • حقيقة لقد ارتفع انتاج الفرد فى العشرين سنة الأخيرة بمقدار يتراوح بين ١٠ الى ٢٠ فى المائة • ولكن انتاج الفرد فى البلاد

الصناعية قد ارتفع فى نفس المدة بمقدار ٦٠٪ • كما أن انتاج الفرد الصناعى يزيد على مثيله فى أفريقيـــا بمقدار خمس وعشرين مرة • وحتى يحـــدث التغيير الحقيقى المطلوب يجب على الاقتصاد الافريقى ألا يضاعف الانتاج الزراعى فحسب بل يجب أن يزيد الانتـاج الصنـاعى بمقـدار خمس وعشرين مرة • ويوضح التقرير أن الصناعة ـ لا الزراعة ـ هى الوسيلة التى يتم بواسطتها رفع مستوى المعيشة فى أفريقيا على جناح السرعة •

وهناك اخصائيون فى الاستعمار ينصحون الدول غير المتقـدمة أن تركز مجهودها على الزراعة وان تؤجل التصنيع بعض الوقت حتى تحصل شعوبهـا على التغذية المناسبة • ان التطور الاقتصادى فى العـالم ليبين أن التصنيع ذا المستوى المرتفع هو وحده الذى يرفع من مستوى تغذية الشعوب عن طريق رفع مستوى دخلهم • حقيقة أن الزراعة مهمة لأسباب كثيرة ، ولذلك فان حكومات الدول الأفريقيـــة المهتمـة برفع مســتوى شعوبهـا تخصص الجزء الأكبر من استثماراتها للزراعة • ولكن حتى تغل الزراعة محصولا أكبر لابد من الاستعانة بالانتاج الصناعى •ولا يمكن أن يظل العالم المتخلف الى الأبد تحت رحمة البلاد الصناعية • ان هذا الاعتماد يجب أن يضعف من سرعـة الزيادة فى زراعتنـا ويجعلها خاضعة لمطالب المنتجين الصناعيين • وهذا هو السبب الذى يجعلنـا لا نستطيع أن نتقبل التصريحات التى يدلى بها البروفســور ليوبولد شــيدل الأستاذ فى مدرسة الاقتصاد فى فينا فى اجتماع المؤتمر الجغرافى الدولى الذى عقد أخيرا • يقول البروفسور « شيدل » :

« ان شعوب البلاد النامية تعتقد أن كل ما هو مطلوب منهم حتى يصبحوا فى ثراء الغرب هو أن يقيموا المصانع • ولكن الخبراء يتفقون على أنه من الحكمة تطوير الزراعة الى درجة الاكتفاء الذاتى وحتى تصبح فى مستوى التســويق الاقتصادى • » (صحيفة التايمز فى ٢٤ يوليو ١٩٦٤) وهذا الاتجاه فى التفكير يتفق اتفاقا مباشرا مع تفـكير سير جوك كامبـل رئيس شركات بوكر ، وهى الشركات التى تحتكر صناعات السكر ومشتقاتها فى غـانا البريطانيـة والتى تتاجر فى الكاريبى وفى أفريقيا الشرقية والتى تقوم فى الوقت الحاضر بالتغلغل

فى غرب القارة الأفريقية • لقد صرح سير جوك كامبل فى خطابه السنوى الذى ألقاه فى مكتب أفريقيا فى لندن فى ٢٩ نوفمبر ١٩٦٢ أن « الزراعة هى الأساس الذى يجب أن ترتكز عليه التنمية الافريقية ، وان المزارع هى الطريقة الفعالة لزيادة الامكانيات الاقتصادية » • أنه يعتبر أنه طالما أن الزراعة المصنعة تستخدم رجالا عندهم الحرية فى أن يحضروا أو يذهبوا فهذا أفضل من ناحية الكفاية والحرية من نظام المزارع الجماعية الاشتراكية التى جاءت نتائجها أقل مما كان متوقعا فى كل من روسيا والصين » • (صحيفة التايمز فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٢) • ويبدو أنه لم يستطع أن يقنع عمال السكر فى غيانا البريطانية • ومن المشكوك فيه أنه استطاع أن يقنع عمال شركاته فى نياسالاند وروديسيا وجنوب أفريقيا عن فوائد فلسفته الخاصة بالحرية فى الحضور أو الذهاب • وحتى المؤيدون للنمط الاستعمارى يدركون عيوب سياستهم ، ولكنهم ينسبون ـ بكل دهاء ـ تركيز البلاد النامية على التصنيع الى أطماح سياسية لا الى ضرورة اقتصادية واجتماعية • وتكلم مستر د• فراير الممثل الاوروبى لجامعة ملايو فى اجتماع المؤتمر الجغرافى الدولى السالف الذكر وقال « ان زيادة الكفاية فى الصناعات التصديرية التقليدية فى البلاد المتخلفة هو حركة واضحة ولكنها غير مقبولة سياسيا • انها تتضمن استمرار قبول الاقتصاد الاستعمارى القديم •• ان التصنيع هو حركة مكملة للحركة الوطنية • ان مبعثها ليس اقتصاديا بل أنه سياسى • وكثيرا ما يكون التطور السياسى أهم من الكفايه الاقتصادية فى الصناعة الجديدة » •

ان الوصول بادارة الانتاج الأولى الى درجة الكفاية وان تحسين مستوى التسويق هو مكسب للاستعمار وخسارة لنا • وقد أوضح هذه النقطة سير جورج بولتون رئيس بولسا (بنك لندن وأمريكا الجنوبية) • فقد صرح فى صحيفة « فينانشيال تايمز » فى ٦ مارس ١٩٦٤ بأنه واثق من ارتفاع أسعار السلع مما سيكون له أكبر الاثر فى البورصات الأجنبية • ولمصلحة من؟ ويجيب سير جورج فيقول : « ان ذلك سوف يزيد من النقد الاحتياطى ـ الاسترلينى

والدولار ٠ ولماذا ؟ لأنه بما أنهم مرتبطون بهذه العملات فسوف يقوم المنتجون بادخار الفائض بالاسترليني والدولارات » ٠ ويبدو أن هذا ما هو الا اعتراف مباشر باهتمام الدوائر المالية والمصرفية العالمية باستغلال البلاد النامية ٠ وجدير بنا أن نلاحظ أن وكلاء بولسا فى لندن هم الشركة المتحدة للمناجم والمشروعات ومجموعة شركات المناجم الامريكية فى أمريكا اللاتينية وكندا ، وهى متصلة اتصالا وثيقا بمجموعة الشركات التى تستغل موارد القارة الأفريقية الطبيعية ٠

ولسنا بكل تأكيد ضد التسويق والتجارة ٠ على العكس اننا نحبذ توسيع امكانياتنا فى هذه المجالات ٠ ونحن مقتنعون أننا سوف نستطيع أن نجعل الميزان فى صفنا بتطوير الزراعة وجعلها تفى بحاجتنا ، ثم نقوم بمعاونتها عن طريق تصنيع سريع كفيل بأن يقضى على نمط الاستعمار الجديد السائد فى الوقت الحالى ٠

ومهما عملت القارة الأفريقية على زيادة انتاجها الصناعى فانها لن تستفيد من ذلك الا اذا توحدت سياسيا واقتصاديا بحيث تستطيع أن تجبر العالم على أن يعطيها الثمن المناسب للمحصولات التى تصدرها ٠

وفيما يلى مثل لذلك ٠ لقد زادت كل من غانا ونيجيريا فى فترة الاستقلال التى أعقبت الحرب انتاجها من الكاكاو كما يبين الجدول الآتى :

العام	الأطنان		الدليل ١٩٤٩/١٩٥٠ = ١٠٠		العام
	غانا	نيجيريا	غانا	نيجيريا	
١٩٤٩/١٩٥٠	٢٤٨٬٠٠٠	٩٩٬٠٠٠	١٠٠	١٠٠	١٩٥٠
١٩٥٠/١٩٥١	٢٦٢٬٠٠٠	١١٠٬٠٠٠	١٠٦	١١١	١٩٥١
١٩٥١/١٩٥٢	٢١١٬٠٠٠	١٠٨٬٠٠٠	٨٥	١٠٩	١٩٥٢

العام	الأطنان		الدليل ١٩٤٩/١٩٥٠ = ١٠٠		العام
	غـــانا	نيجيريا	غـــانا	نيجيريا	
١٩٥٢/١٩٥٣	٢٤٧ر٠٠٠	١٠٩ر٠٠٠	١٠٠	١١٠	١٩٥٣
١٩٥٣/١٩٥٤	٢١١ر٠٠٠	٩٧ر٠٠٠	٨٥	٩٨	١٩٥٤
١٩٥٤/١٩٥٥	٢٢٠ر٠٠٠	٨٩ر٠٠٠	٨٩	٩٠	١٩٥٥
١٩٥٥/١٩٥٦	٢٣٧ر٠٠٠	١١٤ر٠٠٠	٩٦	١٥٥	١٩٥٦
١٩٥٦/١٩٥٧	٢٦٤ر٠٠٠	١٣٥ر٠٠٠	١٠٦	١٣٦	١٩٥٧
١٩٥٧/١٩٥٨	٢٠٧ر٠٠٠	٨١ر٠٠٠	٨٣	٨٢	١٩٥٨
١٩٥٨/١٩٥٩	٢٥٥ر٠٠٠	١٤٠ر٠٠٠	١٠٣	١٤١	١٩٥٩
١٩٥٩/١٩٦٠	٣١٧ر٠٠٠	١٥٥ر٠٠٠	١٢٨	١٥٧	١٩٦٠
١٩٦٠/١٩٦١	٤٣٢ر٠٠٠	١٩٥ر٠٠٠	١٧٤	١٩٧	١٩٦١
١٩٦١/١٩٦٢	٤١٠ر٠٠٠	١٩١ر٠٠٠	١٦٥	١٩٣	١٩٦٢
١٩٦٢/١٩٦٣	٤٢٢ر٠٠٠	١٧٦ر٠٠٠	١٧٠	١٧٠	١٩٦٣
١٩٦٣/١٩٦٤	٤٢١ر٠٠٠	٢١٧ر٠٠٠	١٧٠	٢١٩	١٩٦٤
١٩٦٤/١٩٦٥	٥٩٠ر٠٠٠	٣١٠ر٠٠٠	٢٣٨	٣١٣	١٩٦٥

ولم تأت هذه النتيجة عفوا وانما كانت نتيجة انفاق أموال طائلة على مقاومة أمراض النبات وآفاته وعلى منح معونات لشراء المبيدات وآلات الرش وعلى شراء أصناف جيدة من بذور الكاكاو التى تستطيع مقاومة الامراض المتوطنة • وبمثل هذه الوسائل استطاعت أفريقيا بصفة عامة أن تزيد من انتاج الكاكاو بينمـا بقى انتاج الكاكاو فى أمريكا اللاتينية كما هو •

ما الذى استفادته نيجيريا أو غانا من هذه الزيادة الهائلة فى الانتـاج الزراعى ؟ ••• فى عام ١٩٥٤/١٩٥٥ عنـد ما كان انتاج غـانا من الـكاكاو ٢١٠ر٠٠٠ طنا كان ايرادها من هذا المحصول ٨٥½ مليونا من الجنيهات • أما

فى عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ عندما بلغ محصولها ٥٩٠٠٠٠ر٠ طن قدر ايرادها بمبلغ ٧٧ مليونا من الجنيهات • وحدث نفس الشىء فى نيجيريا•ففى عام ١٩٥٤/١٩٥٥ أنتجت ٨٩٠٠٠ر٠ طن وبلغ ايرادها ٣٩¼ مليون جنيه • وفى عام ١٩٦٥ يقدر محصول نيجيريا بمقدار ٣١٠٠٠٠ر٠ طن بينما سيكون ايرادها حوالى ٤٠ مليون جنيه • بمعنى آخر لقد ضاعفت غانا ونيجيريا محصولهما من الكاكاو الى ثلاثة أضعاف بينما هبط ايرادها منه من ١٢٥ مليون جنيه الى ١١٧ مليون جنيه •

ان دراسة مستفيضة للانتاج والأسعار كفيلة بأن توضح لنا أن الدولة المتقدمة المستهلكة للمحصول هى التى تجنى ثمار زيادة الانتاج • وطالما أن المنتجين الزراعيين فى القارة الأفريقية غير متحدين فسوف يظلون عاجزين عن التحكم فى سعر السوق بالنسبة لحاصلاتهم •

وكما أوضحت تجربة اتحاد منتجى الكاكاو ان أى منظمة أو هيئة يكون أساسها مقصورا على اتفاق تجارى بين المنتجين غير كافية لأن تتحكم فى السعر العالمى • ولكن يمكننا أن نحقق ذلك اذا ما كانت هناك تنظيمات سياسية واقتصادية مشتركة للدول المنتجة ، توضع خلفها جميع الموارد المالية للدول المعنية •

وطالما أن القارة الافريقية باقية على انقسامها فسوف تبقى الدول المستهلكة الغنية هى وحدها القادرة على املاء أسعار المحاصيل الأفريقية • ومع ذلك حتى لو استطاعت أفريقيا أن تملى أسعار محاصيلها فلن يستطيع هذا توفير التوازن الاقتصادى اللازم للتنمية • والحل الوحيد هو التصنيع •

ولا يمكن للقارة الافريقية أن تأمل فى أن تصنع نفسها بطريقة الحرية الاقتصادية التى تتبعها أوروبا • فأولا هناك عامل الزمن • ثانيا ان على أفريقيا أن تستعين بكل قواها الكامنة وكل مواهبها حتى تستطيع أن تواجه تحديات

استقلالها وتستجيب لمطالب شعوبهـا بتوفير مستوى للمعيشة أفضــل • فلن تستطيع أن تقابل التحدى بعمل مجزأ ولكن يجب أن تعبىء موارد القارة تعبئة شاملة داخل اطار من التخطيط الشامل •

وقد لاحظنا أن الزراعة هى العمل السائد فى الدول التى تضم أكبر عدد من المستوطنين ، وهى الدول التى تعرضت للاستغلال أكثر من غيرها مثل الجزائر والكونغو وكينيا والمغرب وروديسيا ومالاوىوجنوب أفريقيا وتنجانيقا • وفى حالة جنوب أفريقيا التى تعتبر أكثر بلاد القارة الافريقية تطورا نجد أن الزراعة والتعدين تعادل الصناعة والبناء • ويسند اقتصاد جنوب أفريقيا تصدير انتاج مناجمها • ويساهم الذهب بسبعين فى المائة من جملة الصادرات الشىء الذى يجعل الاقتصـــاد ـ رغم ازدهاره الظـاهرى ـ غير ثابت ، مثله فى ذلك مثل الاقتصاد الخاص بالدول غير المتقدمة فى القارة الافريقية • وبالرغم من صناعاتها الثانوية وبالرغم من انتاجها الحربى ومن صناعه الصلب بهـا ومن صناعاتهـا الكيماوية فقد فشلت جنوب أفريقيا حتى الآن فى أن تضع أساس تصنيعهـا • وقد قال ج• أ• مينيل مدير شركة الاستثمار المتحدة (انجلو ترانسفال) التى تحتكر الذهب والماس واليورانيوم فى تصريح له ضمن خطابه السنوى الذى ألقاه فى ٦ ديسمبر ١٩٦٣فى اجتماع حملة الأسهم بجوهانسبرج « يقوم أساس الاقتصاد فى بلادنا على أصول متناقصـــة أو مستهلكة هى منــاجم الذهب فى الترانسفال وفى ولاية أورانج الحرة • ولقد أصبحنا أكثر ادراكا لهذه الحقيقة فى السنوات الأخيرة نظرا لأن عددا كبيرا من المناجم قد قاربت الوصول الى نهاية حياتها دون أن تظهر أى علامات تنبىء باكتشاف مناجم ذهب جديدة ، بالرغم من ملايين الجنيهات التى تبذل لتحقيق اكتشاف هذه المناجم » •

ان الاستثمار الخاص باقتصاد جنوب أفريقيا يرتكز أساسا على رأس المال الغربى الذى يسند المالية المحلية التى لا تستطيع حتى الآن أن تقف على قدميها • ان الدافع الوحيــد هو الحصــول على الربح السريع ولذلك بينمـا مدير شركة

الانجلو ترانسفال كان يرى الأخطار المحيقة بالاقتصاد فقد كان سعيدا وهو يعلن أن أرباح عام ١٩٦٢ قد ضربت رقما قياسيا ٠

ويوجه الاقتصاد كله لمصلحة رأس المال الأجنبي الذى يسيطر على جنوب أفريقيا ٠ ان البيوت المصرفية فى جنوب أفريقيا ــ كما هو الحال فى معظم الدول الافريقية ــ هى فروع من مصارف الغرب وبيوته المالية ٠ ويسيطر على جنوب أفريقيا الاحتكار الغربى أكثر من أى دولة أخرى فى القارة الافريقية وسبب ذلك أن الاستثمارات هناك أكبر منها فى أى مكان آخر ٠ ويزيد من عيوب ذلك أن هذه الدولة هى التى تزود مصانع الغرب بالمنتجات الخام والمنتجات شبه المصنوعة على نطاق واسع ، أوسع من أى دولة أخرى من الدول الافريقية ٠

وتحكى نيجيريا بأرقام أساسية قليلة قصة من نوع آخر عن سوء التكيف الاقتصادى ٠ ففى عام ١٩٦٠ كانت الزراعة والغابات وصيد الأسماك تشكل ٦٣٪ من النشاط الاقتصادى ، بينما كانت المناجم تشكل ١٪ ٠ ويؤكد عدم التوازن أن تبلغ نسبة الصناعة ٢٪ ٠ وهو على نقيض الحال فى الولايات المتحدة حيث تبلغ نسبة المناجم ٨٪ والزراعة ٤٪ من جملة انتاجها الاقتصادى ٠ وفى حالة الولايات المتحدة تؤكد هذه النسبة المنخفضة النسبة المرتفعة للصناعة ٠ أما فى نيجيريا فهناك تجاهل تام من جانب الاستعمار لامكانيات البلاد فى هذا المجال ٠ ولا يرجع سبب ذلك الى خلو نيجيريا من الموارد الصناعية الطبيعية اذ ثبت أخيرا وجود بترول وحديد ٠ وانما سبب ذلك أن الزراعة فى نيجيريا كانت تدر ربحا أكثر على الاستثمار الاوروبى من المجازفة التى قد تكون فى استغلال رءوس الأموال فى الكشف واستغلال المناجم ٠

وقد أسهم البترول ومنتجاته فى عام ١٩٦٢ بـ ٩ر٩٪ من صادرات نيجيريا ، ولكن كانت شركة شل هى التى تأمل فى أن تجنى معظم الفوائد ٠ كان معظم الصادرات عبارة عن بترول خام ، مقداره أكثر من ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ طن ٠

وتأمل شركة البترول أن تحقق رقما فى التصــدير يبلغ ٥٠٠٠ر٠٠٠ره طن من البترول الخام فى عام ١٩٦٥ • ان المصانع نفسها موجودة فى أوروبا ـ لا فى نيجيريا •

أما معامل تكرير البترول فى بورت هاركورت فتمتلكها شركة شل كمـا تمتلك الغاز الطبيعى شركتا شل وباركليز • وتستغل معامل التكرير فى نيجيريا ١٠٪ فقط من انتاج البترول الخام ، وتخدم مشتقات هذه الكمية سوق نيجيريا المحلى • وان مثل هذا التنظيم من شأنه ألا يعرض العمليـات خـارج نيجـيريا للاضطراب فوق أنه يتيح الفرصة لأرباح أكثر من العمليات النيجيرية •

ونستطيع أن نقول بصفة عامة أنه بالرغم من نفقات الكشف ـ التى تغطى الأرباح أضعافها ـ فان عمليــة التعدين هى مشروع مربح لرأس المال الأجنبى المستثمر فى القارة الأفريقية • أما فوائدها بالنسبة للأفريقيين فلا يعتد بهـا رغم ما يقال •

ويوضح هذه الحقيقة عدم وجود صنـاعات ترتكز على اســتخدام الموارد الطبيعية المحلية وكذلك عدم وجود تجارة فيها ، وذلك لأن انتاج المناجم يستغل أساسا فى التصدير بشكله الخام • ويستثنى من هذا التعميم جنوب أفريقيـا وزامبيا والكنغو • ويجرى تحويل بسيط فى هذا المجال فى بعض البلاد مثل المغرب والجزائر وموزمبيق • فيصدر نحاس جنوب أفريقيا على شــكل معــدن ويصدر جزء صغير من حديدها على شــكل سبائك ، ويكرر ذهبها • وبصرف النظر عن هذه الحالات الاستثنائية فان معظم المعادن تصــدر من موانى القــارة الافريقية فى شكلها الخام • انها تصدر كى تغذى صناعات أوروبا ومصانعها وكذلك مصانع أمريكا واليابان وصناعاتهما • ان المعادن الخام التى تستخرج من سوازيلاند بواسطة شركة سوازيلاند للحديد الخام (التى تمتلكها شركة الانجلو أمريكان بالاشتراك مع شركة الصلب القوية (جيست لين) تصدر بمعدل ٠٠٠ر٢٠٠ر١ طن سنويا ولمدة عشر سنوات قادمة الى مصانع الصلب باليابان •

وعندما تجبر هذه البلاد المصدرة للمعادن الخام على أن تشترى ثانية معادنها على شكل سلع مصنوعة فانهـا تشتريها بأسعار مرتفعة جـدا • وقد جاء فى اعلان عام نشرته جنرال الكتريك فى عددها الصادر فى مارس / أبريل ١٩٦٢ من مجلة « مودرن جفرنمنت » : « من قلب القارة الافريقية الى أفران مصانع الصلب العالمية يخرج على شكل صلب أفضل ـ صلب للمبانى ـ صلب للآلات صلب للقضبان الحديدية • من هذا الصلب النابع من أفريقيا تقوم شركة جنرال الكتريك بصنع وسائل النقل التى تنقل معادن أخرى لها ولغيرها من الشركات الاستغلالية » • ويمضى نفس الاعـلان فيصف « كيف يوجـد فى أعماق غابات أفريقيا الوسطى الحارة أغنى منجم لخام المنجنيز » ولكن هل يستغل لمنفعة أفريقيا وسد حاجتها ؟ كلا مطلقا فهذا المنجم الذى تملكه الشركة الفرنسية « كومبانى مينير دى ليجو » يقع عـلى ضـفة نهر أوجو فى جمهورية جابون • فبعـد أن يستخرج الخام ينقل مسافة خمسين ميلا نقلا سلكيا • ثم ينقل مسافة ٣٠٠ ميل بواسطة قطارات الديزل الكهربائية الى ميناء « بوان نوار » لشحنه الى المصانع العالمية • ويقصد بالعالمية الولايات المتحدة أولا ثم فرنسا ثانيا •

ان مثل هذا الاستغلال لايمكن أن يحدث الا نتيجة تقسيم القارة الافريقية• ان عملية التقسيم هذه هى السلاح الماضى فى يد الاستعمار الجديد ، وسـوف نجده فى كل مكان يمارس فيه هذا الاستعمار الجديد •

الفصل الثانى

العقبات التى تعترض التقدم الاقتصادى

جاء فى تقرير اللجنة الاقتصادية التابعة لهيئة الامم عن أفريقيا الغربية فى عام ١٩٦٢ ما يأتى :

« لا توجد مناطق أخرى فى العالم بها هذا العدد الكبير من الدويلات الصغيرة ـ صغيرة من حيث الانتاج ومن حيث عدد السكان · ان الاقليم المهم الوحيد الذى يشبهه هو أمريكا الوسطى » ·

تنقسم أفريقيا الغربية الى تسع عشرة دولة مستقلة كما تشمل مستعمرتين تابعتين لاسبانيا والبرتغال · ويبلغ عدد سكان المنطقة حوالى ثلث سكان أفريقيا، ويبلغ متوسط عدد سكان كل دولة ـ باستثناء نيجيريا ـ ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة· بل لا يجدر بنا أن نعتبر نيجيريا مستثناة من سياسة التقسيم هذه التى يمارسها الحكام المستعمرون ، وذلك لان الدستور الذى فرض على نيجيريا عند استقلالها قام بتقسيم البلاد الى ثلاثة أقاليم (وقد نمت هذه وأصبحت أربعة) ترتبط ببعضها ارتباطا ضعيفا على أساس فيدرالى ، ولكن ترك لكل اقليم من الحرية ما يكفى لأن يشل كل حركة تستهدف التخطيط الشامل · واذا كانت دول أفريقيا الغربية تعتبر مثلا للتقسيم السياسى فان نيجيريا تعتبر مثلا للتقسيم الاقتصادى · وقد أنقذ غانا ـ التى يبلغ عدد سكانها أكثر من سبعة ملايين ـ من هذا المصير المقاومة التى أبدتها حكومة حزب المؤتمر الشعبى ضد الخطة البريطانية

التى كانت تستهدف خلق مالا يقل عن خمسة أقاليم ، يبلغ عدد سكان بعضها أقل من مليون نسمة ، ولكن كان المخطط ان يعطى كل اقليم من السلطة ما يكفى لان يحبط أى تخطيط مركزى .

وكانت كينيا قد أجبرت عندما منحت استقلالها على قبول هذا الطراز من الدستور ، ولكنها نجحت أخيرا فى اقامة نظام حكم موحد .

وعندما وجدت فرنسا أنها تواجه احتمال الاضطرار الى الموافقة على الاستقلال أو على الاقل على الحكم الذاتى من البلاد التى كانت منضمة الى الاتحادات الاستعمارية القديمة لافريقيا الفرنسية الغربية وأفريقيا الاستوائية الفرنسية اتخذت سلسلة من الاجراءات الخاصة بتقسيمها الى دويلات صغيرة . وحدد القانون Loi-Cadre الصادر فى عام ١٩٥٦ حدود الدويلات الناطقة بالفرنسية. وقد تمت عملية التفكيك التى بدأها القانون السالف الذكر بالاستفتاء الذى تم فى عام ١٩٥٨ بشأن دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة . وقد طلب الى كل من الدويلات أن تقرر منفصلة ما اذا كانت ترغب فى أن تبقى ولاية فرنسية فيما وراء البحار أو تصبح جمهورية ذات استقلال ذاتى داخل النطاق الفرنسى أو تصبح مستقلة .

وقد نشرت تيريز هايتر الباحثة المساعدة فى معهد التنمية البريطانى فيما وراء البحار فى صحيفة المعهد البريطانى الملكى للشئون الدولية فى عددها الصادر فى أبريل ١٩٦٥ تصف هذه العملية فقالت :

« كان على الاقاليم أن تتخذ قرارات منفصلة ، وعلى ذلك كانت هذه الاقاليم هى التى ترث فرنسا ـ لا اتحادات أفريقيا الغربية وأفريقيا الاستوائية . ولم يتخذ أى تدبير لتقوية الهيئات الفيدرالية وفعلا تم تفكيكها بعد الاستفتاء وانتهت رسميا فى أبريل ١٩٥٩ ، وكان الغرض الاساسى من الاتحادات أن تتمكن المستعمرات من أن تعول نفسها عن طريق اعادة النظر فى اعتمادات ايراداتها ... وقد وجه سنجور التهمة الى فرنسا بأنها تهدف الى تقسيم أفريقيا عن طريق

ذلك القانون • وعندما خيرت الولايات لم تقف ضد الدستور الا غينيا التى صوتت ضده • أما الدويلات الاخرى فقد قبلت أن تكون جمهوريات مستقلة استقلالا ذاتيا وأن تكون أعضاء فى المجموعة الافريقية الفرنسية » •

وخوفا من أن تحذو الدويلات الاخرى التى قبلت أن تكون أعضاء فى المجموعة الفرنسية حذو غينيا استولت الحكومة الفرنسية على كل ما له قيمة فى البلاد • فسحبت الاداريين والمدرسين • وأخذت كل الوثائق ونزعت كل اللمبات الكهربائية من المبانى الحكومية • وقطعت المعونة المالية والتجارية وتوقفت عن دفع معاشات قدامى المحاربين •

وبالرغم مما تعرضت له غينيا من ضغط فقد رأت الدويلات الفرنسية الباقية نفسها تحت ضغط داخلى للسعى للحصول على استقلال سياسى • وهذا يقضى على الفكرة المرتبطة عادة بالجنرال ديجول ـ منشىء المجموعة الفرنسية المكونة من مجموعة الدول الافريقية التى ليس لها سيادة والتى ترتبط كل واحدة منها ارتباطا منفصلا بفرنسا • وهكذا حصلت الجمهوريات المستقلة استقلالا ذاتيا على سيادتها الدولية الواحدة بعد الاخرى ولكن مع الاحتفاظ بالروابط العسكرية والمالية والتجارية والاقتصادية التى كانت موجودة فى فترة الاستعمار السابق • وحتى تبدو كدويلات مستقلة فرض عليها قبول المعونة الفرنسية حتى يمكنها أن تواجه مصروفاتها •

واذا قارنا المعونة الفرنسية بنسبة الدخل القومى لفرنسا نجد أنها أعلى معونة فى العالم ، كما أنها بشكل مطلق ثانى معونة فى العالم • وتمتص كل هذه المعونة تقريبا التزامات فرنسا فى أفريقيا ، ويذهب نصفها الى الدول الاربع عشرة التى كانت جمهوريات مستقلة استقلالا ذاتيا فى الماضى والتى يبلغ عدد سكانها مجتمعة أكثر من عدد سكان نيجيريا بقليل • ان معونة من هذا الطراز هى التى تملى نوع العلاقات الافريقية مع العالم المتقدم ، وهى كما أثبتت التجربة تشكل خطورة على البلاد التى تتلقاها •

ومنشأ المعونة الفرنسية لافريقيا هو الفائدة التى تحصل عليها الشركات الفرنسية والافراد من منطقة الفرنك الافريقى ٠ وهذا هو الذى يحدد الاطار الذى ما زالت المعونة تمنح على أساسه ٠ فطالما أن العلاقة التى تهيؤها المعونة مربحة لفرنسا فانها تستمر ٠ وهى فى الواقع جزية يدفعها دافعو الضرائب الفرنسيون لصالح بعض الافراد والشركات الفرنسية ٠

أما القيمة النهائية لهذه السياسة بالنسبة لفرنسا فهى أنه فى مقابل ضمان أسواق وأسعار المنتجات الافريقية الاولية مثل البن والكاكاو والفول السودانى والموز والقطن تلتزم الدول الافريقية أن تستورد من فرنسا كميات ثابتة من بعض السلع مثل الآلات والمنسوجات والسكر والدقيق بأسعار لا تخضع للمنافسة الخارجية ٠ وبالاضافة الى ذلك كانت هذه الدول الافريقية مجبرة على أن تحدد وارداتها من الدول الواقعة خارج نطاق منطقة الفرنك ٠ وبينما كان هذا المشروع من شأنه أن يقضى على أى خطة تستهدف تبادل التجارة بين الدول الافريقية بعضها وبعض، فانه كان يعود على فرنسا بالربح الوفير ٠ والآن وبعد هبوط أسعار السلع الاولية فى السوق العالمية بدأت هذه الارباح تنكمش ، كما انكمش فى الوقت نفسه حماس المعونة فى فرنسا ٠ وأقصى ما يمكن أن يقال فى الوقت الحاضر فى صالح المعونة الفرنسية أنها لا توفر لفرنسا ـ كما كانت تفعل فى الماضى ـ ربحا حقيقيا من البلاد المتخلفة التى كانت تكون امبراطوريتها الافريقية السابقة ٠

وتوجز تيريزا هايتر هذا بقولها :

« ان فرنسا بمعاملاتها التجارية مع الدول الافريقية لا تكسب كما أنها لا تخسر شيئا ٠ فهى تعمد الى أن توازن بين المعونة والاستثمارات الخاصة ونفقات الحكومة الفرنسية والواردات وبين الصادرات والارباح العائدة على فرنسا والمرتبات » ٠

ان هذه الحالة لم تعد ذات قيمة بالنسبة لفرنسا • ويشير تقرير جنينى الذى نشر فى عام ١٩٦٤ والذى يوضح وجهة النظر الفرنسية الرسمية بأن النظام الوقائى للمنطقة الفرنسية لم يعد فى صالح فرنسا ولذلك ينصح التقرير باعادة توزيع المعونة • وعلى كل حال فان على فرنسا أن تذعن لالتزاماتها حيال السوق الاوروبية المشتركة • وتقضى الاتفاقية الخاصة بالسوق والتى بدأ تنفيذها فى صيف عام ١٩٦٤ بأن على الاعضاء الستة المشتركين فى السوق الاوروبية المشتركة أن يصلوا على مراحل الى منطقة حرة للتجارة ، وهذا لا يتيح لفرنسا أن تميز الدول الافريقية ، كذلك لا يتيح للدول الافريقية أن تقف من شركاء فرنسا فى السوق المشتركة موقفا مضادا • وسوف تكون الصادرات من هذه الدول فى نهاية فترة طولها خمس سنوات مرتبطة بالاسعار العالمية • وهكذا سيصبح الانتاج الاولى الذى بنى على أساس أسواق وأسعار مضمونة غير قادر على أن يدخل فى منافسة • فمثلا لا يمكن أن نتصور كيف تستطيع السنغال بنوع خاص أن تسير دون المعونة التى تقدمها لها فرنسا بالنسبة لمحصول الفول السودانى ، وقد أشار الرئيس سنجور الى ذلك فعلا ولفت النظر الى الموقف الاقتصادى الخطير الذى تقفه بلاده •

وفى الحقيقة ان فترة الاستعمار الفرنسى الجديد تتداخل فى الوقت الحاضر مع الاستعمار الجماعى الجديد ، وهذا مما يساعد الدول الاخرى التى بقيت حتى الآن خارج المجموعة الفرنسية على أن تستفيد من هذا النظام • وهى فى نفس الوقت تجعل تقسيم أفريقيا الى مناطق اقتصادية أساسه أوروبا ، وذلك باجتذابها أربع ولايات أو دول أخرى • فنجد أن الكونغو (ليوبولدفيل) وبوراندى ورواندا (بحكم أنها كانت مستعمرات بلجيكية سابقة) مرتبطة بالنظام الاقتصادى البلجيكى ، بينما الصومال (بحكم ارتباطها السابق بايطاليا) تدخل كدولة فى السوق الاوروبية المشتركة •

ان مثل هذا التقسيم يثير مشاكل واسعة خاصة بالاستعمار الجديد ، كما أنه يؤكد طبيعته غير المسئولة • وتكون غينيا من بين مجموعة المستعمرات السابقة

لفرنسا هي الدولة الوحيدة التي استطاعت بعد أن قاست وخسرت كثيرا أن تتخلص من هذا الاستعمار الجديد الذى فرض على الآخرين فرضا • ولقد اجبرت مالى على أن تقبل بعض القواعد التى تنظم العلاقات بين المستعمرات الفرنسية السابقة وبين فرنسا، ولكنها على الأقل استطاعت أن يكون لها نقدها الخاص، كما استطاعت أن تحدد تحويل النقد الى الخارج • وهى لا تتلقى من فرنسا الا ضمانا جزئيا بشأن الفرق الخاص بعملتها وارتباطها بالفرنك الفرنسى • أما فى حالة الدول الاخرى فقد ثبتت عملتها على أساس فروق ثابتة مع الفرنك السويسرى كما أنها منحت ضمانا كاملا من الخزانة الفرنسية • وتقوم هذه الدول بدفع مدفوعاتها من الفرنكات الفرنسية على شكل حسابات للعمليات فى الخزانة الفرنسية • ويمكن للدول أن تسحب أكثر من قيمتها دون قيود أو حدود • ومن الواضح أنه مهما كان الموقف من الناحية النظرية فان الموقف المالى الدولى لهذه البلاد يكون عرضة للتحكم فيه فى أى وقت اذ يمكن وقف حساباتها فى الخزانة الفرنسية كما حدث فعلا فى حالة غينيا • وعلى كل حال لا توجد لدى معظم الدول الافريقية الشجاعة أو القوة التى تتيح لها الوقوف فى وجه مثل هذا الضغط كما فعلت غينيا •

وهنا نتساءل لماذا لا تتيح هذه السلطات لفرنسا الفرصة أو القدرة لان تقنع هذه الدول الافريقية أن تتبع نفس السياسة الخارجية التى تتبعها فرنسا وهى السياسة المبنية على فكرة « القوة الثالثة » ؟ •• فلم تقم فرنسا بتاييد الولايات المتحدة وبلجيكا فى تدخلهما فى ستانلى فيل بالكونغو • وعلى عكس ما فعلته بريطانيا والدول الاعضاء فى السوق الاوروبية المشتركة أعلنت فرنسا معارضتها السافرة لسياسة الولايات المتحدة فى سانتو دومنجو كما اعترفت بجمهورية الصين الشعبية ، وكذلك أوصت بتحييد فيتنام • ولكن لم يحذ حذو فرنسا من الدول الافريقية الخاضعة لها سوى أقلية • أما السواد الاعظم لهذه الدول فقد رفض الاعتراف بالصين كما رفض انتقاد سياسة الولايات المتحدة • بل على العكس فان هذه الدول تتصرف كما لو كانت واقعة تحت نفوذ الولايات المتحدة

لا نفوذ فرنسا . ولكن الاجابة على هذا التناقض الظاهر ستتضمنه الفصول الآتية من هذا الكتاب والتى سأحاول فيها شرح سلطة التحكم الدولى المالى وما يتفرع منه . هنا توجد دولة كبرى تستطيع فى بعض الأوقات أن تدوس أو تلغى رغبات السياسة التى يمليها سيد الاستعمار الجديد ٠

ويقوم بالاشراف على أرصدة الدول الافريقية الداخلة فى مجموعة الاستعمار الجديد المجلس الادارى لمصارفها المركزية ، والذى يتكون بعضه من فرنسيين لايمكن دون موافقتهم اتخاذ قرار خاص بالسياسة المالية ٠ ان هذا المكتب المصرفى الذى له الاشراف المطلق على العملات والمدفوعات الخارجية للدول الخاضعة للاستعمار الفرنسى الجديد هو الذى يملى على الدول ضرورة اتباع السياسة الفرنسية ٠ ومع ذلك فان هذا المكتب المركب نفسه خاضع ـ كما سنصف فيما بعد ـ للضغوط الخارجية التى قد تؤيد سياسة الولايات المتحدة أكثر مما تؤيد سياسة فرنسا اذا ما كان ثمة خلاف بينهما ٠

وان الفائدة التى تعود من دراسة الاستعمار الجديد فى مجاله الافريقى هى أنهـا تعطينا أمثلة عن كل نمط من انماط هـذا النظام ٠ ويستحيل أن نحـدد الموقف الافريقى على أنه موقف دول مستقلة تنقسم الى دول غير منحازة ودول داخلة فى معسكر الاستعمار الجديد أو مستعمرات ودول عنصرية مثل جنوب أفريقيـا ، ونحن نجـد أن كل المستعمرات الافريقية السابقة التى حصلت على استقلالها ـ بما فى ذلك جنوب أفريقيا ـ عرضة الى حد ما لضغوط الاستعمار الجديد، وأنها لا تستطيع تجنبها مهما كانت رغبتها فى المقاومة ومهما كان نضالها٠ والحقيقة أن الفرق هو بين الدول التى تقبل الاستعمار الجديد كسياسة وبين الدول التى تقاومه ٠ وبالمثل فان المشكلة الاستعمارية فى أفريقيا هى الى حد كبير مشكلة استعمار جديد ٠ فمثلا تبدو الدول البرتغالية فى أفريقيا لاول وهلة كأنها تثير موضوع التحرر من الحكم الاستعمارى ، ولكنها فى الحقيقة تظل كمستعمرات ، لأن البرتغال نفسهـا مستعمرة من الطراز الاستعمـارى الجـديد ٠ ففى الخمسين سنة الاخيرة ظلت الدول العظمى تنظر الى المسـتعمرات البرتغاليـة كحجارة

الشطرنج تستطيع أن تتبادلها فيما بينها حتى تحفظ توازن القوى • ففى عام ١٩١٣ وقع البريطانيون والالمان اتفاقية بشأن تقسيم هذه المستعمرات ولم يمنع التنفيذ سوى نشوب الحرب العالمية الاولى • وفى فترة التهدئة التى سبقت قيام الحرب العالمية الثانية عندما ســاد الاعتقاد بأنه يمكن شراء هتلر بعرض بعض المستعمرات عليه ، كانت المستعمرات البرتغالية هى التى ينظر اليها كرشوة •

واذا كانت البرتغال تسيطر على هذه المستعمرات فى الوقت الحاضر فذلك بسبب القوة العسكرية التى تستمدها من كونها عضوا فى حلف الاطلنطى ، وهى ليست عضوا فى هذا الحلف نتيجة لمعونة عسكرية تستطيع تقديمها الى الحلف وانما لان ذلك طريقة مناسبة يسهل على قوات الاعضاء الاخرى فى هذا الحلف الحصول عليها •

ثم هناك مستعمرة الصومال • انها ما زالت مستعمرة لا لان فرنسا تقاوم منحها الاستقلال ، ولكن بسبب انقسام القارة الافريقية • ان الانقسام وحده هو سبب بقائها على حالها من الاستعمار •

وروديسيا ـ وان كانت من الناحية النظرية مستعمرة ـ الا أنها فى الحقيقة نظام متجمد من أنظمة الاستعمار الجديد الذى كان سائدا فى أفريقيا الجنوبية حتى تم انشاء اتحاد جنوب أفريقيا . ولا يعتمد نظام الحكم فى روديسيا على استخدام أفراد من شعب الاقليم ليتولوا حكم البلاد ـ كما هو الحال فى نظام الاستعمار الجديد ـ ولكنه يقوم على استخدام أقلية أجنبية • وقد وفد السواد الاعظم من طبقة الحكام الاوروبيين على روديسيا بعد الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك فهم الذين تنظر اليهم بريطانيا على أنهم الحكومة ـ لا سكان البلاد الافريقيين الذين تبلغ نسبتهم الى الاوروبيين ١٦ : ١• ويحمى هذه الدولة العنصرية من أى ضغط خارجى كونها ـ طبقا للقانون الدولى ـ مستعمرة بريطانية • وبعبارة أخرى تقوم بريطانيا بحماية روديسيا كاتحاد جنوب أفريقيا آخر على اعتبار أنها من الوجهة الرسمية مستعمرة ، وهكذا تترك بريطانيا الاوروبيين العنصريين أحرارا ليعاملوا السكان الافريقيين كما يشاءون •

وهكذا يتسم النظام فى روديسيا بكل سمات الاستعمار الجديد ، فتقوم السلطة المسيطرة ـ بريطانيا ـ بمنح الحكومة المحلية ـ التى تدعى أنه لا سيطرة لها عليها ـ حقوقا غير محدودة وسلطة للاستغلال وفى نفس الوقت لا تزال بريطانيا تحتفظ بالسلطة لمنع أى دولة خارجية تحاول أن تتدخل كى تحرر الشعب الافريقى أو كى توجه اقتصاد البلاد الى منطقة نفوذ أخرى • ان المناورات التى تقوم بها بريطانيا متعللةباستقلال روديسيا هى مثلواضح لاعمال الاستعمار الجديد والصعوبات العملية التى تنشأ عنه • فلا يمكن لاقلية أوروبية يبلغ عددها أقل من ربع مليون أن تسيطر على أربعة ملايين أفريقى دون معونة خارجية، وعندما يتحدث المستوطنون عن الاستقلال فهم لا يتحدثون عن الوقوف على أقدامهم وانما يتحدثون عن السعى للوصول الى سيد مستعمر جديد يستطيعون الاعتماد عليه أكثر مما يستطيعون الاعتماد على بريطانيا •

وكما سيتبين من فصول هذا الكتاب المقبلة يعتمد الاستعمار الجديد فى أساسه على سيطرة المصالح المالية الضخمة على الدول المستقلة استقلالا صوريا• وهذه المصالح تتحقق لصالح دولة رأسمالية خاصة ، كما أن هناك نوع قديم من « الاستعمار الجديد » يرتكز أساسه على اعتبارات عسكرية •

فالدولة التى تدعو ظروفها الاستراتيجية الى ضرورة حصولها على قاعدة عسكرية فى احدى الدول المستقلة استقلالا اسميا تحب دائما أن تتأكد من صداقة هذه الدولة • وهنا يظهر سبب آخر لتقسيم هذه الدول الى دويلات • فاذا كانت هذه القاعدة موجودة فى بلد لا يمكن أن يعيش اقتصاديا دون معونة من الدولة صاحبة القاعدة أمكن للأخيرة أن تطمئن الى مركزها • ولكن ثبت أن هذه النظرية الاخيرة خاطئة • فوجود القواعد الاجنبية يثير عداء الشعب ضد كل اجراءات المستعمر ولذلك نجد أن هذه القواعد آخذة فى الاختفاء من أفريقيا • وتشكل ليبيا مثلا يوضح فشل سياسة اقامة القواعد الاجنبية •

لقد ظلت ليبيا مستعمرة حقبة طويلة • فمنذ القرن السادس عشر أصبحت مستعمرة تركية حتى كان عام ١٩٠٠ ـ وهو العهد الذهبى للاستعمار ـ عندما

اتفقت ايطاليا وفرنسا على أنه اذا لم تعترض ايطاليا على احتلال فرنسا للمغرب فسوف لا تعترض فرنسا على احتلال ايطاليا لليبيا . ولذلك عندما كانت فرنسا تقوم باحتلال المغرب فى عامى ١٩١١ ، ١٩١٢ دخلت ايطاليا فى حرب مع تركيا وبعد أن هزمتها ضمت ليبيا اليها .

وبالرغم من الوعود التى كانت تبذل فى أثناء الحرب العالمية الثانية لشعب ليبيا بأنه لن يخضع مرة ثانية للحكم الايطالى فقد حاولت فرنسا عند عمل تسويات الصلح أن تعيد ايطاليا الى ليبيا حتى تثبت هى مركزها فى تونس . ولكن ثبتاستحالة تنفيذ هذا الحل ولذلك أصبحتليبيا مستقلة صوريا وخاضعة فى الحقيقة لاستعمار بريطانيا الجديد .

وقد جاء فى تقارير معهد التنمية البريطانى فيما وراء البحار أن ليبيا تسلمت فى الفترة الواقعة بين ١٩٤٥ و ١٩٦٣ مالا يقل عن ١٧٪ من جملة المعونة التى كانت بريطانيا تقدمها لكل الدول الاجنبية خارج نطاق الكومنولث فى المدة المذكورة . وقد جاء فى مذكرات معهد التنمية أن هذه المبالغ كانت تدفع فى صورة معونة ولكن مما لا شك فيه أنها كانت ثمنا مباشرا يدفع للحكومة الليبية فى مقابل استخدام القواعد . ومع ذلك فقد تطلب الضغط الشعبى أن تقوم الحكومة الليبية بانهاء الاتفاقية العسكرية الخاصة بالقواعد البريطانية هناك .

ولكن هذا القصور فى الاستقلال الحقيقى لبلاد كثيرة فى أفريقيا يجب ألا يخفى الانتصارات العظيمة التى أحرزناها فى نضالنا من أجل استقلال أفريقيا ووحدتها .

كانت أفريقيا تضم فى عام ١٩٤٥ معظم مستعمرات الدول الاوروبية ، وقد كان يبدو على أنه ضرب من المحال أنه فىخلال عشرين سنة سوف تحصل غالبية دولها على الاستقلال . ومع ذلك فلم يقتصر ما حققته الدول الأفريقية علىحصولها على الاستقلال، بل لقد قطعت شوطا طويلا نحو تحقيقالوحدة الافريقية. وما زالت

هناك بعض العراقيل التى تقف فى وجه هذه الوحدة ولكنها ليست أصعب من العراقيل التى سبق أن تغلبنا علبها • وسوف يسهل علينا مهمتنا لو تفهمناها على طبيعتها •

وتؤيد الشعوب الافريقية الوحدة بنفس الحماس الذى سبق أن أيدت به الحركات المحلية المختلفة التى قامت لتحقيق استقلالها • فمثلا لم يؤيد كثير من زعماء أفريقية الغربية الفرنسيـة الاستقلال فى بادىء الامر • وحـدث مثلا فى الجمعية الوطنية الفرنسية أن وقف هوفويه بوانيه ـ رئيس ساحل العاج ـ وكان عضـوا فى الجمعيـة الوطنيـة فى ذلك الوقت وقال : « ليس بيننا فى المجلس انفصاليون •• هناك رابطة قوية تستطيع أن تصمد لكل التجارب ، رابطة أدبية تجمع بيننا • انها الرابطة المثالية رابطة الحرية والاخاء والمساواة التى لم تتردد فرنسا مطلقـا فى أن تضحى فى سبيلها بدمهـا النبيل » • وكان يؤيد نفس السياسة ، أى سياسة الاستمرار فى الوحدة مع فرنسا الرئيس سنجور رئيس السنغال الذى صرح بقوله : « ان الاتحاد الفرنسى ، هو اتحاد للحضارات ، هو بوتقة للثقافة وصهرها •• هو زواج أكثر منه اتحاد » •

لقد كان الضغط الجماهيرى هو الذى أجبر هؤلاء الزعماء أن يغيروا مواقفهم السابقة وأن يعلنوا تأييدهم للسيادة القومية •

ويتكرر نفس الشىء • فكما أن الضغط الجماهيرى هو الذى جعل من المستحيل بالنسبة للزعمـاء الافريقيين أن يقـاوموا الاستقـلال كذلك كان هـذا الضغط الجماهيرى هـو الذى جعل من المستحيل على الزعماء الافريقيين أن يسفروا عن معارضتهم للوحدة الافريقيـة ، وحتى أولئك الذين يقفون ضـدها انما يبدون معارضتهم بطرق غير مباشرة ، بأن يقولوا بأن الخطوات الى تحقيقها تسير أسرع مما يجب ، أو أن هذه الخطة أو تلك ليست عملية ، أو أن هناك بعض الصعاب مما قد يحول بينهم وبين رسم خطة عملية لتحقيقها • ان قضية الوحدة الافريقية قضية قوية كما أن غريزة جماهير الشعب تصدق دائما •

لن تستطيع أفريقيا أن تنهض اقتصاديا من أجل مصلحتهاومن أجل اقتصاد عالمى صحيح الا اذا كسرت الحدود المصطنعة التى تفصل بين دولها والا اذا حققت فى النهاية وحدة أفريقية سليمة • فالحاجة ماسة الى نقد مشترك والى تحسين طرق المواصلات بكافة أنواعها حتى تسمح بتدفق السلع والخدمات بكل حرية •

ولقد أكدت اللجنة الاقتصادية لافريقيا مرارا الحاجة الى تخطيط اقتصادى على مستوى القارة • ويتضح عدم صلاحية التخطيط القومى بنظرة الى اقتصاد مالى وفولتا العليا والنيجر وأوغندة • فهذه الدول المقفلة التى تصدر كميات طائلة من مواد الغذاء الى الدول الافريقية الاخرى لا يمكن أن تتجاهل مشروعات الاكتفاء الزراعى الذاتى التى يضطلع جيرانها بالقيام بها • وبالمثل قد يحدث أن تخطط حكومة أفريقية لاقامة صناعة جديدة ثم تكتشف بعد ذلك أن احدى جيرانها تفعل نفس الشيء . وهذا الازدواج تكون نتيجته ضياع الموارد اذا كانت كل دولة تعتمد على تصدير الفائض عندها الى جيرانها •

ولا يجادل كثيرون ضد الحاجة الى تخطيط قومى فما بالك بتخطيط اقتصادى على مستوى القارة ؟ وكلما زاد اعتماد الدول والشعوب بعضها على بعض كلما قوى الاتجاه الحديث نحو توسيع الوحـدات الاقتصادية والسياسية • فليست هناك دولة يمكن أن تحقق اكتفاء ذاتيا كاملا أو تتجاهل الاحداث السياسية التى تقع خارج نطاق حدودها • وواضح أن أفريقيـا مفتتة الى دول صغيرة كثيرة ـ يعوزها الاقتصاد وتعوزها الحياة • وكثير منها يناضل نضالا عنيفا فى سبيل الحياة • وكما ذكرنا سابقا كانت النتيجة أن بعضها يتمسك بالروابط القديمة التى كانت تصلهـا بحكامها السابقين من المستعمرين ، وبذلك أصبحت فريسة لقوى الاستعمار الجديد • كما أن بعضها وجد نفسه ـ سواء أراد أم لم يرد ـ مدفوعا الى الدخول فى الحرب الباردة والى المنافسات التى كانت قائمة بين الدول بعضها وبعض • والكونغو هو مثل ملموس لهذا •

وبطبيعة الحال كان اهتمام كل حكومة وطنية موجها أولا وقبل كل شيء نحو مصالح مواطنيها • ونحن لا نتوقع منها أن توافق على سياسة التوحيـد

الا اذا كانت المنافع والفوائد المباشرة والطويلة المدى من الوضوح بحيث أنها تتأكد أن في عدم تعاونها ضررا يعود على مواطنيها ٠ وهنا نواجه مشكلة عدم تكافؤ النمو الاقتصادى بين الدول ٠ فبعض الدول الافريقية أغنى من البعض الآخر من حيث الموارد الطبيعية ٠ ولذلك يقتضينا الواجب أن نؤكد للدول التى لم يسعدها الحظ بأن مصالحها لن يصيبها شىء من جانب الدول المتقدمة عنها ٠

ولم تكن تجربة الاتحاد الاقتصادى فى الماضى تجربة مشجعة ٠ فارتباط روديسيا ونياسالاند لم يفد منه سوى روديسيا الجنوبية ٠ أما كينيا فقد استفادت من سوق شرق أفريقيا المشتركة ، بينما كانت أوغنده وتنجانيقا على الهامش ٠ وفى الاتحادات الاستعمارية الفرنسية السابقة كانت فوائد الوحدة الاقتصادية تتركز فى برازفيل وابيديان وداكار ٠ وهذه الامثلة تقوى الحجة بضرورة تخطيط النمو الاقتصادى على مستوى القارة حتى تستفيد جميع الدول من التصنيع وغيرها من المزايا التى تحققها الوحدة ٠ فتستطيع الدول الغنية أن تقدم المساعدة الى الدول الفقيرة ٠ ويمكن أن تجمع الموارد وتنسق مشروعات التنمية لرفع مستوى كل الدول الافريقية ٠

وعامل الوقت له أهميته ٠ وتقول اللجنة الاقتصادية أن الوقت الحاضر هو الوقت المناسب قبل أن تتورط كل دولة فى استثمارات كبرى وقبل أن تتخذ قرارات أساسها الاسواق المحلية المحدودة ٠ ومع مرور كل شهر تقوى قبضة مصالح الاستعمار الجديد على حياة القارة الافريقية الاقتصادية ٠

ان تغلغل أمريكا من الناحية التجارية فى أفريقيا ليشير مرة أخرى الى خطر الاستعمار الجديد ٠ كذلك يشكل نفس الخطر انضمام الشركات وتجمعها لفرض احتكارات قوية ٠ فكيف يمكن لبعض دولنا الصغرى أن تأمل فى النجاح عند مساومة المنشآت الاجنبية القوية التى تهيمن على امبراطوريات مالية تزيد فى حجمها على جملة دخل الدولة ؟ وكلما صغرت الدولة وكلما قوى سلطان المصالح الاجنبية كلما كانت الفرصة ضئيلة لان تحصل الدولة الافريقية على

استقلالها الاقتصادى • فمثلا بالنظر الى حجم غانا الاقتصادى وصناعاتها البديلة كانت فى موقف للمساومة مع شركات الالومونيوم أقوى من موقف توجو التى تصغرها حجما وتقل عنها فى المجال الاقتصادى عند معالجتها لشركات الفوسفات الفرنسية • يجب أن نضع نهاية لسيطرة الشركات الاجنبية على اقتصاد أفريقيا اذا أردنا لهذا الاقتصاد النهوض الشامل ، ولن نستطيع أن نحقق هذا الا عن طريق العمل الموحد •

اننا فى حاجة الى ما يشبه الثورة الاقتصادية • لقد كان نمط الاقتصـاد الاستعمارى هو الذى يعوق تنميتنا ونهوضنا • نحن نحتاج الى أن نعيد تنظيم أنفسنا تنظيما كاملا بحيث تتخصص كل دولة فى انتاج السلع والمحاصيل التى تناسبها •

وعن طريق هذه الوحدة الاقتصادية تستطيع الدول الافريقية التى تكون قد بدأت فى انشاء الصناعات الحديثة من أن تستفيد من الاســواق الواسعة المفتوحة أمامها • كما أننا سوف نكون فى موقف نستطيع فيه أن نساوم من أجل أثمان أفضل لسلعنا ، كما نستطيع كذلك فرض الضرائب على المكاسب الاجنبية• ان هذا فى الحقيقة هو السبيل لتحقيق نمط جـديد من التنمية الاقتصادية • وتتمكن الزراعة أن تسـير بخطوات واسعة سريعة نحو الآلية ، كما تجد تحت تصرفها رؤوس أموال أكثر • ويمكن تخطيط الصناعات على مستوى اقتصادى أوسع • ونحن نعرف أن المصانع الصغرى التى خططت كى تفى بالحاجيات القومية فقط تكون نفقاتها أكبر ، ولذلك لا تستطيع أن تخفض تكاليف الانتاج كما تفعل الوحدات الصناعية الكبيرة الحجم •

ومع ذلك فما زال أمام التخطيط القومى دور كبير يلعبه فى أفريقيا الموحدة فهو الذى يزودنا بالبيانات الضرورية عن الاحوال المحلية ، ولكن يكون عمله أيسر اذا عاونته هيئة تخطيط واحدة تنظر الىمصلحة القارةالافريقية عامة• أمامشروعات التنمية وما يتبعها من البحوث والتدريب التى يقوم بتنفيذها معهد التنمية التابع

للجنة الاقتصادية فى داكار فسوف تزيد من قوتها حتى تخدم كلا من المستوى القومى والمستوى القارى · كما سوف تتجنب الفشل الذى يكلفنا كثيرا والذى ينجم عن عدم التنسيق · ومثل ذلك مشروع سد انجا الذى يمد بالقوى المحركة مصنعا لتكرير السكر ومصنعا للبلاستيك ولورق الكرتون (المصنع من مصاصة القصب) فى بانجوى ، والذى يقوم بدوره بشحن البلاستيك لتغذية منتجات صناعة البلاستيك فى برازفيل · ومن الواضح أن الواجب يقتضى وجود جهاز للتخطيط يستطيع أن ينسق بين توقيت مصنعى برازفيل وبانجوى وبين خطوط الكهرباء من انجا الى بانجوى وبرازفيل وبين خدمات النقل بين بانجوى وبرازفيل والسد نفسه ·

وتستلزم عملية تحقيق الوحدة الاقتصادية اجراء مساومات كثيرة بين الدول المختلفة · ان عملية لم شمل المظاهر المختلفة للسياسة الاقتصادية ستسير بسرعات متفاوتة ، وقد تحدث تأخيرات مثبطة للآمال ، كما تقضى الوصول الى حلول وسط · ولكن طالما ان هناك رغبة فى انجاح العملية فسوف يمكن التغلب على كل الصعاب ·

وبصفة عامة كلما اتسعت الجبهة التى تتم على أساسها الوحدة الاقتصادية كلما كان تحقيق الاهداف والسياسة الخاصة بافريقيا النامية أسرع · ويمكن لهيئة تخطيط أفريقية أن تتخذ الخطوات المباشرة نحو تنمية الصناعة على مقياس كبير ، ونحو ازالة الحواجز التى تحول بين التجارة فى الدول الافريقية وبين خلق بنك مركزى وبين تكوين سياسة موحدة فى كل ما يخص الصادرات والتعريفة وحصص التجارة · وقد قامت اللجنة الاقتصادية لقارة أفريقية بعمل مسح يستهدف الحصول على بيانات تساعدنا عند اتخاذ قرارات فى النقاط السابقة ·

ومن بين الحاجيات الضرورية المباشرة فى أفريقيا صنع الآلات الزراعية بكافة أنواعها حتى نسرع بعملية آلية الزراعة ، كما نحتاج الى كميات من الآلات

الكهربائية لاستخدامها في انتاج القوى الكهربائيـة اللازمة للنمو الصناعى .
كذلك يجب انتـاج آلات المناجم والصناعة فى أفريقيـا لتخفيض نفقات تنمية مواردنا المعدنية . كما اننـا فى مسيس الحاجـة الى أدوات البناء والكيماويات والاسمدة والبلاستيك ، فهذه يجب على أفريقيا آن تنتجها لسد احتياجاتها .

وتدل التقارير التى وضعتها بعثـات التنسيق الصناعى التابعة للجنـة الاقتصادية لأفريقيا أن انتاج الحديد والصلب والمعادن الاخرى والادوات الهندسية والمواد الكيماوية والأسمدة والاسمنت والورق والمنسوجات يجب أن تنهض على أساس مستوى القارة الأفريقية حيث أن تفوقها يعتمد على انتاجها على نطـاق واسع . أما الصناعات الأخرى التى يمكن أن تتفوق على مستوى صغير فيمكن تخطيطها بصفة قومية .

وتعتمد أماكن الصناعات المختلفة على عوامل كثيرة مثل امكان الحصول على القوى الكهربائية ، الموارد المعدنية ، القرب من المصانع ، الاسواق وهكذا ... فمثلا يمكن انتاج الالومنيوم والنحاس فى البلاد التى تتوافر فيها الموارد الاساسية والخام والقوى المحركة . وليس من الضرورى أن يتم صنع المنتجات الالومنيوم والنحاس فى البلاد التى تنتج هذين المعدنين . وبالمثل يقتصر انتاج القطن على بعض أقاليم مناخية ، أما انتـاج المنسوجات القطنيـة فيمكن أن يتم فى أماكن بعيدة .

ويمكن لكل دولة أفريقية أن تسهم بنصيب فى التنمية الاقتصادية العامة. فمثلا لا يوجد البوتاس فى أفريقيا الغربية ولكنه يوجد فى شمال أفريقية وأثيوبيا وربما فى الكونغو (برازافيل) وجابون . كذلك نجح انتاج الاسمدة الازوتية فى زامبيا . ويمكن أن تزود مصانعها بالفحم من روديسيا وبالقوى الكهربائية الرخيصة من مساقط فكتوريا المائية . ويمكن لكينيا بما عندها من غابات شاسعة أن تصبح مركزا يمد دول شرق أفريقيا ووسطها بالغاز والاسيتون وغاز الميثان والقار . وهناك أمثلة أخرى عديدة أكثر من أن تحصى .

ولا يجب أن تعمينا الحاجة الماسة الى التنمية الصناعية على مستوى القاره الافريقية عن الحاجة الى أن نفعل نفس الشيء بالنسبة للزراعة وصيد الاسماك وأعمال الغابات • وفى كتابه المسمى « دور الصناعة فى التنمية » أشار ددلى سيرز الى اعتماد الزراعة والصناعة الواحدة على الاخرى •

«تحتاج الصناعات النامية الى المواد الضرورية •• وعمال المدينة الصناعية النامية يحتاجون الى التغذية ، وهذا يقتضى أن يقوم الريف بزيادة انتاج المواد الغذائية •• ولكن التغالى فى الانتاج الصناعى ـ كما حدث فى بعض الدول ـ يؤدى فى آخر الامر الى ابطاء سرعة التصنيع » •

ويلاحظ أن الدول الافريقية تقوم باستيراد كميات من المواد الغذائية من الخارج فى الوقت الحاضر أكثر من أى وقت مضى • وهذا الاتجاه يجب أن يوقف بواسطة تخطيط للتوسع الزراعى نضعه بعناية •

وكما هو الحال فى الصناعة يمكن أن يكون هناك تخصص فى الزراعة فينتج كل اقليم المحاصيل الزراعية التى تناسبه • فمثلا يكون مضيعة للجهد أن تحاول دول غرب أفريقيا أن تكتفى ذاتيا من حيث الارز فى الوقت الذى يستطيع فيه اقليم كازامانس بالسنغال أن يوفر لها ما تحتاجه من الارز • وبالمثل يمكن لمالى وفولتا العليا أن تقوما بتصدير اللحوم الطازجة والمعلبة والمحفوظة بينما تستطيع الدول الساحلية تصدير الاسماك الطازجة والمعلبة والمدخنة •

والضرورة الثانية التى تدعو الى انتهاج سياسة زراعية موحدة هى الحاجة الى اتخاذ خطوات لمقاومة كثير من العقبات التى تعوق التقدم الاقتصادى • فالجراد وذبابة التسى‌تسى وغيرها من الآفات الزراعية لا تحترم الحدود السياسية• والبحث فى وسيلة مقاومتها يتطلب تجميع الجهود الذهنية والقوى الفنية • كذلك

الحال بالنسبة للادوية والخدمات الاجتماعية • وكم تكون الفرصة مهيأة اذا أمكن تنسيق العمل ضد الامراض الوبائية الكثيرة الانتشار مثل عمى النهر ومرض النوم وغيرهما •

ثم ان الفائدة التى تعود من توحيد السياسة العسكرية والسياسية الدبلوماسية لسلامنا من جهة وتحقيق حريتنا فى كل شبر من أرض أفريقيا من جهة أخرى لمن الوضوح بحيث لا تقبل الجدل أو التعليق •

كذلك يشكل النقل والمواصلات قطاعين تدعو الضرورة فيهما الى توحيد التخطيط • فيجب أن تخطط الطرق والسكك الحديدية والمجارى المائية وخطوط الطيران بحيث تخدم حاجيات أفريقيا لا المصالح الاجنبية • ان المواصلات الحالية بين الدول الافريقية بعضها وبعض غير صالحة • وهناك أحوال كثيرة نجد فيها أن الانتقال من ميناء جوى فى أفريقيا الى أوروبا أو أمريكا أسهل بكثير من الانتقال من دولة أفريقية الى دولة أفريقية أخرى •

وحتى تكون الوحدة الاقتصادية ذات فاعلية يجب أن تصاحبها وحدة سياسية • فالوحدتان لا تنفصلان وكل منهما لازم لعظمة مستقبل قارتنا وتنمية مواردنا الى الحد الاقصى • وهناك أمثلة عديدة لاتحادات كبرى بين بعض الدول فى العالم فى الوقت الحاضر • وفى كتابى « ضرورة توحيد أفريقيا » وصفت بعض هذه الاتحادات الهامة ووجهت تحذيرا ضد خطورة الاتحادات الاقليمية فى أفريقيا •

ان أفريقيا اليوم هى المرتع الاساسى لقوى الاستعمار الجديد التى تسعى الى السيطرة على العالم من أجل الامبريالية التى تخدمها • وقد انتشرت هذه القوى من جنوب أفريقيا والكونغو وروديسيا وأنجولا وموزمبيق مكونة شبكة من الاحتكارات الدولية المالية المعقدة • وتقوم هذه الاحتكارات بتوسيع تنظيماتها المصرفية والصناعية فى ثنايا أفريقيا • ويدعو المتحدثون باسمها فى برلمانات

العالم وحكوماته ويسيطرون على كل الهيئات الدولية التى تعمل من أجل السلام العالمى والنهوض بالدول غير المتقدمة · فكيف نستطيع أن نتحرك وسط هذه القوى الضخمة ؟ لا نستطيع أن نفعل ذلك ونحن فرادى ، ولكننا نستطيع ذلك متحدين مما يعود على مقدرتنا فى المساومة بالقوة ، ومما يزيل كثيرا من الازدواج الذى يعود بالنفع على الامبرياليين واستراتيجية استعمارهم الجديد ·

ان كلمة « مناهضة الاستعمار » هى كلمة كثيرا ما يقوم بترديدها مروجو الامبريالية ليصفوا انتقال التحكم السياسى من المستعمر الى السيادة الافريقية · والحقيقة أن الاستعمار ما زال يسيطر على هذه السيادة · فما زالت الدول الفتية هى الموردة للمواد الخام · لقد كان التغير فى العلاقة الاقتصادية بين الدول الجديدة ذات السيادة وسادتهم القدماء تغيرا شكليا · لقد لبس الاستعمار ثوبا جديدا ، لقد تحول الى استعمار جديد ، وهو آخر مرحلة من مراحل الامبريالية · ان هذا الاستعمار الجديد يتغلغل داخل جسم القارة الافريقية بسرعة عن طريق الشركات الرأسمالية الاحتكارية التى تتنكر فى شكل ثورة على الاستعمار ، وهذا يتطلب ضرورة وحدة القارة ·

وتتركز هذه المصالح حول شركات المناجم فى جنوب أفريقيا ووسطها · وهى تنتشر من قطاع المناجم لتشمل شركات الاستثمار والمؤسسات الصناعية والنقل وهيئات المرافق العامة وصناعات البترول والصناعات الميكانيكية وغيرها مما لا يقع تحت حصر · ان مشروعاتها لتنتشر عبر القارة الافريقية وفوق المحيطات الى أمريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلند وآسيا والبحر الكاريبى وأمريكا الجنوبية والمملكة المتحدة واسكنديناوة ومعظم غرب أوروبا ·

وهى متصلة ـ اتصالا مباشرا أو غير مباشر ـ بكثير من عمالقة الصناعة الامريكية ورجال الاعمال · ويساندها كبار الصيارفة والممولين ورجال الصناعة فى المملكة المتحدة وفرنسا وبلجيكا وألمانيا وأمريكا وغيرها من البلاد · ودفاترها مليئة ببيانات تحوى أسماء لها صدى فى اذن من لهم دراية كافية بالاعمال

الصناعية والمالية الدولية • فأسماء مثل أســماء أوبنهيمر وهامبرو ودرايتون وروتشيلد وديرلانجييه وجيليه ولافوند وروبليار وفان درستراتين وهوتشيلد وتشسترييتى وباتينو وانجهارد ومتمنز هى أسماء يعرفهـا الجميع • وهنــاك أسماء أخرى لا تقل عنها قوة من حيث السيطرة ولكنها تتجنب الدعاية فلا توجد ضمن الاسماء التى يتضمنها دليل الاعمال التجارية أو ربما تختفى وراء أسماء وعناوين أخرى •

هذه الاحتكارات الامبريالية الكبرى المتشابكة المعقدة هى التى تكشف عن القوى الحقيقية وراء الاحداث العالمية • انها تشير الى النمط الذى يربط بين هذه الاحداث وبين الدول النامية فى أطراف الكرة الارضية المختلفة • انها تكشف عن ازدواج المصالح ، هذا الازدواج الذى يفرض على البلاد النامية أن تستورد السلع وتستورد الخدمات التى تقوم بانتاجها الشركات الداخلة فى جماعات الاحتكار التى تستغل مواردها الطبيعية أو التى تتصل بها اتصالا وثيقا • هذا هو سلاح الحياتين ذو الحدين الذى يقتطع ثروة أفريقيا من القــارة الافريقية والذى يعود بالثراء على البلاد التى تمتص موادها الاولية ثم تردها لها مرة أخرى على شكل منتجات مصنعة •

وفى استقلالها الجديد تعود الدول الافريقية وتضطر الى أن تلجأ الى هذه الجماعات الاحتكارية كى تمدها بما هى فى حاجة اليه من أشياء لازمة لوضــع أسس تحولها الاقتصادى • ان سياسة عــدم الانحياز ـ حيثما توجد ـ تفرض التعامل مع الاطراف المختلفة • ولكن لما كانت الرأسمالية قد وصلت الى ذروة الاحتكار فقد أصبح من المستحيل علينا أن نتجنب التعامل مع الاحتكار فى شكل أو فى آخر • ولكن طبيعــة تعاملنــا مع الاحتكار هى التى تحــدد حرية الدول الافريقية أو عدم حريتها • فاذا ما أمكننا أن نجعل مؤسســاتنا الماليــة متكاملة ونبعد مشروعاتنا الاساسية عن السيطرة الامبريالية أمكننا أن نكون بمنأى عن الاستعمار الجديد الذى أطبق بقبضته ـ مع الاسف ـ على البــلاد التى غطى على استقلالها الاعتماد الكلى على الهيئات الواقعة خارج القارة الافريقية • ففى هذا الجو

من الحرية النسبية تقوم المؤسسات العملاقة بمشروعات صناعية فى بلادنا تتخفى تحت ستار تنمية قومية مخططة. ان البنوك الاهلية هى بنوك أهلية حقيقة أنشئت بموارد البلاد ، كما تحتاط هيئاتنا الماليــة والاقتصادية الاخرى ضــد تسرب الاستعمار الجديد .

ولكن مما يؤسف له أن هذه الاحوال نادرة فى القارة الافريقية، فمعظم البلاد الافريقية قد انتقلت الى حالة السيادة القوميــة فى ظروف لا تتيح لها الا أقل ما يمكن من حرية الحركة داخل نطاقهــا القومى . ولكن يمكن التغلب على ذلك بتجميع القوى وتوحيد القارة . واتبــاع سياسة اشتراكية لا ترتبط بالقارات الاخرى أو تتقيد بها . أما والحالة كذلك فنحن نجد أن معظم الدول الجديدة وقد أفزعها الخوف من شظف الفقر والمرض والجهل وافتقارها الى الموارد المالية والفنية بعد أن لفظها الاستعمار تشعر بعدم الميل نحو قطع الحبل السرى الذى كان يربطها بالاستعمار الام . ويغذى هذا التردد هذه المياه المعسولة ـ المعونة ـ التى يأملون منها أن تسد الهوة التى تفصل بين الجوع وبين الامل فى التغذية الذى لا يتحقق مطلقا . ونتيجة لذلك فان الامبريالية بعــد أن تخلت عن السيطرة السياسية المباشرة قد احتفظت بل ووسعت قبضتها أو سيطرتها الاقتصادية عن طريق اغراء الاستعمار الجديد .

وكان من نتيجة زيادة التوسع فى الكفاية الانتاجية وفي الانتاج من جانب الدول الرأسمالية المتقدمة أن شعرت بضرورة تصدير منتجاتها المصنوعة وفائض رأسمالها الذى ان بقى داخل البلاد أدى الى تضخم فى المنافسة ولكنه يعود بعائد سريع اذا استغل فى البلاد « الجائعة » صناعيا . ومن ثم كان النضال للحصول على مركز فى هذه المناطق وفى مناطق المواد الخام لاحتكارها ، هذا الاحتكار الذى يستغل أفريقيا لا فى الحرب الباردة فحسب (التى هى مظهر من مظاهر النضال من أجل البقاء بين الرأسمالية والاشتراكية) ولكن فى النضال التنافسى للاحتكار الدولى . فارتفعت واردات أمريكا الشمالية الى أفريقيا من ٣ر١٠٪ فى عام ١٩٥٩ الى ٧ر١٣٪ فى عام ١٩٦٢ ، بينما بقيت الواردات من الدول الغربية واليابان على

ما هى عليه أو ربما انخفضت قليلا . وهذا راجع الى زيادة الاستثمارات الامريكية فى صناعات القارة الافريقية والى نمو اسهام الولايات المتحدة فى المؤسسات المالية فى القارة . وتشق البيوت المالية طريقها فى أقاليم كانت وقفا على المصارف الاوروبية والبريطانية . أما المصارف الفرنسية فما زالت هى المسيطرة فى البلاد التى كانت تابعة لفرنسا ، وكذلك الامر بالنسبة للبلجيكيين فى الكونغو . ولكن أصبحت هذه جبهة للاستثمار الامريكى الآن .

ويشير المستشارون الماليون الاوروبيون على الدول الافريقية بالمزايا التى يتمتعون بها نتيجة بقائهم مرتبطين بالدولة الاوروبية التى كانت « الدولة الام » فى وقت من الاوقات ، كما أنهم يحطون من قيمة ارتباط الدول الافريقية بعضها ببعض . ويستخدم لومبارد اللباقة المتناهية فى مقاله الذى نشره بصحيفة « فيننشيال تايمز » ـ وهى الصحيفة اللندنية ذات النفوذ الكبير ـ فى عددها الصادر فى ٦ فبراير ١٩٦٤ وفيه يقول « ليس هناك ما تستطيع الدول الافريقية أن تقدمه كى تساعد الواحدة منها الاخرى فى المجال المالى فى هذه المرحلة من تطورها الاقتصادى » وهو لذلك يعبر عن « سروره اذ يرى الدول الافريقية المستقلة قد بدأت ترى أن من مصلحتها أن تحتفظ بالروابط المالية مع الدول الاوروبية الكبيرة ، هذه الروابط التى ورثوها من عهد الاستعمار . وهم يشكون كثيرا فى أن الحماس الذى تبديه الدول الام لابقاء الدول الافريقية مرتبطة فى نقدها بها مبعثه اعتبارات المصلحة الذاتية » .

وقد أكد لومبارد لقرائه أن الافريقيين أظهروا حكمة عندما قامت سكرتارية اللجنة الاقتصادية الافريقية ـ التى كانت تعاون هيئة الوحدة الافريقية فى تنفيذ القرار الخاص بانشاء غرفة أفريقية للمقاصة واتحاد للمدفوعات ـ بطلب المشورة من بروفسور تريفين ـ الحجة الامريكى فى شئون النقد والاستاذ بجامعة ييل . ولذلك هل هناك ما يدعونا الى الدهشة عندما نجد هذا الاستاذ يشير فى تقريره الى أنّ قصم الارتباطات المالية مع شركات التجارة الكبرى ومع المراكز المالية عمل لا يتسم بالحكمة. اننا بطبيعة الحال نعتبر هذا تغلغلا للاستعمار الجديد أما بالنسبة

الى لومبارد فهو أحـد وجهى الصـورة • فهناك عالمان وعلى الدول الافريقية أن تحاول الاستفادة قدر الامكان من العالمين ، ويكون هذا عن طريق الاحتفاظ أو حتى تنمية العلاقات مع مناطق المال الدولية الكبرى ، وفى نفس الوقت تبنى أجهزتها المالية الخاصة بها • ولا يتطوع لومبارد ليشرح لنا كيف يمكن حل المتناقضين ، ولكنـه يعترف أن هـذا الاجراء الثنـائى سيقابل بالموافقـة التامة من جانب شركائهم •

ونحن لا نجد صعوبة فى تصديق ما يقوله لسبب بسيط واحد، هو أن أولئك الذين يسيطرون على الاجهزة المالية الدولية يضعون قنابلهم الزمنية داخل الاجهزة المحلية الافريقية • وذلك لان هذه الاجهزة الاخيرة يسيطر عليها المحتكرون الماليون من الاستعماريين ورجال المال ورجال البنوك الذين أمضوا وقتهم فى السـنوات القليلة الاخيرة يقيمون المنشآت فى أنحاء أفريقيـا ويتسللون الى قلب البـلاد الاقتصادى ويرتبطون مع أهم المشروعات التى توضع بقصد استغلال موارد القارة الطبيعية لمصلحتهم الشخصية أكثر من أى وقت مضى •

وبالرغم من أن هدف رجال الاستعمار الجديد هـو السيطرة الاقتصادية الا أنهم لا يقصرون عملياتهم على المجال الاقتصـادى فحسب • انهم يستغلون نفس طرق الاستعمار القديمة مثل التسلل من جهة الدين أو جهة التعليم أو جهة الثقافة • فمثلا نرى فى البلاد الافريقية المستقلة عددا كبيرا من المدرسين الاجانب والملحقين الثقافيين الذين يحاولون التأثير على الشباب ضد بلادهم وضد شعبهم• انهم يفعلون هذا بواسطة زعزعة ايمانهم فى حكومتهم الوطنية وفى النظام الاجتماعى، وفى نفس الوقت يمجدون آراءهم وأفكارهم عن حكم البلاد وينسون أن الحكمة السياسية لم تعد حكرا على أحد •

ولكن هذا التمرد غير المباشر لا يعـد شيئا مذكورا بالمقارنة بالاكتساح السـليط الذى يقوم به الرأسـماليون الدوليون • وهذه امبراطورية أخرى ، امبراطورية رأس المال ، وهى عبارة عن شبكة واسعة من النشاط الذى يتم بين

القارات بعضها وبعض على مستوى منوع يسيطر على أرواح ملايين الناس فى بلاد العالم المتباعدة مستغلا عمل بعض الشعوب وثرواتها لاشباع نهم الاقلية • وهنا يكمن منبع السلطة الذى يوجه السياسات والذى يقف عقبة فى وجه تقدم تيار الحرية بين الشعوب الافريقية المستغلة • هذا هو العدو الصلب لاستقلال أفريقيا ووحدتها على شكل سلسلة دولية من المصلحة المشتركة ، والذى ينظر الى اقتراب الدول الجديدة بعضها من بعض كضربة قوية موجهة ضـد سيطرته على موارد الآخرين واقتصادياتهم • هذا هو الاستعمار الجديد • هذا هو الاثر الواسـع للشركات الاحتكارية • ان رقعة امبراطوريته المالية وامبراطوريته الاقتصادية هى القارة الافريقية جميعها ولا يمكن أن نتحداه الا على مستوى القارة جميعها • لن نستطيع أن نهزم هذا الاستعمار الا بتوحيد أفريقياووضعها تحت حكومة اتحادية واحدة •

الفصل الثالث

مالية الاستعمار

هـذه هى الحقائق المرة للموقف الأفريقى اليـوم • وهى عمليـــة بدأت واستمرت ونمت منذ أن غزت الدول الاوروبية والدول الاجنبية القارة الافريقية. وقد اكتسبت قوة دفع كبيرة فى السنوات الاخيرة بعد أن نما الصراع بين خصوم الامبريالية وبين الرأسمالية والاشتراكية •

وقد حلل لينين الامبريالية بأنها أعلى مرحلة من مراحل الاستعمار • وقد كتب تحليله فى منتصف ســـنوات الحرب العالميـــة الاولى ١٩١٦ التى نشبت لتحديد أو تقرير اعادة النظر فى السيادة الامبريالية • وتتبع تطور الرأسمالية الغير متساوى والذى جعل من أتوا بعد ذلك مثل ألمانيا والولايات المتحدة كى يكونوا اتحادات ونقابات قبل من أتوا قبل ذلك • وبهذه الطريقـة وصلوا الى درجة عالية من الاحتكار تحـدى بها بعضهم البعض الآخر ، كمـا تحدوا بقية الامبريالية العالمية •

ولقد استطاعت الرأسمالية الاحتكارية عن طريق الوحدات والاندماجات واتفاقيات براءات الاختراع واجراءات عمليات البيع وحصص الانتاج وتحـديد الأســعار وغيرها من الطرق المختلفة أن تكون اخاء دوليـا • ومع ذلك كان من نتيجة طبيعتها التنافسية التى منشؤها مبدأ الانتاج من أجل الكسب الشخصى وتطور الرأسمالية أن استمر نضال الاحتكارات داخل نطاق الشركات الدولية •

وانتهى الصراع بين البيوتات المالية والصناعية الاوروبية والامريكية بشأن اعادة تقسيم موارد العالم من المواد الخام ومن الاسواق لاستغلال رأس المال والسلع المصنوعة بانفجار أدى الى حرب عندما أصبحت الدبلوماسية عاجزة عن حل هذه المسائل • لقد كان من نتيجة الحرب العالمية ١٩١٤ ـ ١٩١٨ أن أعيد تقسيم قطاعات الاستعمار فى العالم ، وفى نفس الوقت قد أتاحت الفرصة لاحداث كسر اشتراكى فى سلسلة الامبريالية التى كانت تطوق العالم •

وكان انتصار ثورة اكتوبر الروسية ضربة قوية وجهت الى الرأسمالية المحتكرة • ومنذ ذلك الوقت لم تعد تواجه صراعا من أجل الزعامة داخل صفوفها فحسب بل الأسوأ من ذلك أنها أجبرت على أن تدخل فى صراع دفاعى ضد أيديولوجية معارضة • وكانت هذه الايديولوجية الاخيرة قد أحرزت نجاحا بينا عندما أخرجت سدس مساحة الكرة الارضية من ميدان الرأسمالية المحتكرة • وهى حقيقة لا ولن تغتفرها ، كما كانت تهدد بالقضاء على سلطان الامبريالية فى أماكن استراتيجية أخرى كانت قد لانت تحت تأثير ضربات الحرب • وعندما فشلت حرب التدخل التى شنتها لاخضاع الدولة الاشتراكية الاخيرة أقامت كوردونا صحيا حول الاتحاد السوفييتى لمنع انتشار عدوى الاشتراكية الى أجزاء أوروبا الاخرى • وقد شجعت الفاشية على أن تسند الرأسمالية فى المواضع التى أصيبت فيها بضرر أو قوبلت بعدم الرضا من جانب الشعب كما هو الحال فى ألمانيا وايطاليا ، كما تسندها كذلك فى البلاد التى ظلت توابع شبه استعمارية للأمبريالية الغربية ـ أسبانيا والبرتغال •

كانت هذه الوسائل عاجزة عن أن تساير الأزمات التى كانت تقطع أوصال الرأسمالية ، كما أنها كانت تزيد من حدة النزاع ومرارته ، هذا النزاع الذى ثار على شكل حرب عالمية ثانية عام ١٩٣٩ • ومن هذه المجزرة البشرية برزت الاشتراكية كنوع من التحدى أكثر تهديدا للامبريالية عن ذى قبل • وفى نفس الوقت قمنا نحن ـ الذين كنا شعوبا فى امبراطورية الامبريالية ـ وأدركنا أننا نستطيع أن نسيطر على مصيرنا وبدأنا نطالب بالاستقلال • وهكذا وجدت

الامبريالية نفسها تواجه تحديا فى جبهة أخرى ـ الجبهة الاستعمارية ـ فى وقت كان العلم قد رفع فيه من قدرة جهاز الرأسمالية الانتاجى ، الأمر الذى يتطلب زيادة الحاجة الى المواد الخام والى الاسواق لتوزيع موادها الاولية المنتجة كيمائيا وتوزيع سلعها ، كما كانت فى حاجة الى تشغيل فائض رؤوس أموالها • ونتيجة لهذا التحدى الموجه الى الامبريالية من مناهضى الاستعمار ومن الاشتراكية فقد وجدت نفسها فى نضال مميت للبقاء ضد القوى المعادية لها • وفى هذا الصراع المتشعب النواحى وجدت الامبريالية نفسها مجبرة على أن تستخدم كثيرا من الاساليب للمحافظة على نفسها وذلك بأن تستمر فى عمليتها الاستعمارية دون التمتع بالسيطرة الاستعمارية •

وقد استطاعت الدول الاستعمارية العظمى أن تحتكر التجارة الخارجية وتحتكر انتاج المواد الاولية الزراعية والصناعية فى البلاد الخاضعة لها • أن مستعمرات الدول غير الكاملة التصنيع مثل البرتغال التى ظلت طيلة عدة قرون كأحجار الشطرنج فى يد بريطانيا أصبحت شبه مستعمرة للمالية البريطانية وأصبح رأس المال البريطانى يسيطر عليها بالاضافة الى البنوك الدولية المرتبطة بها • أما السيطرة البلجيكية المالية على الكنغو فيقاسمها فيها المالية البريطانية والفرنسية والامريكية وذلك نتيجة للعلاقة الوثيقة بين الاجهزة المصرفية البلجيكية وبين البيوت المالية الدولية مثل روتشيلد واخوان لازار وشرودر •

وقد مكنت الأتاوة التى يفرضها الاستغلال الاستعمارى وشبه الاستعمارى على الطبقات الرأسمالية من أن تلقى بعض الفتات الى الطبقات العمالية ، وكانت النتيجة شراءهم (خاصة اتحادات العمال والزعماء السياسيين) عندما تحرج الصراع الطبقى • وفى نفس الوقت كان من نتيجة المنافسة من أجل الحصول على منابع المواد الخام وزيادة تصدير رؤوس الاموال والسلع بسبب تحسن طرق الانتاج أن كانت البضائع تخرج من المصانع على نطاق واسع •

ان تطور الرأسمالية غير المتكافىء ادخل منازعين جدد الى الميدان ، وهؤلاء اشتركوا فى المنافسة التى كانت تستهدف تخاطف المستعمرات • وقد ازداد عمق هذا التنافس شيئا فشيئا حتى حدث الانفجار فى صورة الحربين العالميتين اللتين برغم كل الصفصطة التى قيلت من أنهما نشبتا من أجل الحفاظ على الديمقراطية ، الا أنهما فى الحقيقة كانتا حروبا تستهدف اعادة تقسيم العالم بواسطة الرأسمالية المحتكرة • ويقول كلوزويتز « ان الحرب هى استمرار للسياسة بوسائل أخرى » • فعندما عجزت الشركات عن تحقيق سيادتها فوق مناطق أوسع من ذى قبل بطريق المنافسة السلمية دفعت بلادها للقيام بعمل عسكرى لتحقيقها • وهذا من شأنه أن يعطيهم مجالا أوسع للعمل، فوق أنه يحطم قوة منافسيهم •

ولم تقتصر عملية اعادة تقسيم العالم على القطاعات غير المتقدمة بل امتدت الى المناطق ذات التصنيع العالى • فمثلا كان اقليم الالزاس واللورين الصناعى الهام مطمعا للالمان عند غزوهم لفرنسا فى حربى ١٨٧١ و ١٩٣٩ كما كانت الرغبة فى ضم مصانع بوهيميا ومورافيا المتقدمة فى المجال الصناعى بشكل كبير الى الشركات الاحتكارية الالمانية هى التى أوحت الى هتلر بحملته ضد تشيكوسلوفاكيا، وطالما سال لعاب الرأسماليين الفرنسيين بسبب مناجم الفحم الغنية وبسبب الصناعات الكيماوية الموجودة فى أقليم السار لقربه من أقليم اللورين حيث الحديد الخام ، ولذلك انتهزوا فرصة الاعداد للصلح فى عام ١٩١٩ لضمهما الى فرنسا على سبيل التعويض • وفى استفتاء تم بعد ذلك ضم أقليم السار الى المانيا • وبعد الحرب العالمية الثانية عقدت اتفاقية بين ويندل وشنيدر وكروب لعمل اتحاد جمركى بين اقليم السار الالمانى وبين فرنسا مما جعل السار معتمدا على امبراطورية دى ويندل للفحم والصلب •

لقد انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة هتلر وبخيبة مؤقتة للرأسمالية الالمانية التى اضطرت أن تخضع لحفنة منعشة من مالية الاحتكار الامريكى • وفى

نفس الوقت كان العالم الاستعمارى يقوم بحركة مما جعل ونستون تشرشل يقول ان البريطانيين لم ينصبوه رئيسا للوزارة كى يقوم بتصفية الامبراطورية البريطانية • لقد أخذت بذور الكلمات المعسولة عن الحرية والتى كانت تذاع على أركان الكرة الارضية الاربع تنبت وتنمو ، ولم يكن هذا هو المقصود منها فى ذلك الوقت • لقد أصبح التحرر من الاستعمار هو الظاهرة السائدة فى منتصف القرن العشرين مثلما كان تحريم الرق هو النغمة السائدة فى مثل هذه المدة فى القرن التاسع عشر ، وكان لكل منهما نتائج خطيرة بالنسبة للسياسة والاقتصاد الوطنيين والدوليين •

وكما تلقت الرأسمالية ضربة شديدة عقب الحرب العالمية الاولى بقيام الاتحاد السوفييتى تلقت هزيمة ساحقة أخرى بقيام نظم الحكم الاشتراكية فى عدد من الدول فى وسط أوروبا وشرقها وفى الصين • لقد سحبت منها منابع واسعة للمواد الخام والاستثمار المالى وأسواق السلع • وشغل اعادة التعمير اهتمام البلاد الاوروبية فى بادىء الامر ، واستطاعت الولايات المتحدة أن تفيق قبل غيرها لكونها قد دخلت الحرب فى وقت متأخر ولسلامة بلادها من دمار الهجوم وبسبب قوتها الانتاجية والابتكارية كمورد أساسى للآلات الحربية والخدمات العسكرية ، وكانت النتيجة أن استولت على المكانة الاولى التى كانت لبريطانيا فى الاحتكارات المالية الدولية •

وكان من نتيجة تصدر الولايات المتحدة فى مجال المال أن اتجهت سياستها الخارجية اتجاها على نقيض اتجاهها قبل الحرب • فمن عزلة تامة تحولت الى سيادة وسيطرة على الشئون العالمية • وكان من نتيجة ظهور دول جديدة كانت غارقة فى الاستعمار أن برزت مشكلة محورية ، وهى كيف يمكن الاحتفاظ بهذه الدول داخل الاطار الاستعمارى بعد أن زالت عنها السيطرة الاستعمارية السافرة • وهنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل الامبريالية وهى تعديل الاستعمار

حتى يناسب الوضع الجديد الذى يتسم بزوال السيادة السياسية التى كانت الدول المستعمرة تتمتع بها ، وهى المرحلة التى يحافظ فيها على الاستعمار بوسائل أخرى ٠

ولا يعنى هذا أن الطراز القديم كان قد زال تماما ٠ فهناك من الأدلة ما يوضح أن الدول الامبريالية ما زالت متمسكة بمستعمراتها ٠ ومن أمثلة ذلك فيتنام وكوريا والسويس والجزائر التى تبين كيف أن الدول الامبريالية تفعل المستحيل كى تحتفظ ماديا بمستعمراتها ٠ وقد ثبت هذا الاتجاه تدخل أمريكا وقيامها بلعب الدور الاول فى النضال من أجل سيطرة رأس المال فى المجال الاحتكارى العالمى ٠ وقد ألبس هذا الصراع ثوب أيديولوجى بالقول بأن مركز المعركة هو مناهضة الشيوعية، وذلك لاعادة القطاع الاشتراكى فى العالم الى قبضة الاحتكار المالى الغربى المستغل . وتشكل كوبا مثلا بارزا لمحاولة هذه الدول اعادة سيطرتها على بلاد سبق أن لفظتها بغية الاحتفاظ بقلعة استراتيجية فى نضالها من أجل تجديد سيادتها على العالم الاشتراكى المعادى للامبريالية ٠

وتعتبر السيطرة على منابع الوقود الدافع الاول فى المنافسة الجنونية بين دول الاحتكار ٠ لقد تبادلت فرنسا والمانيا أقليم السار بسبب مناجم الفحم الهامة التى فيه ٠ وبالمثل استمرت المعركة من أجل البترول منذ سنى ما قبل الحرب العالمية الاولى ٠ لقد أصبح بترول الشرق الاوسط الهدف الهام لهذه الحرب ، كما استمر النضال بعد الحرب بواسطة الطرق الدبلوماسية والاقتصادية داخل النطاق القومى وعلى المستوى الدولى ٠ وقد قامت شركات مورجان بمنافسة روكفلر للسيطرة على البترول وكانت الاولى قد مدت نفوذها على منطقة نفوذ الشركة الانجليزية الهولندية والتى كانت يوما ما خاضعة لنفوذ شركات روتشيلد واخوان لازار والبنك الالمانى ٠

وكانت المعركة الجنونيةمن أجل احتكار البترولهى العامل الاساسى فى اخماد الحركات الشعبية التى قامت فى المستعمرات وفى أشباه المستعمرات فى الشرق

الادنى والشرق الاوسط والشرق الاقصى وفى أمريكا اللاتينية وفى شمال أفريقيا • ان سلسلة الاحداث التى وقعت فى ايران والعراق والكويت وعدن والسعودية وكوبا وفنزويلا والبرازيل وبرونى والجزائر والتى اتسمت بالعنف والثورة والحرب كان مبعثها الصراع من أجل السيطرة على منابع البترول • كما اجتذبت آبار البترول فى البلاد الاوروبية ـ مثل جرونتجن فى هولنده ـ المنافسة على هذه المراكز الصناعية كما سبق أن فعل الفحم والحديد من قبل •

ولم يكن التنافس القائم بين الشركات مقصورا على الانتاج وحده ولكنه امتد الى توزيع منتجات البترول والى الصناعات البترولية الاضافية التى استجدت • وهناك صراع شديد قائم فى جميع انحاء العالم نتيجة للزيادة الحادة فى كمية البترول المستهلكة والتوسع فى هذا الاستهلاك • ومنذ البداية كان يسيطر على صناعة البترول أقوى البيوت المالية مثل روكفلر وروتشيلد ومورجان وذلك بسبب الارباح الطائلة التى تحققها • واليوم وبالرغم من الأتاوة الضخمة التى يدفعونها للبلاد المنتجة للبترول فما زالت الارباح آخذة فى الارتفاع •

ويبلغ الاحتياطى الذى تحصله شركات البترول بلايين الدولارات • ويستغل جزء كبير منه فى الخارج ، وقد سبقت أمريكا فى ذلك كل ما عداها • والى جانب هذا الاحتياطى المحصل من البترول يجب أن نضيف المبالغ الطائلة المتحصلة من احتكار المعادن وغيرها من المواد الخام ، ومن احتكار المواد الغذائية ومن الامبراطوريات الزراعية والصناعية ، ومن احتكار شبكات التوزيع ومن الاعدادات العسكرية والحروب العديدة التى نشبت ضد الشعوب المستعمرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ومن تطوير الاسلحة النووية الخاصة بالدمار ومن سباق بحوث الفضاء •

وتحتوى الرأسمالية على كثير من المتناقضات أساسها جميعها فكرة انتاج السلع • قلة من الاغنياء وكثرة من الفقراء • فقر وجوع وسط تخمة • حملات التحرر من الجوع والاعانات التى تعطى مقابل تحديد المحصول • والأغرب من

ذلك كله استمرار التجارة فى نفس أنواع البضائع والمنتجات والسلع بين البلاد بعضها وبعض • ويبدو كما لو كان كل شخص مشغولا بالاستيلاء على ما عمله الآخر • ومرد ذلك كله ليس الحاجة وانما الرغبة فى تحقيق الربح وتوسيع مناطق الاحتكار • وعلى قمة هذه العملية نجد السوق الاوروبية المشتركة التى أصبحت أداة للاستثمار الدولى والتى تسيطر عليها البيوت المالية الامريكية وأذنابها البريطانية •

والمجموعة الاوروبية ـ التى تشكل السوق الاوروبية المشتركة أحد مظاهرها ـ ليست فكرة جديدة • لقد سبقنا الى الكلام عنها هوبسون فى نقده للامبريالية « كاتحاد أوروبى يضم الدول العظمى التى لا تعمل على تقدم قضية المدنية العالمية والتى تحمل خطر الطفيليين الغربيين الذين هم مجموعة من الدول المتقدمة صناعيا والذين تحقق الطبقات العليا منهم أرباحا طائلة من آسيا وأفريقيا ، معتمدين على طائفة كبيرة من الوطنيين الذين لا يعملون فى الصناعات الضرورية للزراعة والصناعة ، وانما يقومون بخدمات شخصية أو خدمات صناعية تافهة تحت سيطرة أرستوقراطية مالية جديدة »• وهذه هى الامبريالية الجماعية •

وهذا بالضبط هو عين ما حدث • لقد أدت المنافسة بين الجهات المحتكرة الى خلق منظمات للاعلان على مقياس واسع ومنظمات للعلاقات العامة التى تشتغل لا فى بيع البضائع فحسب ولا فى الخدمات فحسب ولكن فى بيع الشخصيات أيضا • وتستخدم هذه المنظمات أجهزتها المختلفة ـ الصحافة والاذاعة والسينما والتليفزيون ـ جيوشا جرارة من العاملين فى أعمال لا تزيد عن أن تكون أعمالا طفيلية ما كان يجب أن يكون لها مكان فى مجتمع عاقل حكيم ينتج من أجل الاستهلاك لا من أجل تحقيق الارباح • أما والامر كذلك فتستثمر مبالغ طائلة بواسطة الشركات كما تحصل هذه الشركات على مبالغ طائلة نظير قيامها بهذه المشروعات •

ولكن ما هذا الا مظهر طفيف من مظاهر النشاط المالى الذى يقوم به العالم الرأسمالى اليوم بحماس هو أقرب ما يكون الى الحمى • ففى كل أسبوع بل وفى كل يوم ـ وبطريقة منتظمة رتيبة ـ نرى نفس الاسماء تتكرر كموردين للعطاءات نيابة عن الشركات الكبرى ، أو كمؤمنين على الاكتتاب ، أو كمصدرين لأسهم جديدة ، أو كحملة سندات ، أو كمشتركين فى هبات مالية جديدة للاستثمارات الدولية ، أو كمساهمين فى المصانع الجديدة التى توسع من نشاط الاحتكار فى جهات جديدة وبلاد جديدة •

ويبدو نشاطهم أكثر ما يبدو فى بلاد الست دول المشتركة فى السوق الاوروبية وفى غيرها من البلاد التى ما زالت تأمل فى أن تنضم الى هذه السوق اما كأعضاء أصليين أو كأعضاء منتسبين • ودخولهم هذه السوق هو بقصد تخفيف الحواجز الجمركية أو التجارية • ولكن الواقع أن بعض البلاد الاوروبية الرئيسية تعمل كتوابع مالية للبنوك والمصارف الهامة مثل التى تسيطر على جماعات الاحتكار • وبالرغم من كل السلطة التى تتمتع بها المصارف الهامة مثل الشركة البلجيكية العامة ، بنك بروكسل ، بنك الكريديه ، بنك لامبر وبالرغم من كل السلطة التى تتمتع بهاهذه الجماعات الصناعية المالية الهامة مثل صولفى، بويل ، بروفينا كوفيندوس وبتروفينا بالرغم من كل ذلك فان بلجيكا ـ وتابعتها لكسمبرج ـ ما هى فى الحقيقة الا مستعمرة مالية يسيطر عليها رأس المال الامريكى • ففى عام ١٩٥٩ أنشأ الاجانب فى بلجيكا تسعا وثلاثين شركة • وفى عام ١٩٦١ ارتفع عدد الشركات الاجنبية الجديدة الى ٢٣٧ • وارتفعت الاموال المستثمرة من خارج البلاد من ٢٤٥٧ مليون فرنكا بلجيكيا فى عام ١٩٥٩ الى ٦٦٦٤ مليون فرنكا بلجيكيا فى عام ١٩٦١ • و ٦٠ ٪ من هذا الرقم الاخير ـ أى ٣٩٧٩ مليون فرنكا بلجيكيا من مصادر أمريكية • وقد قال هنرى كوستون فى كتابه الذى عالج موضوع انتشار المصارف والبنوك أن هذا الاستثمار لم يقتصر على بلجيكا نفسها وحدها بل تعدّاها الى مستعمراتها السابقة • وقد اختتم كوستون كلامه بقوله : « ولعل هذا هو ما يدعونا أن نسائل أنفسنا عما اذا كانت هذه الاحداث الدامية التى تقع فى الكنغو ليس سببها الصراع الذى لا يرحم والذى يحدث بين جماعات المال المتنافسة » •

وقد ازدهر رأس المال الامريكى فى أثناء الاحتلال الذى تم فى أعقاب الحرب. فالصناعة الالمانية والاعمال المالية الالمانية المتصلة بالصناعة الامريكية والمالية الامريكية قد توغلت فيها جماعات الاحتكار القوية التابعة للولايات المتحدة . فالمصارف الالمانية العملاقة مثل البنك الالمانى ، بنك درسدنر ، دسكونتو جسيلشافت ، والبنك التجارى والشركات الضخمة الكبرى مثل كروب ، باير ، باديش انيلين وصودا فابريك ، هوشست ، سيمنز - كلها مرتبطة برأس المال الامريكى وتابعة له الى حد كبير . وتقف المصارف الايطالية والصناعات الايطالية نفس الموقف . فالبنك التجارى الايطالى ، بنك روما ، البنك المتوسط ، الكريديه الايطالى - كلها مرتبطة الى حد كبير برأس المال الامريكى ، اما مباشرة أو غير مباشرة . ويمكننا أن نتتبع نفس الامثلة فى اليابان وكندا واستراليا ونيوزيلنده. وقد عبر لورد بيرستد مدير شركة صمويل فى الاجتماع السنوى المنعقد فى عام ١٩٦٣ عن الاعتماد المالى على أمريكا عندما كان يتحدث عن امتلاك شركة مورجان لـ ⅓ ١٦ ٪ من أسهم شركة صمويل بأن قال : « ونحن لسنا أول بنك تجارى تمتلك المصالح الامريكية جزءا من رأس ماله » .

ان هذا التصريح المؤسف ما هو الا اعتراف عام بخضوع أوروبا للاحتكار المالى الامريكى ، هذا الاحتكار الذى تعبر عنه الاحلاف الاستراتيجية والسياسية التى تربط الرأسمالية الاوروبية بالرأسمالية الامريكية . ويدرك ساسة أوروبا ادراكا تاما ضعف موقفهم ، ولكنهم يشعرون أنهم غير قادرين على أن يفعلوا شيئا لتعديل الوضع . فالاستياء موجود وقد عبرت عنه فرنسا فى موقف جنرال ديجول فى أن يكون قوة ضاربة نووية قائمة بنفسها ، وفى عروضه على أديناور - المستشار الالمانى السابق - وفى محاولته ابعاد بريطانيا العظمى عن السوق الاوروبية المشتركة على اعتبار أنها الذراع الايمن للولايات المتحدة ، وأخيرا فى عروضه التى قدمها للصين ، وفى جولته فى أمريكا اللاتينية . وهذه كلها محاولات لوقف سيطرة أمريكا على أوروبا ولفرض استقلال فرنسا فى المجال الدولى . ولكن فرصة نجاح هذه المحاولات ضعيفة ، كما أن أثرها فى المجال

العالى سطحى . وهى كلها تعبر عن الصراع التنافسى العميق داخل الامبريالية الاستعمارية الموجودة أو المستترة تحت سطح الاتحادات والاحلاف . هذا الصراع المتأصل فى الدول المتنافسة نتيجة النمو غير المتكافىء للرأسمالية فيها .

ولقد أصبحت بريطانيا ـ رائدة الثورة الصناعية ـ ورشة العالم وناقلة بضائعه . وكان تدهورها نتيجة لنهوض الدول الرأسمالية الفتية النشيطة : المانيا وأمريكا . لقد كانت الحربان العالميتان اختبارا لقوتهما ضد الدول الرأسمالية القديمة ، واختبارا لكل منهما ضد الأخرى . ولقد خرجت الولايات المتحدة منتصرة فى كلتا الحالتين . وتستسلم مدينة لندن شيئا فشيئا لوول ستريت ـ كرمز لقوة المال العالمية . وهى تحاول أن تستعيد نشاطها بالدخول فى السوق الاوروبية المشتركة والخضوع للاحتكار المالى الامريكى . أما فى فرنسا فان رأس المال الفائض قد استثمر فى بلاد أوروبا الاقل تقدما مثل روسيا وبولندة والمجر ورومانيا ، وان كانت لبريطانيا والمانيا بعض الاستثمارات فى نفس الصناعات الاوروبية الثقيلة وفى التسلح وأعمال المناجم وآبار البترول . لقد اتجه الجميع نحو البلاد التى تنتج المواد الاولية مستغلين بعضها كمستعمرات تخضع لحكمهم خضوعا سياسيا ، أو مستغلين البعض الآخر كمجالات للاستثمار بشكل شبه استعمار .

ولما كانت الرأسمالية الالمانية والرأسمالية الامريكية قد بدأتا متأخرتين كان اندفاعهما نحو ضم المنشآت الصناعية واندماجها ونحو احتكار رأس المال أسرع من اندفاع كل من بريطانيا وفرنسا اللتين كان تفوقهما فى مجال الاستعمار مما يؤكد زعامتهما ، وكانتا تتصلان الواحدة بالاخرى فى بعض النقط وان كانتا تقفان من بعضهما فى المجال المالى الدولى موقف المنافسة . وقد تلقى الاحتكار المالى الالمانى ضربة بهزيمة ١٩١٨ عندما أعيد تقسيم المستعمرات ، ثم تلقى ضربة أخرى فى ١٩٤٥ . أما الرأسمالية الامريكية فقد استمرت تسير بخطى سريعة وكانت المنتصرة الحقيقية فى كلتا الحربين . ولم يكن الاحتكار المالى والصناعى

من جانب أمريكا مقصورا على أوروبا • فقد كان ميزان السلطة المالية فى الغرب قد أخذ يميل ناحيه آسيا وأفريقيا ، وهى عملية أخذت سرعتها فى الازدياد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، عندما إنكسر الحكم الاستعمارى •

لقد كانت اتحادات الشركات التى تكونت فى كثير من الدول الجديدة تدور حول نفس الجماعات المالية والصناعية التى كانت موجودة منذ دخول الحكم الاستعمارى • أما التغيرات التى حدثت فهى تغيرات للنفوذ داخل الجماعات نفسها • وكان النفوذ السائد هو نفوذ التشكيلات الامريكية لشركات مورجان وروكفلر ومن خلفهما توابعهما البريطانية والاوروبية • ان الاستعمار ليبعث من جديد فى صورة الائتلافات الدولية للاستعمار الجديد • وهذه الائتلافات التى تتم بين المنظمات المتنافسة تعكس الطبيعة العالمية التى اكتسبها الاحتكار المالى تحت سيادة أقوى أنواع الامبريالية ، وهى الامبريالية الامريكية • وهى تعتبر كذلك احدى علامات النضال من أجل البقاء بالنسبة للامبرياليات القديمة وهى تناضل الامبريالية الامريكية الجديدة التى تهيىء لها قوة انتاجها الفرصة للمضى قدما الى الامام يوما بعد يوم •

وتبذل المحاولات لتغطية أهداف الاستعمار السياسى الذى يسير بسرعة نحو التفكك بطبقة معسولة ، هى معاونة المناطق الاقل تقدما ، اذ هى المناطق التى تورد المواد الخام ، وهى مجالات الاستثمار وهى الاسواق التى تباع فيها السلع المصنعة والخدمات • وتهيىء عمليات استصلاح الاراضى والمشروعات الكهربائية والموانى والمطارات وغيرها من الخدمات الاصلية والاضافية مجالات جديدة لاستثمار رءوس الاموال وتهيىء فرصة الربح نظير الاحتكار ــ سواء فى الداخل أو فى الخارج • كذلك تتيح هذه المناطق الفرصة لاستخدام جيش جرار ممن يطلق عليهم اسم خبراء أو فنيين ــ وفى كثير من الاحيان لا يكونون على مستوى عال •

كذلك تجتذب المنابع الجديدة للسلع الزراعية والاستخراجية استثمارات رءوس أموال كبيرة • ويحل الاستيراد محل الاعتماد السابق على المصادر المحلية

لكثير من المعادن . فالعاملون فى مناجم النحاس الخام والحديد الخام فى الولايات المتحدة يتعطلون من أعمالهم لا بسبب استخدام الآلات فحسب بل لأن العمل فى استخراج المعادن فى أفريقيا وآسيا أكثر ربحا . ونجد فى بعض الاماكن أن تصنيع السلع من هذه المواد الخام أكثر ربحا من تصنيعها فى المناطق حيث اليد العاملة تكلف كثيرا . فمثلا فى بورتوريكو وغيرها من بلاد أمريكا اللاتينية حيث اليد العاملة رخيصة نجد أنها تصبح مراكز صناعية للسلع الاستهلاكية ، وكثيرا ماتصنع وترسل الى الولايات المتحدة لتنافس السلع الامريكية . وهذا مما يزيد فى ارباح رأس المال المستثمر .

وتخلق هذه العملية المعقدة ، عملية توازن العائد من الاستثمار الداخلى مع تدفق رأس المال على الاعمال الاستثمارية الاجنبية ، شقاقا خطيرا فى الموقف الاقتصادى الداخلى فى كل دولة رأسمالية فى الغرب . ونشعر بهذا فى وضوح فى موقف ميزان المدفوعات . وحتى الولايات المتحدة التى تمتلك من احتياطى الذهب ومن النقد الاجنبى كميات طائلة جدا قد وصلت الى مرحلة جعلتها تدخل فى أزمة ميزان مدفوعات ليس فى صالحها كما سبق أن حدث للدول الاوروبية العسيرة الحظ .

وبالرغم من ارتفاع الانتاج فما زالت مشاكل الزراعة مصدر حيرة للموقف الاقتصادى حتى فى البلاد التى ترتفع اقتصادياتها بسرعة مثل المانيا الغربية وايطاليا وفرنسا . أما فى أمريكا فنجد أن المزارع الصغير ما زال يعيش حياة هى أقرب ما يكون الى الفقر أو أقل منه . بينما المزارع الكبرى التى تستخدم فيها الآلات والتى تمتلكها الشركات المالية الكبرى تعيش فى بحبوحة . ان الاسعار المضمونة للمنتجات التى تدخل مخازن الحكومة والتى تدفع ثمنها الحكومة تجعل الزراعة على المستوى الكبير عملية تدر ربحا كبيرا لرأس المال فى الولايات المتحدة. وان كانت تنقل الى الحكومة مشكلة مضنية ، هى مشكلة ما يمكن عمله بالفائض الذى لم يمكن بيعه نتيجة للأسعار المرتفعة .

وتدعو الحاجة الى العثور على منفذ للمنتجات الزراعية ولمنتجات الشركات الصناعية والتجارية التى تتدفق بكميات هائلة من رأس المال الغربى ـ وخاصة رأس المال الأمريكى ـ كى يدخل فى بلاد أجنبية ذات مستوى تصنيعى مرتفع ٠

وتثبت الحقائق والارقام أن التجارة والاستثمار بين الدول ذات التصنيع العالى بعضها وبعض تفوق التجارة والاستثمار مع الاقاليم الاقل تقدما٠ وهذا يؤيد وجهة النظر التى تقول أن الامبريالية لم تعد مقصورة على قطاعات العالم المنتجة للمواد الاولية٠ ومع ذلك فالحقيقة البارزة هى أن نسبة الربح من الاستثمار فى البلاد الاقل تقدما أكبر منها فى البلاد الصناعية٠ ففى البلاد الأخيرة نجد أن المنافسة بين هيئات الاحتكار على أشدها ، وأن المصالح المحلية تقاوم بشدة المصالح الوافدة ٠ وبالرغم من ذلك فتستطيع الجماعات المالية العالمية المسيطرة ـ بالنسبة لطبيعتها الامبريالية ـ أن تتغلب على الاحتكارات المحلية ، وهكذا تعمق سيادتها على اجزاء أكبر من الكرة الارضية ٠

ولذلك كان أيسر بالنسبة للمالية الامبريالية أن تشق طريقها شيئا فشيئا داخل البلاد النامية حيث تحطم الحكم الاستعمارى أو هو فى طريقه الى التحطيم ٠ وتحت ضغط ضرورة الحصول على رؤوس أموال للصرف منها على التنقيبات الجيولوجية وعلى فتح حقول جديدة للمعادن المستخرجة يدعو رأس المال الوطنى رأس المال الدولى لمعاونته ٠ ولقد نشطت هذه العملية نتيجة تحالف الاحتكارات المالية الوطنية دوليا مع الامبريالية ، وهى عملية زادت سرعتها فى هذا العهد الحاضر عهد القومية والاشتراكية ٠ وهكذا نجد أن كل أجهزة الامبريالية الدولية تغزو فى الوقت الحاضر البلاد الجديدة المحتاجة ٠

وتعمل هذه الموجة الجديدة من الغزو المفترس للمستعمرات السابقة تحت أسماء دولية مختلفة : الاتحادات المالية والصناعية ، منظمات المساعدة ، هيئات المعونة المالية ، وغيرها ٠ يعرضون التعاون فى مجالات التعليم والثقافة والاجتماع والتى تستهدف الطعن فى أنماط التقدم المحلى بغرض تحقيق الأهداف الامبريالية

للاحتكارات المالية • هذه هى أحدث الطرق التى يستخدمونهـا لاعاقة التنمية الحقيقية فى البـلاد الجديدة • وهـذه هى الزركشة التى يطلون بها الاستعمـار الجديد : ففى الظاهر معونة وتوجيه • وفى الباطن منفعة لمانحى المعونة ومنفعـة لبلادهم بالطرق القديمة والطرق الجديدة •

ويشير ب• تشانجو ماتشيو فى كتابه « المعونة والاستعمار الجـديد » الى وجود عدة تعاريف للمعونة ، فيقول :

« يختلف التعريف تبعا لاختلاف المعسكرات • فللأمم المتحدة تعريفهـا ، وللمعسكر الامبريالى تعريفة ، كما أن للمعسكر الاشتراكى تعريفة ، وربما كان لمعسكر عدم الانحياز تعريفـة أيضا • ولـكن هنـاك على وجه العموم تعريفـان رئيسيان : أحدهما يخص الامم المتحدة والثانى ما يفهمه مقدمو المعونة • فطبقا للأمم المتحـدة : تتكون المعونة الاقتصـادية من منـح وقروض على آجال طويلة لأغراض غير عسكرية بواسطة الحكومة أو المنظمات الدولية » • أما مقدمو المعونة فيضمنون هذا اللفظ رأس المال الخاص المستثمر والقروض ـ حتى ولو كانت لاجل قصير ـ كما يضمنونه القروض لأغراض عسكرية » •

ويقول بروفسور بنهام فى كتابه « المعونة للدول المتخلفة » : « مما يبعث السرور فى النفس أن تشعر انك تقدم المعونة لجـيرانك ثم تزيد من أرباحك فى نفس الوقت » • ولقد كان ما نسميه معونة اليوم يسمى استثمارا أجنبيا قبـل سقوط الاستعمار •

الفصل الرابع

الرأسمالية الاحتكارية والدولار الأمريكي

لقد صاحبت نهاية الامبراطورية وسائل أخرى من الاستعباد فأصبحت الامبراطورية البريطانية تسمى بالكومنولث . ولكن عائد استغلال الامبريالية البريطانية استمر فى ازدياد . فارتفعت أرباح شركات القصدير البريطانية بنسبة ٤٠٠٪ . وبلغت آخر نسبةلارباح حملة أسهم الماس البريطانية قرابة ٣٥٠٪ وقد أعلن مستر نهرو فى احدى المناسبات أن أرباح البريطانيين من الهند المستقلة هى أكثر من ضعف أرباحهم قبل ذلك، وأن رأس المال البريطانى المستثمر فى هذه البلاد ارتفع من ٢٠٦٥ مليون روبية فى عام ١٩٤٨ الى ٤٤٦٠ مليون روبية فى عام ١٩٦٠ ، وارتفعت جملة الاستثمارات البريطانية فى أفريقيا حتى وصلت ٦٥٠٠ مليون دولارا ، وبلغت الاستثمارات الفرنسية حوالى ٧٠٠٠ مليون دولارا والاستثمارات الامريكية ١١٠٠ مليون دولار . وفى مسح أجرى حديثا تتضح عملية السلب التى تقوم بها الشركات الاحتكارية البريطانية . فمن بين كل ٢٠ شركة احتكارية توجد ٩ شركات استعمارية مباشرة هدفها الاستغلال مثل : شركة شل ، وشركة البترول البريطانية ، وشركة الطباق البريطانية الامريكية ، وشركة الطباق الامبراطورية ، وشركة بورما للبترول، وشركة تشانجا للنحاس ، وشركة روكانا ، وشركة المناجم الروديسية وشركة جنوب أفريقيا البريطانية ، وخمس من هذه المناجم تستخدم لاستنزاف موارد أفريقيا الطبيعية . أما الشركات الاخرى فتعمل على زيادة حجم تجارتها. وتبلغ جملة صافى أرباحها ٢٢١ مليونا من الجنيهات

أى أكثر من نصف جملة صافى أرباح الشركات الاحتكارية العشرين • ومن الغريب أن هذه القائمة تغفل اثنين من أكبر الشركات العالمية ـ اللتين تعتبران دولة داخل دولة ـ وهما شركة يونيليفر وشركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية ، التى تستند عملياتهما على الاستغلال فيما وراء البحار •

وفى خطاب ألقاه سير أليك دوجلاس هوم رئيس الوزراء السابق فى حكومة المحافظين ـ فى ٢٠ مارس عام ١٩٦٤ ـ ادعى أنه يجهل معنى كلمة « الاستعمار الجديد » • وبينما كان سير أليك يلقى خطابه كانت بريطانيا مشغولة فيما أسمته صحفها « مناطق الازمات الكبرى » لاخماد الاضطرابات التى كان يوحى بها ويثيرها الاستعمار الجديد : فى عدن والجنوب العربى ضد اليمن ، وبورنيو وساراواك ضد أندونيسيا ، وقبرص وغيانا البريطانية ، والمحافظة على النظام فى كينيا وتنجانيقا وأوغنده • هل هذه هى نهاية الامبريالية ؟ •• الاجابة بالنفى طبقا لما ورد فى صحيفة الايكونومست الناطقة بلسان مصالح بريطانيا التجارية التى رأت أن تعلق بقولها :

« ان القواعد العسكرية والطرق المؤدية الى الشرق ومناوشات الحدود واخماد الثورات ـ كل هذه الاشياء من سمات القرن التاسع عشر التى لا يرتاح اليها أولئك الذين كان يحدوهم الامل فى أن زوال الاستعمار معناه نهاية المناورات العسكرية شرقى السويس • ولكن الحقيقة المرة تقول أنه ما زال لبريطانيا فى تلك المنطقة من الارتباطات العسكرية ما كان لها قبل أن يحل الكومنولث محل المستعمرات » •

(الايكونومست فى ٢٣ مايو سنة ١٩٦٤)

والقصد هو الوقوف فى وجه تقدم الدول النامية • وحتى عندما تقضى الظروف القيام بمشروعات ذات طابع صناعى يكون طابع الاقدام عليها التردد • وهدف الامبريالية الاول هو زيادة المجال الصناعى فى الدول الجديدة زيادة طفيفة جدا حتى تستطيع مقاومة الامبريالية ضد الاشتراكية • والملاحظ أن السواد

الاعظم من الدول الاقل تقدما ـ ومن بينها الاتحاد السوفييتى ـ قد اختارت الطريق الاشتراكى لتحقيق تقدمها القومى · وهناك بعض الدول ـ مثل الهند ـ حيث يسير النظام السياسى على نمط رأسمالية البورجوازية الديمقراطية ، الا أنها تختار الاشتراكية كهدفها الاقتصادى والاجتماعى · أما الدول التى بلغت القمة عن طريق مرورها فى مراحل الرأسمالية المختلفة فهى تتمسك بالنظام الذى أوصلها الى قمة الامبريالية · ان كلا منها لتجلس على قمة ضيقة خطرة ، ولكنها فى صراع دائم من أجل المحافظة على هذه القمة ·

ويزداد النضال حدة نتيجة نهوض المنافسين أو بعثهم من جديد ، وأنشط المنافسين هم ألمانيا واليابان · ولقد استفادت كلتاهما من « الحقن القوية » التى أعطاها لهما رأس المال الامريكى · وتحصل الشركات الاحتكارية الامريكية على الأرباح الطائلة نتيجة تقدمهاتين الدولتين فى مجال المنافسة الدولية· وعن طريق منافسة الشركات الالمانية واليابانية ضد الامبريالية الامريكية كثيرا ما نجدها فى تحالف مع خصوم الولايات المتحدة · ولذلك نجد أن ألمانيا تأتى بعد الولايات المتحدة مباشرة فى مجال المعونة المقدمة الى الدول النامية · ولما كانت الرأسمالية هى فلسفة المنفعة الذاتية مجسمة ، نجد أن حلفاء الشركات الاحتكارية الامريكية يستغلون موقف القوة الذى دفعوه الى النهوض بنموهم ·

ان هذا الصراع من أجل الصعود بين الدول الامبريالية مستمر ويتطلب البحث المستمر عن كل ما يمده بالقوة · والى جانب المعركة التى تخوضها الدول الامبريالية من أجل الصعود بينها، هناك المعركة الاخرى ضد المعسكر الايديولوجى للاشتراكية ، والتى يحاول الامبرياليون فيها جر الدول النامية كتوابع لهـا · وبهذه الطريقة تستغل الحملة ضد الشيوعية لتقوية الاهداف الامبريالية · ويقوم قادة الرأسمالية الاحتكارية فى كل مكان برسم صورة عن هذا النظام فى أذهان الناس بالالوان الاجتماعية والثقافية بحيث يبدو كأنه المدنية المثالية التى يجب أن يحاول الناس تحقيقها بأى ثمن · وهم يركزون على أن هناك طريقا فى الحياة يقضى عليها ـ أى على المدينة ـ اذا ناله تغيير ، ولذلك يؤكدون ضرورة استمراره

كمبدأ هام فى النضال ضد الشيوعية • وعندما قام هارولد ماكميلان ـ كرئيس وزراء بريطانيا ـ وقال أمام برلمان جنوب أفريقيا : « ان ما يجرى تجربته فى الوقت الحاضر ليس قوتنا العسكرية ولا كفايتنا الدبلوماسية والادارية قدر ما هو طريقنا فى الحياة» فانه يجمل أو يلخص التحويل الفعلى من دوافع اقتصادية الى فلسفة اجتماعية •

وقد قال هذا الى جانب اشارته بتغير اتجاه الرياح فى أفريقيا • وهو بقوله هذا انما يردد ما كان يمكن أن يقوله سياسيو الغرب • « فالموضوع ذو الاهمية العظمى فى الجزء الثانى من القرن العشرين هو هل تتجه الشعوب الآسيوية والشعوب الافريقية نحو الشرق أو نحو الغرب » • فالدول الامبريالية القوية مصممة على أن تتجه الدول الجديدة فى طريق الرأسمالية لان هذه الدول هى التى تمدها بحاجياتها الحيوية وهى مصدر معظم أرباحها • ثم ان التحرر الوطنى والمزايا التى تحققها التنمية الاشتراكية للدول التى خرجت من تحت سيطرة الاستعمار هى العوامل الكبرى التى تقرر الاستراتيجية الامبريالية نحو هذه الدول فى نضالها الداخلى وفى نضالها ضد الاشتراكية •

ويوجد قطاع حكومى فى كل الدول ـ حتى الدول الامبريالية الاحتكارية • ولذلك ليس بمستغرب أن نجد الدول النامية تركز اقتصادها • ويتوقف حجم القطاع الحكومى ومقدار توسعه حسب التخطيط على النظام الاقتصادى الذى يقع عليه الاختيار : هل هو رأسمالى أم اشتراكى • فهدف الدول الامبريالية فى تطبيق برامج المعونة الخاصة بها هو أن تجعل من القطاع الحكومى تابعا لرأس المال الخاص فنرى مثلا أن السياسة الاساسية لوكالة التنمية الدولية التى كانت تسمى قبل ذلك ادارة التعاون الدولى ـ هى « استخدام معونة الولايات المتحدة فى البلاد النامية بطريقة تشجع على النهوض بالقطاعات الخاصة فى اقتصادها • ومعنى هذا أن وكالة التنمية الدولية ليست على استعداد لان تمول المشروعات الصناعية العامة ـ وان كان هناك بعض استثناءات » •

ويجب على التنمية فى الدول الجديدة التى لا تسير على النظام الرأسمالى أن تفشل حتى تحقق مصالح الامبريالية الغربية • وقد ظهرت عدة مقالات فى

صحيفة « التايمز » اللندنية فى أبريل من عام ١٩٦٤ لخصت هذا النمط ولم تخف أسبابها أو تحيطها بالسرية « يجب أن يكون هدفا سياسة بريطانيا الخارجية العظيمان هو منع تغلغل الشيوعية فى دول العالم غير الشيوعى ٠٠٠ والحيلولة دون منع دخول تجارتها واستثماراتها فى أى جزء من أجزاء العالم » ٠ وتختتم الصحيفة مقالها بقولها : « وهذان الغرضان يؤديان بنا الى موضوع « الاستعمار الجديد » ـ الصراع على مناطق النفوذ التجارى والسياسى ـ فى البلاد غير الشيوعية خارج أوروبا وأمريكا الشمالية » ٠ وهكذا يكشف المحرر فى عبارة وجيزة حقيقة طبيعة النضال الايديولوجى بين الاحتكارات ٠ وتقود الولايات المتحدة هذا النضال لانها هى التى تقود الصراع بين الدول الامبريالية بعضها وبعض ٠ وبحكم أنها الدولة الامبريالية التى لها الزعامة فهى تعتبر نفسها خليفة الدول الاستعمارية المنسحبة وأنها هى التى تسد الفراغ الذى تركوه بعد أن استسلموا للحكومات الوطنية ٠ ومن أوضح الامثلة التى ترمز الى ذلك فيتنام والكونغو أى ترمز الى سياسة الاستعمار الجديد المسعور ٠ وهى أيضا أمثلة للعداء المر بين الامبرياليه الامريكية وغيرها من الامبريالات ٠ وتقول صحيفة « فرانس أوبزرفاتير » فى عددها الصادر فى ٤ يونيو عام ١٩٦٤ : « توجه الولايات المتحدة أحلك الاتهامات الى الدوائر الفرنسية التى تعمل فى فيتنام الجنوبية ٠٠ ويصرح الخبراء الامريكان المتخصصون فى الشئون الاسيوية أن الزراع الفرنسيين لا يقنعون بأن يدفعوا أتفه المبالغ الى جبهة التحرير الوطنية فى فيتنام الجنوبية ٠ بل انهم يقدمون المعونة ويخفون رجال العصابات الذين يقتفى جيش الحكومة أثرهم » ٠

وبالرغم من سياسة الولايات المتحدة العدوانية السافرة فهى تتظاهر دائما بأنها الدولة المناهضة للاستعمار ، وهى التى تندد بالامبريالية البريطانية ٠ ولكن هذا التظاهر ضعيف وكثيرا ما يسقط القناع أمام القرارات المضادة للاستعمار التى تضغط بها على الاغلبية الافريقية الاسيوية والاغلبية الاشتراكية فى الامم المتحدة عندما تجد الولايات المتحدة وبريطانيا نفسيهما منفردتين أو مع فرنسا والبرتغال وجنوب أفريقيا واستراليا ، أو عندما يصوتون ضدها أو يمتنعون عن التصويت ٠ وفى التسع سنوات الاخيرة تضاعفت الاستثمارات

الامريكية فى هذه القارة ثلاثة أضعاف ، وكان نموها بسرعة لم يسبق لها مثيل • ففى عام ١٩٦١ وحدها بلغ ربح الشركات الاحتكارية الامريكية من القارة الافريقية ٠٠٠ر٢٠٠ر١١ جنيها •

لقد لاحظ القائمون على رؤوس الاموال الامريكية ارتفاع مد القومية فى المستعمرات واعتبروا ذلك فرصة للتسلل • وكانت حركات مناهضة الامبريالية قد بدأت تظهر فى آسيا وأفريقيا قبل نشوب الحرب العالمية الاخيرة • وكلما اشتدت هذه الحركة كلما أيدت أمريكا ضرورة انهاء حكم الاستعمار • وراحت الصحافة وغيرها من أجهزة الدعاية تردد الكلام عن مناهضة أمريكا للاستعمار • وكان هذا متصلا بالحركات القومية المتفتحة التى تقوم فى أنحاء الكرة الارضية • وكانت أوروبا التى مزقتها الحروب تقدم جزءا من الفرصة لتصدير أمريكا لرءوس أموالها الاستثمارية ، ولكن كانت البلاد التى خرجت لتوها من تحت نير الامبريالية السياسية تشكل حقوقا بكرا •

وقد نما رأس المال الامريكى بشكل خيالى فى الاربعين سنة الاولى من هذا القرن • وكانت استثمارات الولايات المتحدة فى الخارج تسابق استثمارات أوروبا ثم لحقتها ثم فاقتها • ففى عام ١٩٠٠ كانت الاستثمارات الامريكية الخاصة فى الخارج صغيرة اذا قورنت باستثمارات أوروبا ـ (أمريكا ٥٠٠ مليون دولار ، بريطانيا ٠٠٠ر١٢ مليون دولار ، فرنسا ٦٠٠ مليون دولار) • وما أن أتى عام ١٩٣٠ حتى سبق نمو الاستثمارات الامريكية استثمارات بريطانيا التى وقفت عند ٠٠٠ر١٧ مليون دولار بينما وصلت الاستثمارات الامريكية ٠٠٠ر١٩ مليون دولار ووصلت فرنسا الى ٠٠٠ر٧ مليون دولار • وفى عام ١٩٤٩ كان موقف الاستثمارات الامريكية فى الخارج متفوقا ، حيث بلغت ٠٠٠ر١٩ مليون دولار فى مقابل ٠٠٠ر١٢ مليون دولار لبريطانيا ، وهو المستوى الذى كانت قد وصلته فى مستهل القرن • أما مستوى فرنسا فقد هبط الى ٠٠٠ر٢ مليون دولار • وكانت الحرب العالمية الاولى قد قضت على استثمارات ألمانيا فى الخارج وخفضت استثمارات فرنسا ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فقضت على استثمارات ألمانيا

وايطاليا واليابان . وكانت الحكومة الامريكية قد أضافت ١٤٫٠٠٠ مليون دولار الى ١٩٫٠٠٠ مليون دولار من الاستثمارات الخاصة • وكانت قروض الحكومة قروضا سياسية أكثر منها استثمارات بغرض الربح • ولكنها كانت ترفع من رأس مال الولايات المتحدة بأن تهيىء أسواقا للفائض من بضائعها وتزيد من أرباح المستثمرين الامريكيين من القطاع الخاص فى البلاد المدينة • وقد أعطت الحرب العالمية الثانية دفعا شديدا لرأس المال الامريكى، وجعلته يزيد من استثماراته فيما وراء البحار ويزيد من صادراته من البضائع المصنعة فى البلاد التى كانت خاضعة للامبريالية اليابانية والاوروبية• ففى السنوات العشر (١٩٣٨ ـ ١٩٤٨) ارتفعت نسبة واردات أمريكا الى هذه البلاد من ١١٪ الى ٢٥٪ • وارتفعت تجارتها الافريقية فى هذه المدة من ١٥٠ مليون دولار الى ١٫٢٠٠ مليون دولار ، وهذا الرقم عبارة عن ١٥٪ من كل تجارة أفريقيا الخارجية •

وقد شحذت شهية الاحتكارات الامريكية عندما بلغ دخلها ١٨٫٠٠٠ مليون دولار فى المدة من ١٩٢٠ الى ١٩٤٨ • وكان الامل فى عام ١٩٤٨ يبدو أكثر اشراقا وتحقق ذلك • وفيما بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٩ كانت الشركات الامريكية الخاصة تستثمر ٤٥٠٠ مليون دولار فى الدول النامية ، وبلغ ايرادها ثلاثة أضعاف هذا المبلغ • وبلغ صافى الارباح ٨٣٠٠ مليون دولار ، يضاف الى هذا المبلغ ملايين الدولارات فى أرباح تجارية وفوائد قروض وأجور نقل وغير ذلك من العمليات الثانوية • وكان يعاون ذلك كله معونة مارشال (ادارة التعاون الاقتصادى) التى هى ثمرة زواج الدولة الامريكية والشركات الاحتكارية • وكانوا يلوحون بالدولار الامريكى على أنه البلسم الشافى لاوروبا ، مما كان يعود على الامريكيين بالارباح الطائلة • وفى أثناء الارتباك والدمار الذى خلفته الحرب تسلل الامريكيون الى تلك الاركان البراقة التىخرج منها الامبرياليون الاوروبيون سواء فى أوروبا أو فيما وراء البحار • وانتهز رأس المال الامريكى ـ المالى والصناعى ـ الفرصة التى هيأها ضعف أوروبا عقب الحرب للسحب من مواردها لقد كان يعيش على أوروبا المخربة ، وان لم يكن بنفس الدرجة التى كانت

الامبريالية الغربية تستغل بها العالم الاستعماری وشبه الاستعماری . فتحطمت شركات فرنجت ستالورك وفاربن الالمانيتان اللتان تعملان فی استخراج المعادن والكيماويات . أما ألمانيا الغربية التی قامت عام ١٩٤٩ فكانت محتلة احتلالا عسكريا يشرف على تجارتها الخارجية وسياستها الخارجية ودفاعها . وقد تم فك بعض المصانع التی نجت من دمار الحرب . كما تم اغراء كثير من أعظم علماء ألمانيا والفنيين بها للهجرة الى أمريكا وبريطانيا . ونقلت أسرار الشركات الكبرى كما سلم أرشيف أكبر البنوك الالمانية والبنك الالمانی « الى القوات المحتلة بواسطة دكتور هيرمان الذی كان قد سلب يوغوسلافيا بأمر هتلر ، وقد أنقذته السلطات العسكرية البريطانية والسلطات الامريكية من الموت الذی كان قد حكم به عليه . واستخدم مشروع مارشال لدفع التغلغل الامريكی الامبريالی فی صناعات ألمانيا المفتتة وفی مؤسساتها المالية . كما أعطت أمريكا مبالغ طائلة لشركات المناجم الفرنسية والبلجيكية لتزيد من ارتباطها برأس المال الامريكی وتقوى من سيطرتها .

وكانت العين لا تغفل عن الاشتراكية التی كانت تتقدم فی أوروبا وفی آسيا . وكانت الحرب الباردة قد بدأت تشتد فی بدء عام ١٩٥٠ فشعروا بأن تهديد المنافسة الالمانية الثقيلة ــ التی كانت قد ألهمت الامبريالية المنتصرة أن تحد منها ــ يمكن تخفيفه بواسطة جر ألمانيا الى استراتيجية الغرب وبواسطة زيادة اسهام رأس مال الولايات المتحدة فی اقتصاد ألمانيا . وقد بدأ موقف ألمانيا فی مجال استخراج المعادن وفی المجالات الكيماوية يتغير عندما دخلت هذه البلاد فی نطاق دفاع الغرب .

وزاد نشاط استخراج المعادن والموارد المعدنية فی أفريقيا وفی غيرها . وللمواد الخام الافريقية الاعتبار الاول فی قدرة دول حلف شمال الاطلنطی العسكرية وخاصة دول السوق الأوروبية المشتركة . فصناعاتها ــ خاصة المصانع الاستراتيجية والمصانع النووية ــ تعتمد كثيرا على المواد الاولية التی تأتی من الدول غير المتقدمة . فكانت أوروبا تشكو بعد الحرب من نقص المصنوعات

الصلبية • وكانت بلجيكا فى حاجة الى مزيد من المواد الخام • وكانت السويد تحتاج الى الفحم والكوك ، الذى كانت تمدها به أمريكا فى نظير المواد الخام الرفيعة • كذلك كانت بريطانيا تفتقر الى الحديد المطاوع والى الخردة كما كانت كمية الكوك التى لديها قليلة ومنخفضة النوع • أما فرنسا وألمانيا فقد هبطت كمية الكوك بهما • وكان انتاج الفحم فى اللورين آخذا فى التدهور بسبب الحاجة الى الآلات • وفى ألمانيا كان انتاج الفحم متدهورا كذلك لان انتاج اقليم الروهر كان أقل من ذى قبل • وكانت الاستثمارات فى الصناعات ذات الانتاج العالى القيمة ـ مثل تحويل المعادن والصناعات الثقيلة فى الوقت الذى كانت تتيح فيه الفرصة للتأثير على الاقتصاد الاوروبى ومن ثم على سياستها نحو سيطرة الولايات المتحدة الايديولوجية ولم تمنح نفس الفرصة لانتاج المواد الاولية للدول النامية •

وعاون برنامج النقطة الرابعة القائمين على مشروع مارشال على فتح الدول الافريقية أمام رأس مال الولايات المتحدة واتباعها من الدول الاوروبية • فقبل الحرب العالمية الثانية كانت نسبة الاستثمارات الامريكية الخارجية فى أفريقيا تبلغ ٣٪ وكانت نسبة تجارة الاخيرة مع الولايات المتحدة أقل من ٥٪ • وكانت شركات المطاط فى ليبيريا والشركات الصغيرة الاخرى فى جنوب أفريقيا وروديسيا تستثمر معظم الـ ٢٠٠ مليون دولار المستثمرة فى أفريقيا • وعند وصول الحرب الى هذه القارة أقيمت القواعد العسكرية وأنشئت العلاقات التجارية بين القارة وبين الامريكيين ، ومن هذه النقطة استمروا فى تسللهم الى داخل القارة بعد نهاية الحرب • وكانت اللجنة الاقتصادية الافريقية (مشروع مارشال) هى التى تمول جماعات المستكشفين الامريكيين الذين أرسلتهم الولايات المتحدة بنفس التقاليد الاستعمارية لتمهيد الطريق لاعمال المناجم والعمليات العسكرية • ثم أعلنت اللجنة فى عام ١٩٤٩ أن الخبراء الامريكيين الذين يعملون فى معونة مارشال يجسون نبض القارة الافريقية من جبال أطلس حتى رأس الرجاء الصالح بحثا عن الثروة الزراعية والثروة المعدنية ، وبعد ذلك انتهز الامريكيون الفرصة لدفع رؤوس أموالهم للمساهمة فى مناجم الرصاص الفرنسية

فى شمال أفريقيا ، ومناجم القصدير الفرنسية فى الكميرون ومناجم الرصاص والزنك الفرنسية فى الكونغو • وعن طريق قرض من اللجنة الاقتصـــــادية الافريقية الى مناجم زلدجه ـ وهى شركة فرنسية تابعـة لشركة بناروبا ، وهى رابع شركة منتجة للرصاص والزنك فى العالم تمكنت شركة نيومونت للتعدين (وهى شركة أمريكية ٣٠٪ من مصالحها فى جنوب أفريقيا وكندا) من أن تشترى الشركة الاولى وتدير عملياتها •

وكانت حالة عدم الاستقرار التى وقعت فيها أوروبا بعد الحرب فى صالح الولايات المتحدة وذلك عند اجراء تقسيم أفريقيا الجديد • ففى خريف عام ١٩٤٩ بعد أن أجبرت أمريكا الدول الاوروبية على خفض عملتها تألفت لجنة من كبـــار رجال المال الامريكيين والبريطانيين لدفع استثمارات الولايات المتحدة الى أفريقيا والى غيرها من الاجزاء الباقية من الامبراطورية البريطانية • وبعد شهرين تألفت لجنة مشابهة ذات أغراض مماثلة من رجال المال الامريكيين والفرنســيين • وقوة قبضة هذه المؤسسات واضحة اليوم فى شكل الشركات المتحدة المسيطرة عــلى ثروات القارة : روكفلر ، مورجان ، كون لويب وديلون ريد ، البنوك البريطانية مثل باركليز ، لويدز ، وستمنستر ، بروفينشيال ، والبيوت الماليــة الخاصــة بهامبروز ، وروتشيلد ، فيليب هيل ، ثم البنوك الفرنسية مثــل بنك باريس والاراضى المنخفضة ، بنك الاتحاد الباريسى ، بنك الهند الصينية ، بنك الاتحاد الاوروبى الصناعى ، بنك ورمز ، بنك الكريدى ليونيه ، بنك اخوان لازار .. الخ الى جانب البنوك الالمانية والايطالية الهامة •

هذه المنظمات المالية وما يتفرع منها هى التى تسيطر على القطاعات المالية فى كثير من الدول التى استقلت حديثا • وهى تؤيد الثورة الصـناعية الجـديدة الخاصة بالآلية والالكترونات والتطور النووى وفى شئون الفضاء التى تلعب فيها أمريكا الدور القيادى والتى عاونت الامبريالية الامريكية فى صعودها الحـالى • ونجد الجماعات الامريكية المسيطرة على صناعة المنـاجم واستخراج المواد الخـام والصناعات مشتركة بطريقة مباشرة أو بواسطة بنوكها أو بيوتهـا المـالية فى

المشروعات مع المنتجين الاوروبيين ومموليهم . ونحن نرى الرأسماليين الماليين الذين يسيطرون على الشركات الكبرى فى صناعات استخراج المعادن وفى التعدين والكيماويات وصناعات الفضاء ، يمتد نفوذهم عبر البحار السبعة ، ويتحكمون فى موارد المواد الاولية فى آسيا واستراليا ونيوزيلنده وأمريكا الجنوبية وأفريقيا . وقد ارتفعت استثمارات الولايات المتحدة فى كندا فى عام ١٩٦٢ بمقدار ٧٠٠ مليون دولار معظمها فى صناعة خام الحديد . بينما كان هناك ٢٧٠ مليون دولار مستثمرة فى البلاد المتقدمة الاخرى وخاصة استراليا واليابان . وارتفعت استثمارات رأس المال الامريكى فى أمريكا اللاتينية فى عام ١٩٦٢ بمقدار ٢٥٠ مليون دولار . وكان مقدار الارتفاع فى السنة السالفة أكثر من ٤٠٠ مليون دولار . وتقول التقارير المقدمة من وزارة التجارة الامريكية أن الاستثمارات والاصول المتداولة الامريكية فيما وراء البحار قد بلغت ٦٠٫٠٠٠ مليون دولار فى نهاية عام ١٩٦٢ ثم ارتفعت فى الشهور الستة الاولى من عام ١٩٦٣ بمقدار ٣٠٠٠ مليون دولار أخرى . وفى عام ١٩٦٢ أضاف المستثمرون فى القطاع الخاص فى الولايات المتحدة ٤٠٠٠ مليون دولار فى استثماراتهم وأصولهم المتداولة فى الخارج .

وارتفعت الاستثمارات الامريكية الخاصة المباشرة فى أفريقيا فيما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٨ من ١١٠ مليون دولار الى ٧٨٩ مليون دولار ، معظمها مأخوذ من الارباح . ومن بين المبلغ الزائد وقدره ٦٧٩ مليون دولار كان مقدار النقود الجديدة فعلا هى ١٤٩ مليون دولار فقط ، بينما كانت أرباح الولايات المتحدة من هذه الاستثمارات ـ ويدخل فى ذلك اعادة استثمار الفائض ـ ٧٠٤ مليون دولار

وكانت النتيجة أن تكبدت الدول الافريقية خسارة قدرها ٥٥٥ مليون دولار . واذا أخذنا فى الاعتبار المنح المعطاة لها لاغراض غير عسكرية والتى قدرها الكونجرس الامريكى بـ ١٣٦ مليون دولار تكون صافى خسارة أفريقيا ٤١٩ مليون دولار . وتقدر الاحصاءات الرسمية الامريكية الارباح التى حصلت عليها شركات الاحتكار الامريكية فى أفريقيا بين ١٩٤٦ و ١٩٥٩ بمقدار ١٢٣٤ مليون دولار ، وان كانت الاحصاءات غير الرسمية تقدرها بمبلغ ١٥٠٠ مليون دولار . وسواء

أخذنا هذه أو تلك فلسنا فى حاجة الى عقلية رياضية عظيمة كى ندرك من هـذه الارقام أن ربح الاستثمارات الامريكية فى أفريقيا قد بلغ ١٠٠٪ ٠

وقد كان الحافز الى هذه الاستكشافات الشرهة التى كانت تجرى فىالعشرين أو الثلاثين سنة الاخيرة لاستكشاف كميات اضافية أخرى من المعـــادن اللازمة للتفوق الصناعى الحديث الاحتكار الذى يعول عليه التفوق والارباح ٠ وهنـاك مثل حديث يمكن أن يوضح هذه النقطة ٠ فهناك شركة ألكان الصناعية قد دفعت مبلغ ٥½ مليون جنيه حتى تستولى على آخر شركة مستقلة (شركة فيشر) التى تعمل فى صناعة الالومنيوم ٠

ومن بين أهداف السيطرة على الصناعات واكتشاف منـابع جديدة للمـواد حرمان المنافسين من الوصول اليهـا ٠ وتستخدم الشركات الاحتكارية تكتيـك افتعال نقص المادة كوسيلة من وسائلها للحصول على الارباح ٠ فكانت شركات النحاس تنتج طيلة ثلاث سنوات ــ حتى منتصف عام ١٩٦٤ ــ ٨٠٪ أو ٨٥٪ مما يمكن أن تنتجه حتى تحافظ على معدل الاسعار ٠ كذلك كان الحال فى صـناعة الصلب فكان ما ينتج منها ٨٠٪ من طاقتها ٠

فالاحتكار يسمح لشركاته أن تجعل اقتصاد البلاد الاخرى يخدم مصالحها فقط ٠ ففى حالة خام الالومنيوم مثلا كانت شركة ميلون الكوا هى المتحكمة ، وقد ضمت اليها كبار المنتجين الآخرين مثل كايزر ورينولدز ٠ ونظرا الى ضـــخامة تكاليف بناء المصانع التى تحول خام الالومنيوم الى ألومنيوم فان استغلال رأس مال القطاع الخاص لكل الخام سيفسد هدف الاحتكار ، لان انتاج كميات ضخمة يخفض الاسعار ٠ فأفريقيا الغربية غنية جدا بخام الالومنيـوم ولـكن كل من البلاد الموجودة فى غرب أوروبا لا تستطيع بمفردها أن تولد القوة التى تمكنها من استغلال مواردها ٠ ويمكن لغانا أن تقدم القوة الكهربائية اللازمة لتحـــويل الخام الى ألومنيوم فى كل من غانا وغينيـا ٠ وهـذا مجهود تعـاونى نرحب به داخل اطار الاقتصاد الموحد على نطاق القارة ٠

ومن بين الاسلحة المسلطة فوق رؤوس الدول المنتجة للمواد الاولية التهديد باستخدام الطرق التركيبية التى تستطيع أن تحل مكان المعادن التقليدية الاخرى • وقد أقيمت مصانع ماس صناعى (تركيبى) بواسطة دى بيرز ـ الشركة العالمية التى تحتكر الماس الطبيعى وبواسطة الشركة البلجيكية « ميبا » التى تسيطر على الماس الطبيعى فى الكونغو وبواسطة شركة جنرال الكتريك فى الولايات المتحدة وفى اليابان • وقد تعمد منتجو النحاس خفض أسعاره فى أسواق لندن بسبب احتمال استخدام الالومنيوم مكانه ، بينما يلوحون باستخدام البلاستيك بديلا للألومنيوم • وتنفق المبالغ الطائلة على البحوث الخاصة بالمواد الجديدة وفى المخترعات العلمية المتعلقة بالآلات التى توفر الجهد • وهكذا نهضت المعادن التى كانت مهددة بأن يحل غيرها محلها وأصبحت تستخدم على نطاق أوسع فى صنع أشياء أخرى • وكانت مثل هذه المشروعات الخاصة بالبحوث وما ينتج عنها من اعادة تزويد المصانع والصناعات بما تتطلبه حتى يمكن تبرير ما كان يستثمر فيها تتطلب رؤوس أموال ضخمة لا تتسنى الا عن طريق المؤسسات المالية وشركات التأمين الكبرى ، وهكذا أصبحت البنوك وشركات التأمين هى المسيطرة على التمويل الصناعى ، وأصبحت تلعب دورا قياديا فى دفع صعود الشركات الاحتكارية • فالبنوك وشركات التأمين هى التى لعبت الدور الاول فى عملية وصول الشركات الاحتكارية الى قمتها الحالية ، ثم ان قوتها المالية هى التى تدعم حركتها المتزايدة نحو تركيز الاحتكار بشكل أعظم •

واليوم قد اشتدت المنافسة من أجل احتكار صناعات كاملة ومصادر المواد الخام لدرجة أدت الى حدوث اندماجات كثيرة بسرعة مذهلة•ومع اشتداد الصراع فى معركة السيطرة تعقد هدنات فى بعض الاحيان يتم عن طريقها توزيع النفوذ طبق موافقة مشتركة • ان النضال من أجل اعادة التقسيم مستمر طول الوقت والتغيرات التى تطرأ فى داخل المنظمات المشتركة أو المتحدة كثيرة الحدوث •

واحتكار اليوم متنوع وواسع الرقعة • وبينما يستمد قوته من طبيعته الاحتكارية فانه من جهة أخرى معرض للاخطار التى يتعرض لها الجهاز المتشعب

الذى تمتد أطرافه الى جهات مختلفة ٠ ان حدوث صدع فى أى نقطة منه قد يؤدى الى زعزعة بنائه ٠ وخاصة وأن منافسى الاحتكار دائما متنبهون الى الكشف عن أى نقطة ضعف فيه ليوجهوا منها ضربتهم ٠ ومن ثم كان اتجاه الاحتكار اليوم الى وسيلة وقائية هى الاتحادات أو الاندماجات التى يستهدف منها التغلب على أعدائه ٠ وفى الاتحاد عادة يوجد طرف مسيطر اما سيطرة مباشرة أو غير مباشرة مما يتيح له أكبر نفوذ فى ادارة شئون الاتحاد ٠ وفضلا عن ذلك فان لكل طرف من أطراف الاتحاد توابعه ٠ وكلها تشترك فى الحرب التى تدور خارجه ، بينما تبذل جهودها فى الداخل لزيادة أهمية حصتها فى النشاط الجماعى ٠ فمثلا كل اتحاد احتكارى سيكون مسيطرا على عدد من الشركات المتصلة على مستويات كثيرة بانتاج المواد الاولية ومرورها فى مراحل تبدأ بمرحلة استخراجها الى أن تصل الى مرحلة السلعة شبه المصنعة أو السلعة المصنعة ثم من مرحلة السلعة العادية الى السلعة المعقدة الى مصانع الآلات الثقيلة ٠ والشركة الاحتكارية لا تقيد نفسها بمادة خام واحدة وان كانت تركز على واحدة أو اثنتين ٠ كما أنها لا تقيد نفسها بصناعة خاصة أو بمشروع قد يكون ثانويا لنشاطها الاساسى ٠ وهذا أيضا قد تركز على تخصص معين ٠ وهناك شركات احتكارية كثيرة تتفرع الى مشروعات خاصة بالمزارع وبأعمال البناء والمقاولات لان من طبيعة هذه المشروعات أن لها عائدا مرتفعا ٠ وان هذا اللون من النشاط لينتشر بسرعة فى الوقت الحاضر ، وقت التوسع فى التصنيع ونمو المدن الجديدة ، كما أنه يمتد الى الزراعة ذات النطاق الواسع ٠

وتقوم هذه الاتحادات بعملية التغلغل فى القارة الافريقية ٠ وهى تمتد من الاندماجات الاحتكارية لرءوس الاموال الامريكية والاوروبية وخاصة تلك التى تدخل فى نطاق السوق الاوروبية المشتركة ٠ والهدف الاول هو احتكار موارد المواد الخام فى القارة الافريقية ـ وليس ـ كما يدعون ـ للنهوض باقتصاد هذه

القارة . فهذه المواد الخام تنقل فى حالتها الخام لمضاعفة انتاج الدول الامبريالية ثم تعود هذه المواد على شكل آلات ثقيلة تستخدم فى عملية استخراج المواد الاولية مرة أخرى واستنزاف موارد الدول الافريقية .

ان الدول الافريقية لتتطلع الى الدخل الناتج من التجارة فى هذه المواد لتكون لنفسها رأس مال تستخدمه فى استغلال هذه المواد لصالح تنميتها هى . ولكن يستخدم هذا الدخل فى توسيع الهوة الاقتصادية التى بين الدول الافريقية وبين الدول الصناعية الكبرى . ولما كان أولئك الذين يقومون بالاستغلال هم أنفسهم الاحتكاريون الذين يسيطرون على الاسواق الخاصة بالمواد الاولية من جهة وعلى أسعار السلع المصنوعة من جهة أخرى فان النتيجة أن الدول الافريقية تضطر أن تنتظر طويلا قبل أن تجد حلا لمشكلتها الرئيسية الخاصة برفع مستوى معيشة سكانها . وهذه هى الاجابة على رجال الاقتصاد الذين يؤكدون لنا أن المهم ليس ما أخذ من بلادنا بل ما ترك فى بلادنا .

وتعطينا لجنة المعونة الخاصة بالتنمية الرد على سؤالنا بقولها أنه اذا استمرت الدول الصناعية فى زيادة انتاجها بمقدار ٣٪ فى العام واذا استمرت الدول غير الصناعية تزيد انتاجها السنوى بمقدار ٥٪ احتاجت الدول غير المتقدمة الى ٢٠٠ سنة كى تلحق بالدول المتقدمة . وحتى هذه الزيادة ـ ٥٪ ـ ستكون مشكلة بالنسبة للدول المتخلفة طالما أن الدول المتقدمة تعمل على استنزاف مواردها . وفى معظم الدول الافريقية نرى أن نسبة الزيادة فى الانتاج لا تكاد تساير نسبة زيادة السكان التى تتراوح بين ٢½٪ الى ٣٪ . ان الدول المتخلفة هى التى تحمل على كاهلها عبء تنمية الدول المتقدمة . فمثلا بلغت كمية المطاط الذى أخذته شركة فايرستون ما قيمته ١٦٠ مليون جنيه من ليبيريا فى مدى ربع القرن الاخير . وفى مقابل ذلك حصلت ليبيريا على مبلغ ٨ مليون جنيه . ان متوسط صافى الربح الذى تحققه هذه الشركة الامريكية يبلغ ثلاثة أضعاف ايرادات حكومة ليبيريا .

وقد انتشرت اتحادات الشركات المالية والصناعية من شمال القارة الافريقية الى جنوبها مغتصبة الموارد المعدنية وموارد الوقود ، مغتصبة انتاج الارض وانتاج الغابات ، تبنى صناعات الاستخراج وصناعات التحويل ٠ ففى الجزائر مثلا كان الاقبال الكبير على الاستثمار يسير جنبـــا الى جنب مع حرب التحرير ٠ وبلغ الاستثمار الفرنسي والاستثمار الامريكى الفرنسى بين عامى ١٩٥١ و ١٩٥٥ ما لم يبلغه من قبل ٠ وكانت الشركات الصناعية العملاقة تعمل بتأييد البيوت المالية التى كانت تسيطر على القطاعات المالية والنقدية فى دول مستقلة كثيرة ٠ وكانت البنوك وشركات التأمين الضخمة والشركات المليونيرة مثل البنك الدولى وفروعه تعمل بهمة ونشاط ٠ كانت هذه الاحلاف تمتد بين الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وهولنده وايطاليا والسويد ٠ وهى تدور حول اتحادات الشركات المعدنية والكيماوية مثل شركة الفحم والصلب الاوروبية ، سالوك ، ج٠١٠س ، سيدلور ، أوزينور ، كروب ، ثيسين ، كولمان ، بيرلات ، فاربورك هوشست ، باير ، ب٠١٠س٠ف ، ١٠س٠١٠ ٠ وهى تخضع للبيوت المالية مثل « الاتحـــــاد الاوروبى لتنمية موارد أفريقيا الطبيعية » الموجودة فى نفس مكان بنك لوكسمبرج الدولى ، ومثل يوروفين ، شركة بانكير ، فنسيديه ، كوفيميه ، الاتحاد الاوروبى للصناعة والمال وغيرها ٠

ومن الشركات البارزة التى تضطلع بمشروعات انتاج المواد الاولية بعـد الحرب الشركات الامريكية القوية مثل شركة بيت لحم للصلب ، شركة الولايات المتحدة للصلب ، شركة الجمهورية للصلب ، شركة أرامكو للصلب ، شركة نيو مونت للمناجم ، شركة جونز مانفيــل ، شركة يونيون كاربيــه ، شركة أولين مايثسون ، شركة الكوا ، شركة كايزر ٠ وتنتشر اتحاداتهــا بين شركات أوروبا المعدنية والمالية بشكل يخفى التنافس المستتر بينها ٠ ويطفو هذا التنـــافس ويظهر على السطح عندما تسبب الظروف انهيار مظهر التعايش السلمى بين الدول الامبريالية المتنافسة فى هذه الدول الافريقية ذات السيادة التى تستخدمها الدول الامبريالية فى نضالها من أجل التفوق الاحتكارى ٠ وجابون أوضح مثل لذلك ٠

فعندما ثار سخط الجماهير على نظام الحكم وأدى الى قيام اضطرابات فى فبراير سنة ١٩٦٤ انتهزتها فرنسا فرصة كى تحذر الولايات المتحدة من الاعتداء على حقوقها بالنسبة للمنجنيز واليورانيوم والبترول فى هذه الدولة ـ مستعمرتها السابقة ٠ وكان لهذه الموارد قيمة لا تقدر لفرنسا فى نضالها ضد تقدم الامبريالية الامريكية فى أوروبا فى العصر الجديد ، عصر التنافس الذرى ٠ وأرسلت فرنسا قوات مظلاتها للاحتفاظ بجابون تحت سيطرتها ٠ وربما كان لشركة الولايات المتحدة للصلب السيطرة على كوميلوج التى تعمل فى منطقة فرانسفيل الغنية بالمنجنيز ، ولكن فرنسا تسيطر على حقول اليورانيوم فى مونانا وربما كانت منشغلة فى محاولتها احباط مساعى ملوك البترول الامريكيين للوصول الى منابع بترول جابون ٠

الفصل الخامس

الحقيقة المختفية خلف العناوين

وحتى نوفق فى فهم ما يحدث فى العالم فى هـذه الأيام يجب أن نفهـم التأثيرات والضغوط الاقتصادية خلف الأحداث السياسية • ان الأعمدة المالية التى تنشر في الصحف العالمية تعطينا فى الحقيقة « الأخبار التى وراء الأخبار »• ففى كل يوم نقرأ فى الصحف اعلانات تقول : « مساهمة مورجان جرنفيل فى البنك الفرنسى الجديد » أو « جماعة البيوت المالية الافريقية » أو « الاتحاد يفوز بالتصويت فى هاليت (وهو شركة سكر بجنوب أفريقيا) أو « انشاء شركة جديدة فى ألمانيا » •

هذه عناوين صحف أخـــذت اعتباطا • واذا فحصنـاها اكتشفنا خطـــأ يوصل بين الجماعات المالية القوية التى لها الضغط الحاسم على أحـداث العصر الحاضر • كما تكشف الحقائق عن الصلة بين الرجال والمصالح المعنية مباشرة أو غير مباشرة بما تتضمنه المقالات • وليس معنى هذا أن الحقائق كلها تتكشف • على العكس أنها غالبا ما تستتر • ولا يمكننا أن نرى ما خلف المقالات لنعرف الاتجاهات الحتميه ومعناها الحقيقى من الناحيتين الاقتصادية والسياسية الا بعد أن ندرس تراجم حياة الشخصيات والجماعات المتصلة بهذه المقالات •

ولنأخذ مثلا المقال عن مساهمة مورجان جرنفيل فى البنك الفرنسى الجديد (المنشور فى « فينانشيال تايمز ــ لندن ــ ١٨ ديسمبر ١٩٦٢) فمورجـان

جرنفيل وشركاه هو فرع لندن للبنك الأمريكي الهام «ج. ب. مورجان وشركاه» الذى كان يمتلك فى عام ١٩٥٦ ثلث الشركة البريطانية . ولهذا لا نعجب اذا علمنا أن البنك الجديد الذى يساهم فيه مورجان اسمه « مورجان وشركاه » وخاصة اذا علمنا أن ٧٠٪ من رأس المال البالغ قدره ١٠ مليون فرنك من بنك مورجان الدولى ، ١٥٪ من مورجان جرنفيل . وماذا عن الـ ١٥٪ الباقية ؟ انها مقسمة بين بنكين هولنديين : هوب وشركاه (أمستردام) وميس وزونين (روتردام) .وكان لجماعة مورجان صلة وثيقة بالبنكين طيلة مدة طويلة . وقد زادت هذه الصلة وثوقا بعد أن حصل بنك مورجان الدولى فى مارس ١٩٦٣ على ١٤٪ من رأس مالهما .

وكيف حدث ذلك ؟ حدث نتيجة شراء أسهم شركة بانكيين ـ وهى شركة تقوم بتوحيد نشاط البنكين اللذين ما زالا يقومان بالاعمال باسميهما . وهذه الطريقة ـ طريقة قيام واحد بعمل اثنين ـ هى الطريقة التى يحاولون بها خداع العالم بالنسبة لتشكيلاتهم .

ورئيس مجلس ادارة مورجان وشركاه هو مستر بيير مينيال وهو فى نفس الوقت نائب رئيس شركة مورجان الدولية فى باريس . بينما أخوه مستر ريمون مينيال هو مدير بنك ورمز . ونائب رئيس بنك مورجان وشركاه هو الفيكونت هاركور وهو مدير بنك مورجان جرنفيل ورئيس مجلس ادارة أربع شركات بريطانية هامة : بريتش كومنولث ، جريشام للحرائق والحوادث ، جريشام للتأمين على الحياة ، ليجال وجنرال .

ونجد منشورا فى مجلة « فينانشيال تايمز » فى عددها الصادر فى ٢٦ يوليو ١٩٦٣ ،وضوعا تحت عنوان « حركة المصارف الفرنسية الافريقية » فى سطور لا تزيد على الثمانية أن شبكة « البنك التجارى الافريقى » الموجودة فى السنغال وساحل العاج والكمرون والكونغو قد تولاها بنك سوسيتيه جنرال

وهو ثانى بنك فى فرنسا . وفى التعليق الوحيد الذى سمحت الصحيفة بنشره نجد مضمون الحركة « وستكون نتيجة هذا الاجراء زيادة كبيرة فى حجم ايداعات بنك سوسيتيه جنرال » .

وكان بنك سوسيتيه جنرال قد تأسس فى عهد نابليون الثالث فى عام ١٨٦٤ . ومن أهم المساهمين فيه كان أدولف شنيدر ، أحد أعضاء امبراطورية شنيدر للحديد والصلب ، والذى كان فى نفس الفترة أحد أوصياء بنك فرنسا. وقد أممت الحكومة بنكى فرنسا سوسيتيه جنرال . ومعنى هذا أن الحكومة الفرنسية لها مصلحة مباشرة فى شبكة البنك التجارى الافريقى التى أصبح بنك سوسيتيه جنرال يتولاها .

ولا يقف التأميم حجر عثرة فى سبيل الارتباط الوثيق بأقوى المنشآت المصرفية الخاصة كما يوضح الاسم « جماعة المصارف الافريقية » . فهذا الاسم خداع . فليس هناك ما هو أفريقى فى هذه الجماعة . فالهيئة المعنية كانت Bankers International Corporation التى هى فرع من Bankers Trust Co. التى تتقاسم مع شركة مورجان الدولية الاعمال التجارية الخاصة بشركة ج. ب. مورجان وشركاه . أما الآخرون فهم « سوسيتيه جنرال » وغيرها من المنشآت المالية الأوروبية .

ان اتحاد المصارف الغربية هذا ـ وعلى رأسه مصالح مورجان الواسعة المدى ـ هو امتداد لتكوين المصارف فى البلاد التى استولت فيها الجمعية العامة Société Générale على مصالح البنك التجارى الافريقى ، وهذه البلاد هى ساحل العاج ، السنغال ، الكمرون ، الكونغو (برازفيل) . وقد أبدى مجلس ادارة The American Federal Reserve موافقته على توسع مورجان كما وافقت عليه حكومات البلاد الافريقية المعنية . وليس هناك ما يدعو الى التعليق ويكفينا أن نقبل وجهة نظر نائب رئيس ادارة Bankers Trust ـ مستر

ج٠ ت٠ دافيز الذى يعلن أن المساهمة فى هذه البلاد الاربع سيوسع كثيرا من مجال نشاط Bankers Turst فى أفريقيا ـ هذه القارة التى تهمنا أهمية حيوية ٠ ويختتم الخبر بقوله أن Bankers International Corporation لها مصالح مساوية لمصالح Liberian Trading & Development Bank ومساوية لمصالح United Bank of Africa بنيجيريا ٠

ثم ان تمكن اتحاد آخر للسكر من الحصول على أكثر من ٥٠٪ من الاسهم العادية ـ ونتيجة لذلك أغلبية الأصوات ـ فى شركة جنوب أفريقيا للسكر الاحتكاريونليبدو كما لو لم يكن له علاقة بالخبر الذى أوردناه فىالفقرة السابقة٠ ولكن دعنا نفحص الأمر بعمق ٠

فخلف اتحاد شركات السكر التى ارتفعت نرى يد شركتين هامتين من شركات جنوب أفريقيا : فيليب هيل هيجنسون وشركاه (أفريقيا) ، Union Acceptances Ltd. ٠

ونجد أن هارولد تشارلز درايتون هو الشخصية المسيطرة على سلسلة شركات الاستثمار والشركات المالية التى مركزها لندن ٠ أما هارى أوبنهيمر (جنوب أفريقيا) فهو رئيس مجلس ادارة Union Acceptances ومن بين الوظائف الاخرى التى يتولاها مستر درايتون : رئيس مجلس ادارة Second Consolidated Trust, European & General Corporation, Midland Bank Executor & Trustee Corup. ، Midland Bank وهو مدير Bank Eagle Star Insurance Co. هيئة مناجم الذهب المتحدة بجنوب أفريقيا ومناجمذهب أشانتى Consolidated Goldfields of S.A. & Ashanti Goldfields Corp ٠

ومن بين المناصب التى يتولاها مستر أوبنهيمر ـ وعددها أكثر من ٧٠ ـ رئيس مجلس ادارة African Explosives & Chemical Industries الهيئة الانجليزية الامريكية بجنوب أفريقيا ، مناجم دى بيرز المتحدة ، First

Union Investment Trust • وهو مدير شركة الاستثمار الافريقية الاوروبية ،وبنك باركليز للمستعمرات وما وراء البحار ، شركة جنوب أفريقيا البريطانية ، Central Mining & Investment Corporation

ونائب رئيس الهيئـة الامريكيـة الانجـليزية Anglo American Corporation هو سير ك• أكوت • وهو فى نفس الوقت مدير شركة جنـوب أفريقيا البريطانية • ويعمـل مع نائب رئيس مجلس ادارة الهيئـة الامريكية الانجليزية مستر روبرت أنان الذى يجلس مع مستر درايتون فى مجلس ادارة Consolidated Goldfields كذلك يشغل مستر انان منصب مدير فوق العادة لشركة Scottish Amicable Life Assurance Society

ومن بين زملاء مستر درايتون فى كل من بنك ميدلاند Midland Bank و Executor & Trust Company لورد بايليو الذى يشغل فى نفس الوقت منصب نائب رئيس مجلس ادارة Central Mining & Investment Corporation حيث يوجد أيضا هارى أوبنهيمر • كذلك يوجد بايليو فى مجلس ادارة English Scottish & Australian Bank

وهناك مدير آخر لبنك ستاندرد Standard Bank هو مستر وليم أنتونى اكتون الذى تظهر صلاته بعالم المصارف من كونه يشغل منصب نائب رئيس مجلس ادارة ناشيونال بانك National Bank • كما يشغل منصب مدير Bank of London & Montreal ومدير Standard Bank Finance & Development Corporation, Bank of West Africa & South America وليست مجرد صدفة أن نجد للورد لوك مقعدا مع مستر درايتون فى مجلس ادارة مناجم ذهب أشانتى Ashanti Goldfields ، كما أنه يشغل منصب مدير بنك لندن وأمريكا الجنوبيـة حيث يوجد مستر أكتون • كذلك ليس من المصـادفة فى شىء أن يكون مستر أزموند تشارلز بيرنج ـ المدير السـابق ووكيل الهيئـة

الامريكية الانجليزية فى لندن والمشترك فى عدد من شركات أوبنهيمر ـ عضـوا فى الاسرة التى تدير البيت التجارى لبيرنج اخوان ، كما أنه وثيق الصلة بعالم الاستثمارات ٠

ومن بين الشخصيات الهـامة التى شغلت مناصب مجـلس ادارة شركة جنوب أفريقيا البريطانية المرحوم سير تشارلز هامبرو ، أمريس ايفانس، فيكونت مالفيرن ٠ وكان سير تشارلز هامبرو المدير الكبير لبنك انجلترا ٠ وكان يرأس أكبر بنوك مدينة لندن التجارية ـ وهو بنك هامبروس ورأس ماله ١٧٦ مليون جنيها ـ كما كان رئيسا لهيئة الاتحاد Union Corporation وهى الجماعة التى كانت تمول عملية المناجم والتى كانت تضم عددا كبيرا من المصالح الامريكية الانجليزية ذات الصلة بهارى أوبنهيمر وشركاته ٠

ومن بين البنوك التى كان لورد مالفيرن يتولى ادارتها بنـك سـتاندرد Standard Bank بجنوب أفريقيا كما كان يتولى ادارة Scottish Rhodesia Finance وبنك أفريقيا الوسطى التجارى Merchant Bank of Central Africa ٠ والبنك الاخير هو من تأسيس جماعة روتشيلد التى نجد من ضمن بنوكها بنك لامبرت Banque Lambert وهو من أهم البنوك البلجيكية الذى نجد أن ١٧٪ من مصالحه مركزة فى أفريقيا ـ خاصـة فى الـكونغو ٠ وللبنك مصالح فى احدى شركات روتشيلد وهى شركة الاسهم الخمسة للاوراق المالية Five Arrows Securites Co. التى تمتلك بيتا للاستثمار فى كندا والتى تقع تحت نفوذ روكفلر ٠ ويشغل مستر بول أمريس ايفانز نائب رئيس شركة جنوب أفريقيا البريطانية فى الوقت الحاضر منصب رئيس شركة أوبنهيمر المتسعـة « الهيئـة الامريكية البريطانيـة » ، ورئيس بنـك باركليز للدومنيون والمستعمرات وما وراء البحار ٠ كما أنه يشغل مقعدا فى هيئة ريو ـ تنتو للزنك Rio Tinto Zinc Corporatin مع لورد بايليو نائب رئيسها ومع هـ٠ درايتون ٠

ويساهم عدد من البنوك البريطانية الكبرى وشركات التـأمين فى بنـك ستاندرد Standard Bank • ورئيسه هو سير فرانك سيريل هوكر الذى كان يمثل بنك انجلترا ، بينما نائب رئيسه هو سير ليث روس الذى يمثل البنك الاهلى الاقليمى National Provincial Bank • وقد سبق أن بينا اتصالات اكتون بالبنوك المختلفـة • أما درايتون فهو يرعى المصـالح الخاصـة بجماعاته المالية ومصالح بنك ميدلاند وشركة تأمين ايجل ستار Eagle Star Insurance • ويشغل سير هول باتش - وهو مدير بنك ستاندر بجنوب أفريقيا والذى كان قد استقال فى يوليو ١٩٦٣ - منصب مدير شركة تأمين الاتحاد التجـارى Commercial Union Assurance Co. ويزامل مسـتر درايتون فى شركة تأمين Eagle Star وبنك ميدلاند سير هارفى وات ، كما يزامله فى بنك ميـدلاند • وهو رئيس مجلس ادارة منـاجم الذهب المتحـدة Consolidatd Gold Fields كمـا أنه مدير شركة الصـهر ورصاص الزنك الامريكيه American Zinc Lead & Smelting Co. بالولايات المتحدة •

ويرعى جـون فرنسيس بريدو مصـالح هيئـة الـكومنولث للتنميـة Commonwealth Development Corp فى البنك ، كما يرعى مصالح بنك وستمنستر وبنك نيو سوث ويلز وغيرها من بيوتات المال والاستثمار • ويرعى وليم مايكل روبسون كنائب رئيس مجلس ادارة Joint East & Central African Board of the Standard Bank بينما يمثل منفردا استثمارات بوكر اخوان Booker Brs. فى الممتلكات المالية والملاحة التجاريه والشركات الزراعية ، وشركات بوكر هى التى تحتكر اقتصاد غينا البريطانية • ويشغل تشالز هايد فيليرز مقعدا فى بنك بلجيكا Banque Belge الذى يعتبر المنفذ اللندنى لبنك الجمعية العمومية البلجيكى Banque de la Société Generale de Belgique ويشرف بدوره على بنك الكونغو البلجيكية Bank du Congo Belge وهيئة البنوك الامريكية البلجيكية Belgian-American

، شركة بلجيان أمير كان بانك آند ترست Banking Corporation
كونتننتال أمير كان فند Belgian-American Bank & Trust Company
بالولايات المتحدة Continental American Fund of Baltimore
شركة كندا فند Canada Fund Co بمنتريال ـ كندا ٠

ان عنوانا مثل « انشاء شركة صناعية جديدة فى المانيا » فى صحيفة فينانشيال تايمز فى ٤ أكتوبر ١٩٦٣ يبدو مظهره بريئا ٠ ولكننا اذا تعمقنا فى البحث دخلنا فى عالم البنوك الدولى ٠ فهنا نقابل رؤوس الأموال البريطانية والامريكية التى تغلغلت فى وقت قصير خلال أربع قارات ، وبؤرة الاستثمار هى شركه سويسرية International Factors AG. of Chur ورأسمالها الاسمى هو ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنكا سويسريا (٤٩٠٫٠٠٠ جنيها) ٠ وقد بدأت نشاطها فى ألمانيا حيث أنشئت شركة International Factors Deutchland مع ثلاثة بنوك ألمانية ، واحتفظت شركة Chur بـ ٥٠٪ من رأس المال ٠ ويمتلك ٢٠٪ منه بنك فرنكفورت، ٢٥٪ Mittelrheinische Kredit bank ٥٪ فى بنك خاص بفرنكفورت هو جورج هوك Dr Horbach & Co. George Hauck ٠ وسوف تتسع حصة بنك فرنكفورت Frankfurter Bank بعد حصوله على ٥١٪ من شركة هورباك Horback & Co. عن طريق تبادل الاسهم ٠

وكانت المصالح المصرفية الثقيلة خلف المشروع الدولى الذى له شركاء فى سويسرا واستراليا وجنوبأفريقيا واسرائيل وألمانيا هى البنك الاهلى ببوسطون National Bank of Boston ومستر صمويل وشركاه بلندن ، والثالثة كانت شركة تخضع لنفوذ صمويل ، توزور كيمسلى وملبورن ٠ وكان بنك بوسطون الأهلى ـ الذى كان فى وقت ما داخل نطاق امبراطورية مورجان المالية ـ قد وقع منذ عام ١٩٥٥ تحت نفوذ روكفلر ولو أنه ظل متصلا بمورجان ٠ وهو منضم الى بنك تشيس الأهلى Chase National Bank (روكفلر) فى الهيئة المالية الامريكيه فيما وراء البحار American Overseas Finance Corp.

وكان رئيس مجلس ادارة شركة صمويل هو الفيكونت بيرستيد الذى كان في نفس الوقت مـــدير شركة تأمين الاليـــانس Alliance Assurance Co (التى هى من صنع روتشيلد) وتابعتها شركة تأمين صـــان اليـــانس Sun Alliance Insurance وكان رئيس مجـلس ادارة شركتى التـأمين هو مستر ت· د· باركلى مدير بنك باركليز ومدير بنك باركليز بفرنســـا وبنك التيل البريطانى British Linen Bank الذى هو أحد توابع بنك باركليز ·

وفى أوائل فبراير عـــام ١٩٦٣ اشترى بنـــك المدينـــة الأهلى بنيويورك National City Bank of New York - عن طريق هيئة المصارف الدولية International Banking Corporatin - ١٦٣/٤٪ من نصيب صمويل وشركاه الذى هو عبارة عن ٦٠٠ر٠٠٠ سهم عادى بمبلغ ١ر٩٠٠ر٠٠٠ جنيها · وقد وضع البنك الاهلى رئيس مجلس ادارته ر· س· بيركنز فى مجلس ادارة صمويل · وقد ساعدت الحقنة التى أعطاها رأس مال روكفلر لصمويل وشركاه على أن تمتد الى السوق الاوروبية حيث انضمت الى جماعة المصارف الاوروبيـــة بواســـطة البنك الفرنسى الهام - بنك باريس والبـــلاد المنخفضـــة Banque de Paris et des Pays-Bas

وقد قام بيت صمويل وشركاه بادارة مؤسسة أخرى من مؤسسات السوق الاوروبية بلندن هى New European & General Investment Trust التى هى بدورها متصلة ببنك لامبرت ، بنك باريس والبلاد المنخفضة والبنك الالمانى المعروف Sal Oppenheim & Cie والمصارف الهولندية مثل ليبمان Lippmann وروزنتال وشركاه Rosenthal & Cie وبنك الكريديه الايطالى Credito Italiano of Italy وبنك أركوجو بأسبانيا Banco Urqujo of Spain واتحاد البنوك السويسرية Union de Banques Suisses ·

قد نبدو كما لو كنا قد دخلنا فى تعقيدات المصالح المالية والاقتصادية التى تكمن خلف العناوين البريئة المظهر • ولكن هذه فى الحقيقة هى ما تشير به الدلائل نحو الاتجاه الحالى للجمـاعات القوية التى تقبض بقوتهـا وتتحكم فى حياتنا على مستوى عالمى • ان عملية اظهار معنى ذلك بالتفصيل هو الهـدف الجوهرى من هذا الكتاب •

ورغم هذا الايجاز فانه يلقى الضوء على هذا التشابك الثعبانى لشركات الاحتكار المالية فى الوقت الحاضر • ان ما نشاهده اليوم هو تغلغل مستمر من جانب مؤسسات مصرفية ومالية قليلة فى مشروعات صناعية وتجارية واسعة ، مما يخلق سلسلةمن الاتصالات تربطها ببعضها، تستهدف السيطرة على الاقتصاد الاهلى والاقتصاد الدولى • ويمتد نفوذ هذه السيطرة على السياسة وعلى الشئون الدولية بحيث نجد أن مصالح هذه الشركات الاحتكارية تتحكم فى السياسات الوطنية • ولهذا السبب يوضع ممثلوها فى المناصب الرئيسيـة فى الحكومة والجيش والبحرية وسلاح الطيران والسلك الدبلوماسى والهيئات التى تتحكمفى رسم السياسات وفى المنظمات الدولية التى تخرج السياسات المختارة عنطريقها الى المسرح العالمى •

وقد وصلت هذه العملية الى درجة عالية قبل نشوب الحرب العالمية الاولى مما كان يتطلب دراسات هامة لنموها وقوتها • وقد استخدم لينين اثنين من هذه الدراسات : كتاب « الامبرياليـة » تأليف الـكاتب الانجليزى الحر ج• أ• هوبسون والذى نشر فى عام ١٩٠٢ ، كتاب « رأس المال » الذى كتبه الماركسى الاشتراكى رودلف هلفردنج والذى نشر فى عام ١٩١٠ ، وقد استخدمهما لينين كأساس جوهرى لدراسة « الامبرياليـة » التى يصفهـا بأنهـا « أعلى مراحل الرأسمالية » •

وقد أتت هذه الدراسة فى المرحلة التى تحولت فيها المنافسة الى احتكار ، وهو ما يسمى بتجميع الانتاج ، بمعنى أن يتجمـع فى المشروع الواحـد فروع

مختلفة من فروع الصناعة ، ثم يسيطر رأس المال على الاحتكار ذاته . وقد كتب لينين دراسته هذه عام ١٩١٦ . ومنذ ذلك التاريخ وسيطرة الاحتكار المالى تسير بسرعة فائقة .

فكيف حدث اذن أن تصل الرأسمالية - التى أساسها المشروع الحر والمنافسة - الى المرحلة التى تنعدم فيها المنافسة الى حد أن تمارس الاحتكارات الهرمية حقوقها الدكتاتورية ؟ ... ان احتمال حدوث ذلك هو فى المشروع الحر نفسه . ان دفع المنافسة قد أدى الى الاختراع على مستويات متعددة. لقد ابتكرت آلات جديدة فزاد الانتاج وزادت الارباح واتسعت المصانع وأصبحت الوحدات الصغيرة لا تدر ربحا ، وطردتها الوحدات الكبيرة أو ابتلعتها . ثم ان النقل بالسكة الحديد حسن التوزيع ، ثم كان النقل عبر المحيطات مما شجع التجارة فيما وراء البحار وسهل استيراد المواد الخام الاجنبية .

وعملت الشركة المساهمة التى شجعت نمو النقل بالسكة الحديد وعبر المحيطات كأداة لنمو أعمال المصارف والتأمين . وساعدت قوانين الشركات الجديدة على التوسع فى المشروعات الصناعية والتجارية حيث قل عنصر المخاطرة بالنسبة للفرد المستثمر نتيجة لتحديد مسئوليته .

ثم انتقلت المنافسة الى مستوى آخر . فالشركات التى كانت تمتلك رءوس أموال ضخمة استطاعت أن تبسط نفوذها على الشركات الاقل منها . ثم ان التوسع الضخم فى ميدان الصناعة فى نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى صاحبه تركيز كبير وسريع على المشروعات الكبيرة ، فارتبطت الارباح بالقضاء على المنافسة .

ونشأ توحيد أو تجميع الانتاج كمظهر أساسى من مظاهر الرأسمالية . بالشركات التى بدأت عملها بالتركيز على مهمة صناعية واحدة تحولت الى التركيز على عدة مشروعات تمثل المراحل المختلفة المتصلة الواحدة بالاخرى ، ووسعت

البيوت التجارية نشاطها الى التوزيع ثم الى الانتاج الفعلى للسلع المصنعة من المواد الاولية التى تنتجها من المزارع ومن المناجم التى تحصل عليها من ممتلكاتها التى وراء البحار ٠

وقد قال « هلفردنج » فى كتابه عن هذا الموضوع « رأس المال السائل » يشرح الاسباب التى وراء هذه العملية :

« ان هذا التوحيد أو التجميع يقضى على ذبذبات التجارة، ولذلك فهو أولا : يضمن للمشروعات الموحدة أو المجمعة نسبة من الربح أكثر ثباتا ٠ ثانيا : من أثر هذا التوحيد أو التجميع القضاء على التجارة ٠ ثالثا : من شأنه ادخال التحسينات الفنية وتكون النتيجة الحصول على أرباح ضخمة أكثر بكثير من أرباح المشروعات غير المجمعة ٠ رابعا : أنه يقوى مركز المشروعات المجمعة بالمقارنة بالمشروعات الفردية ، كما أنه يمنحها القوة فى الصراع التنافسى وقت فترات الركود عندما لا يتمشى هبوط أسعار المواد الخام مع هبوط أسعار السلع المصنعة » ٠

ونتيجة لتوسع احتكار الصناعة واحتكار التجارة زاد الاعتماد على رأس المال المصرفى ٠ فطرق الانتاج الجديدة وتقسيم المصانع والبيوت التجارية الى ادارات وتوزيع البحوث نتيجة امكانيات المواد الجديدة والطرق الجديدة بالنسبة للمواد القديمه والمواد الجديدة ــ مع أنها أدت جميعها الى تقوية الاحتكار وزيادة الارباح فانها تطلبت رؤوس أموال كبيرة لا يستطيع الوفاء بها الا المصارف وما يتبعها من شركات تأمين ٠ وهكذا مضت عملية ادماج المشروعات الصناعية جنبا الى جنب مع عملية التركيز على المصارف وتغلغلها فى المشروعات الصناعية والتجارية الكبرى ، فساهمت فى رؤوس أموالها بنصيب كبير ٠

وقامت المصارف بدور الوسيط الذى كان يؤديه مقرضو النقود ، وتحولت الى هيئات احتكارية قوية وأصبح تحت امرتها كل وسائل الانتاج ومصادر المواد

الخام فى دولة معينة أو فى عدد من الدول • ويمثل هذا التحول من دور الوسيط المتواضع الى دور المحتكر احدى العمليات الجوهريه فى نمو الرأسمالية وتحولها الى امبريالية رأسمالية •

وقام اتحاد بين رجل الصناعة ورجل المصرف بسيادة الاخير • ففىالولايات المتحدة مثلا كان يسيطر على هيئة الصلب بها ــ التى هى بدورها عبارة عن عدة شركات صلب ضخمة اندمجت بعضهـا فى بعض وأصبحت تنتج نصف صلب الولايات المتحدة ــ مصالح ج•ب مورجان المصرفية ، وذلك نتيجة للاستثمارات الواسعة التى للأخيرة فيها • وقبل نهاية العشر سنوات الاولى من القرن الحالى كان تشابك الصناعة والاعمال المصرفية قد قطع شوطا بعيدا • ففى ألمانيا مثلا كان هناك ستة من كبار المصارف ممثلة بواسـطة مديريهـا فى شركات يبـلغ مجموعها ٧٥٠ شركة تشتغل فى معظم فروع الصناعة المختلفة : التأمين ، النقل، الصناعة الثقيلة ، السفن ، المطاعم ، المسارح ، الفنون ، دور النشر ••• الخ • وفى الوقت نفسه كان يجلس فى مجالس ادارة هذه المصارف الستة فى عام ١٩١٠ واحد وخمسون من أكبر رجال الصناعة ، من بينهم كروب ــ ملك الحديد والصلب والاسلحة ومدير الخط الملاحى القوى (هامبورج ــ أمريكا) •

وقد زاد عمق هذه العملية فى الوقت الحاضر ، وهو يمـد جذوره فى كل يوم • وكانت المصارف الالمانية تضم الأربعة بنوك العمـلاقة : البنـك الألمانى Deutsche Bank وبنـك درسـدن Dresdner Bank وبنك Disconto Gesellschaft والبنك التجارى Commerz-Bank ــ وقد زادت قوتها قوة فوق قوة • ويندمج معها اليوم البيوت الصناعية الألمانية الكبرى والاتحادات ، مثـل كروب ، باير ، باديش انيلين وصودا فابريك ، فابرورك هوشست ، مصانع المتفجرات والاسلحة المتصلة بشركة أ• س• أ• وتابعها فى القارة سولفاى• وقد أصبح البنك الالمانى الآن بنك الدولة الأول ويأتى ترتيبه الحادى عشر بين كبريات

المصــارف العالمية • وفى عام ١٨٧٠ كان رأس مال هــذا البنك هو ١٥ مليون مارك زادت فى عام ١٩٠٨ الى ٢٠٠ مليون مارك • وفى عام ١٩٦٢ كان البنــك يشتغل فى ١١٠٠ بليون فرنكا فرنسيا •

ويستند حكم القلة المالية الى نظام الشركة الحائزة التى غالبا ما تتكون برأس مال اسمى صرف، ولكنها تسيطر سيطرة مباشرة وغير مباشرةعلى توابع لها تعمل فى مبالغ ضخمة • واذا افترضنا أن امتــلاك ٥٠٪ من رأس المــال كاف للسيطرة على شركة من الشركات كان من الممكن باستثمار ١٠٠ر٠٠٠ جنيها أن نستثمر عشرات الملايين من الجنيهات فى الفروع والمشروعات المتصلة بها •

ويشكل رأس المال الســائل المركز فى أيدى قلة احتكارا حقيقيا ، حيث يجبى أرباحا طائلة من أقراض الأموال ومن التأمين على الاسهم والسندات ومن القروض للحكومات ومن اصدار السندات الحكومية • فمثلا يتبع بنك ألمانيــا اجراء معينا كى يسيطر على المشروعات ويحصل على مزيد من الأرباح • فعندما يساهم فى مشروعات جديدة أو فى التوسع فى مشروعات قائمة فانه يجد كل رأس المال المطلوب من مصادره أو من توابعه • وعنــدما يتم التشــكيل تصفى الاسهم ويحتفظ البنك بأسهم كافية تتيح له صوتا متسلطا فى تصريف الأمور • وفى نفس الوقت يأخذ أرباحا على رأس المال الأصلى •

والقروض الأجنبية تكون مصدرا كبيرا من مصادر الأرباح الاحتكارية • وفى العادة تكون الدولة المقترضة محظوظة اذا حصلت على تسعة أعشار مبــلغ القرض • وفى الغالب تحصل على أقل من ذلك ، وخاصة اذا كانت هذه الدولة من الدول النامية • وقروض ليبيريا هى مثل واضــح يبين كيف يعمــل المــال الاحتكارى بمعاونة الحكومات فى زيادة أرباحها •

فقد صرح الرئيس آرثر باركلى ـ رئيس ليبيريا ـ فى عام ١٩٠٤ أن قرض السبعة فى المائة الانجليزى فى عام ١٨٧١ ـ وأصله ١٠٠ر٠٠٠ جنيها ـ وصل

منه فعلا الى الخزانة الليبرية مبلغ ٢٧٫٠٠٠ جنيها بسبب بعض الاختلاسات الرسمية ، وكان يتطلب ايراد الدولة لمدة ثلاث سنوات لتغطيته • وقد نجحت احدى حكومات ليبريا فى الحصول على قرض دولى قدره ١٫٧٠٠٫٠٠٠ دولارا ساهمت فيه البيوت المصرفية البريطانية والفرنسية والهولندية والالمانية مع بعض المؤسسات المالية فى الولايات المتحدة : ج• ب• مورجان ، البنك الأهلى للمدينة National City Bank ، البنك الأهلى الأول لنيويورك First National Bank of New York ، كون لوب وشركاه .Kuln Lœb & Co

وفى هذا الموضوع استخدمت أكثر الوسائل تعسفا فى تسديد هذا القرض • فعينت الولايات المتحدة حارسا عاما كما عينت بريطانيا وفرنسا حراسا فرعيين ، واستمر هذا الاجراء حتى تولت أمريكا السيطرة التامة على مالية ليبريا فى أثناء الحرب العالمية الاولى • ولم يكن يدخل الحكومة فى ليبريا الا القليل ، وفى نفس الوقت كانت الأرباح الخيالية تدخل البنوك وبيوت الاصدار • وصدرت سندات حكومية قيمتها ٧١٥٫٠٠٠ دولارا فى لندن ، ٢٢٥٫٠٠٠ دولارا فى ألمانيا ، ٤٦٠٫٠٠٠ دولارا فى أمستردام ، ١٥٨٫٠٠٠ دولارا فى نيويورك الى الدائنين فى ليبريا دفعا لمطالبهم المستحقة • وقد اقتضى ذلك الحصول على نقود للتعويضات من بيع الممتلكات الألمانية فى ليبريا لتصفية الديون اللاحقة التى كانت مستحقة على البنك البريطانى لأفريقية الغربية تسديدا لمطالب هذا القرض •

ولم تستطع حكومة ليبريا أن تسدد الفوائد الأصلية المتراكمة لقرض ١٩١٢ الا بعد أن عقدت قرضا جديدا مع هيئة فايرستون الأمريكية فى عام ١٩٢٦ • وكان القرض الذى قدمته فايرستون فى حدود خمسة ملايين من الدولارات بفائدة قدرها ٧٪ • ولكن فى عام ١٩٤٥ لم يسدد من هذا المبلغ الا نصفه • وكان من بين شروط فايرستون الغاء منصب الحارس على الجمارك واحلال

مستشار مالى محلـه • وتحت ضغـط هذه الديون اضـطرت ليبريا أن توافق على منح امتيازات لفايرستون فى زراعة المطاط وبعد ذلك فى شركة جودرتش للمطاط •

ومن بين وظائف رأس المال الســائل الرئيسية اصـدار ضمانات يكون سعر القطع فيها غاليا جدا • كذلك يكون رأس المال هـذا وسيلة من وســائل تدعيم حكم الأقلية الماليه • ففى أيام الرخاء تكون الارباح ضخمة ، وفى أيام الركود تحصل البنوك على الممتلكات بشراء البيوت التجارية الصغـيرة أو التى لا تستطيع الوفاء بالتزاماتها ، أو باعادة تنظيمها بما يعود عليها بالربح • وبهذه الطريقة تحصل البنوك على الامل وتوسع نطاق سيطرتها • كذلك تزيد المساعدات المالية للمضاربين بين أصحاب الاراضى وهذه المساعدات المالية هى وسيلة من وسائل توسيع رقعة السيطرة وتضخم الارباح فى أوقات التوسع الصناعى • ويتحد احتكار ايجار الارض مع احتكار المواصلات حيث أن العامل الهام الذى يحكم ارتفاع أسعار الأراضى هو الوسيلة الطيبة للمواصلات مع مراكز المدن •

ويبين سام أرونوفتش فى كتابه « الاحتكار : دراسة للرأسمالية الاحتكارية البريطانيـة » الذى نشره لورنس ويشــارت فى عـام ١٩٥٥ كيف أن الموارد البريطانية قد أصبحت مركزة فى أيدى قلة من المصــارف الـكبرى والبيوتات المالية • ومنها نجد أن « الخمسة بنوك الـكبرى » لهـا نفوذ ضخم • ففى عـام ١٩٥١ كان الـ ١٤٧ مديرا يشغلون ١٠٠٨ منصبا ، من بينها ٢٩٩ ـ أقـل من الثلث بقليل ـ كانت فى أيدى بيوت أخرى غير الخمسة بنوك الكبرى • ومن بين هذه الـ ٢٩٩ كانت ٨٥ منها فى يد شركات الخصم ، ١١٧ فى يد شركات التأمين و ٩٧ فى يد شركات الاستثمار •

ويقول كارل ماركس فى كتابه « رأس المال » فى الفصل الثالث والثلاثين من المجلد الثالث : « ثم يتكلمون على التركيز بعد ذلك ! » •

« ان نظام الائتمان ـ الذى يتركز فيما يسمونه بالبنوك الأهلية وفى كبار المرابين ـ هو عبارة عن مركزية ضخمة ، ثم أنه يمنح لهذه الطبقة من الطفيليين نفوذا خياليا ... للتدخل فى الانتاج الفعلى بشكل شديد الخطورة ـ وهذه العصبة لا تعرف شيئا عن الانتاج وليست لها صلة به » .

ويؤكد سيطرة هذه المؤسسات المالية على الصناعة الطرق المختلفة التى يقدم بها رأس المال للصناعة الربح الطائل . وهذه العملية تؤكد فصل رأس المال السائل عن رأس المال الصناعى . وبعد أن يتم هذا الفصل بابعاده الكبيرة ، وبعد أن تصبح سيطرة رأس المال متفوقة يكونون قد وصلوا الى مرحلة الامبريالية . ويمكن أن نقول أن هذه المرحلة قد وصلت الى درجة النضج فى بداية هذا القرن .

ومن المنافسة الحرة ـ التى هى سمة أساسية من سمات المراحل الاولى ـ تحولت الرأسمالية فى أعلى مراحلها الى احتكار متمثل فى النقابات والاتحادات التى اندمج فيها رأس مال عدد قليل من البنوك . وأصبح للشركات والاتحادات طبيعة دولية كما أنها قامت بتقسيم العالم فيما بينها . وامتد الاحتكار حتى شمل السيطره على المواد الخام والاسواق التى من أجلها يدخل رأس المال المتقدم فى صراع شديد .

وان الحاجة الاولى لرأس المال السائل فى المرحلة الامبريالية هو ايجاد مجالات للاستثمارات فيما وراء البحار بما يعود بالارباح الكبيرة بنسبة أكبر مما يمكن الحصول عليه داخل البلاد . وبذلك يصبح تصدير رأس المال هو دينامو الامبريالية الذى يؤدى الى امتلاك المستعمرات كوسيلة من وسائل ضمان السيطرة الاحتكارية . وتبنى على أساس هذه العملية الاقتصادية الايديولوجية السياسية

والبناء فوق الاقتصادى الذى يدفع الى خوض المعركة من أجل الغزو الاستعمارى.
وقد عبر هلفردنج عن هذه الايديولوجية بجملة موجزة واحدة فقال : « ان رأس المال السايل لا يريد الحرية ، انه يريد السيادة » ، لأن فى السيادة على المستعمرات ضمانا لحكم الاقلية المالية من جانب الدولة المتسيدة على الاحتكار وعلى امكانيات موارد المواد الخام وعلى أسواق السلع المصنعة .

الفصل السادس

الموارد الأولية والمصالح الاجنبية

تتصل الشركات الامريكية والاوروبية المرتبطة باقوى المصارف والبيوت المالية العالمية الكبرى وبموافقة الحكومات الافريقية بالمشروعات الضخمة القائمة على استغلال موارد المنتجات الاولية الجديدة . وفى بعض الحالات نجد أن هذه الشركات مرتبطة بمشروعات طويلة المدى لاقامة صناعات أساسية معينة . وفى الغالب نجد أنها تقصر عملها على انتاج المواد فى مراحلها الاساسية أو الثانوية ، بغرض تحويلها فى المصانع التى تملكها وتديرها الشركات المستثمرة .

لقد فشلت أفريقيا فى أن تقطع شوطا طويلا فى طريق التنمية الصناعية الصادقة ، لان مواردها الطبيعية لم تستخدم لتحقيق هذا الغرض، ولكنها استغلت لزيادة التنمية فى العالم الغربى . لقد استمرت هذه العملية وقتا طويلا وازدادت دفعا فى السنوات الاخيرة بعد ابتكار وادخال العمليات والوسائل الجديدة التى زادت من انتاج الصناعات المعدنية وغير المعدنية فى أوروبا وأمريكا حتى يساير الطلب المتزايد على السلع المصنوعة .

ولقد كان للاستعدادات العسكرية وللتوسع النووى تأثير كبير على هذا الطلب وقد تضاعف انتاج الصلب الخام مرتين فى العشر سنوات بين عامى ١٩٥٠و١٩٦٠ من ١٩٠ مليون طن الى ٣٤٠ مليون طن . وحتى التأخر الذى حدث عام ١٩٥٨ والذى استمر طوال السنوات التالية فشل فى أن يوقف هذا التقدم الذى استمر ــ بدرجة أقل ــ فى البلاد الشرقية والغربية .

ونحن نتنبأ أن درجة هذا الانتاج سوف تستمر ٠ وبما أن مصدره البلاد الغربية فانه لا يكاد يسمح بتوسع الافريقيين فى المنتجات الاولية ، وان كان يسمح بتدفق هذه المواد بين مصادرها فى البلاد النامية وبين البلاد ذات التصنيع العالى التى تستخدمها ٠ كذلك لا نأخذ فى الاعتبار احتمال حدوث تدهور فى اقتصاديات الغرب التى تؤثر على طلب المواد الخام ٠ وقد أصدرت اللجنة الاقتصادية الاوروبية التابعة للأمم المتحدة فى عام ١٩٥٩ نشرة جاء فى تقديرها أن الانتاج العالمى للصلب بين ١٩٧٢ و ١٩٧٥ سيكون فى حدود ٦٣٠ مليون طن ٠ وقبل الحرب العالمية الاخيرة كان معظم انتاج الصلب والحديد فى العالم الغربى أساسه المواد الخام المحلية ٠ أما سنوات ما بعد الحرب وخاصة منذ عام ١٩٥٦ فقد شاهدت اتجاها مضادا ٠ فحوالى ربع المواد الخام (٩٠ مليون طن من ٤٠٠ مليون) مما استعمل فى صناعات العالم المعدنية مستورد ٠

وأهم البلاد التى كانت تستورد هذه المواد الخام هى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان ٠ ويوجد لدى الاتحاد السوفييتى ولدى الدول النامية كميات كافية من المواد الخام المحلية ٠ ويوجد فى الوقت الحاضر ثلاث مناطق تستغل الدول المنتجة العظمى مواردها الاولية ٠ وهذه المناطق هى أفريقيا وكندا وأمريكا الجنوبية ، وبنوع خاص شيلى وبيرو وأخيرا فنزويلا ٠ كما أصبحت كندا منطقة استثمار رأس المال الامريكى الذى يدر أرباحا طائلة والذى يستغل كميات ضخمة من المنتجات الخام فى المصانع الامريكية ٠ والى جانب تقديم هذه الميزات فان أمريكا الجنوبية وأفريقيا تقدم اليد العاملة الرخيصة وتقدم المساعدات الحكومية على شكل اعفاء من الضرائب الجمركية للآلات المستوردة كما تعفيها من الضرائب العادية ٠

وتدل البيانات الاحصائية على أنهم يكتشفون فى أفريقيا كل يوم كميات أكبر وأكبر من المواد الخام ذات القيمة ٠ وينظر الغرب الى هذه المواد على أنها منابع للاستغلال من أجل تجارة بلادهم وصناعاتها ، فى نفس الوقت الذى يتجاهلون

فيه تنمية البلاد التى توجد فيها هذه المواد . وفى مقال كتبه روبرت سونال فى صحيفة «يوروب أوتريمر» فى نوفمبر ١٩٦١ قال أن أفريقيا سوف تكون الموردة للحديد الخام الذى يستخدم لصالح بلاد الغرب .

واختتم مقاله بأن قال ان مساهمة أوروبا هو عامل مواتى لاستغلال موارد أفريقيا المعدنية ، ولكن الامكانيات الانتاجية تتطلب الحكمة وتتطلب الدراسة المستفيضة لامكانيات البيع . وسوف تبدأ هذه المناجم فى الوصول الى موقف المنافسة الامر الذى سوف يكون له أثره على مستوى الاسعار . ولذلك فانها فى حاجة الى أن تدرس قبل أن يبدأ العمل فيها ، كما يجب الاعتماد على اتفاقية بين الشركات المستغلة وبين الدول المضيفة وتكون النتيجة أن تحصل الشركات على عائد عادل وتحصل الدول المضيفة على نظام مالى مستقر لهذا الاستغلال .. وبالاختصار ينظر الى حكومات الدول الجديدة على أنها تقوم بدور الشرطة لصالح اتحادات الشركات والمصارف التى تصمم على الاستمرار فى علاقاتها ـ الغربية الافريقية ـ طبقا للأنماط الامبريالية . وهذا النظام المالى المستقر الذى سوف تضمنه لهذا الاستغلال سيكون أساسه الاسعار المنخفضة نتيجة المنافسة الحادة .

وقد حدث ارتفاع كبير فى انتاج المواد الاولية فى أفريقيا منذ عام ١٩٤٥ تحت تأثير الحاجة الى اعادة البناء وتحت تأثير الحرب الباردة التى كانت تتطلب تكديس الاسلحة واحتياجاتها . والدافع الآخر لهذه الزيادة هو الثورة التى حدثت فى طرق الانتاج وأساليب الادارة . كما أن انطلاق الشعوب التى كانت خاضعة للاستعمار نحو طلب الاستقلال كان من الاسباب القوية التى ساهمت فى التوسع فى انتاج المواد الخام .

وقد تضاعف انتاج المواد الاولية منذ عام ١٩٤٥ عدة مرات وفى بعض الاحيان مرتين . وتدل التقارير الواردة عن تغير المنظر فى غينيا نتيجة اكتشاف خام الحديد والبوكسيت . كذلك أحرز استخراج الماس تقدما كبيرا . فكان المستوى السنوى لانتاج الماس فى ساحل العاج عام ١٩٦٠ هو ٢٠٠ر٠٠٠ قيراطا

كما بدأت العمليات فى مناجم المنجنيز فى الاماكن المجـــاورة للاهو العظمى ·
ويستغل فوسفات الكلسيوم فى السنغال وكذلك الالومنيوم والرمل المتأكسد ·
واستخراج الحديد الخام فى طريقه فى موريتانيــا حيث تزمع شركة انجليــزية
فرنسية انتاج ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ طنافىالمرحلة الاولى تزيد بعد ذلك الى ٦٫٠٠٠٫٠٠٠
طنا فى السنة·وتقدر الكميات الموجودة بحوالى ١١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ طنا فيها حديد
بنسبة ٦٣٪ · وكان من نتيجة اكتشاف الفوسفات بكميات كبيرة فى الســنغال
أن قام اتحاد دالى ـ فرنسى بلجيكى ـ بغرض القيام بالعمليــات الاســتغلالية ·
وهم يقدرون أن ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طنا من الفوسفات الخام سيسمح بانتـــــاج
١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ من الفوسفات الفاخر · وســتكون الكمية المستخرجة ســـنويا
ولمدة عشرين عنما هى ٦٠٠٫٠٠٠ طن ·

وقد اكتشف الفوسفات فى توجو ويستغله اتحاد من الشركات له صــلة
ببنك باريس والأراضى المنخفضة Banque de Paris et des Pays Bas وهناك
شركات للتعــدين متصلة بالجمعيــة البلجيكية العامة Société Générale de
Belgique وكان من نتيجة اكتشاف المنجنيز واليورانيوم والبترول والحديد الخام
فى جابون أن قامت اتحادات شركات مماثلة لأستغلالها · وانتاج مناجم الكمرون
قليل فيما عدا كميات بسيطة من الذهب والصفيح · وبالرغم من عدم وجــود
تغييرات كبيرة فى مدغشقر فقد اكتشف اليورانيوم والمونوزيت والزركونوالكروم
وغيرها من المعادن · وتقدر كمية خــام الحــديد المكتشف فى الجزائر بحـــوالى
١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن ، كما نسمع كثيرا فى الوقت الحاضر عن اكتشاف منــابع
البترول والغاز فى الصحراء الكبرى · وتقدر الكمية المستخرجة من آبار بترول
الجزائر فى الوقت الحاضر بـ ٤٥٠٫٠٠٠ برميلا فى اليوم (وهى ثلث الكميــة
المستخرجة يوميا فى ايران) ، وقد وصلت ليبيا الى ١٥٠٫٠٠٠ برميلا فى اليوم،
وهم يتوقعون الوصول الى ٦٠٠٫٠٠٠ برميل فى اليوم فى مدى السنوات الخمس
القادمة · وفى قطاع الجزائر من الصحراء الكبرى يتوقعون انتاج ٥٠٪ من الحديد
فى جهة تندوف ·

وتدل الارقام التالية المأخوذة من الكتاب السنوى للاحصائيات الذى تصدره الامم المتحدة على الارتفاع الكبير فى انتاج المعادن من آفريقيا فى فترة ما بعد الحرب :

الدولة	المعدن		١٩٤٥	١٩٥٩
المغرب	فوسفات	طن	١ر٦٥٤ر٠٠٠	٧ر١٦٤ر٠٠٠
	فحم	»	١٧٨ر٠٠٠	٤٦٥ر٠٠٠
	زنك	»	٩٠٠	٦٤ر٧٠٠
الكونغو (ليوبولدفيل)	ماس	قيراط	٥ر٤٧٥ر٠٠٠ (رقم ١٩٤٧)	١٤ر٨٥٤ر٠٠٠
	نحاس	طن	—	٢٨٠ر٠٠٠
	صفيح	»	—	٩٣٣٧
روديسيا الشمالية	نحاس	»	١٩٧ر٠٠٠	٥٣٩ر٠٠٠
	زنك	»	١٥ر٥٠٠	٣٠ر٠٠٠
	منجنيز	»	٥٠٠	٢٩ر٥٠٠
روديسيا الجنوبية	فحم	»	١ر٦٦٩ر٠٠٠	٣ر٧٥٨ر٠٠٠
	كروم	»	٩١ر٣٠٠ (رقم ١٩٣٨)	٢٣٦ر٠٠٠
	اسبستوس	»	٥١ر٠٠٠	١٠٨ر٦٠٠
جنوب أفريقيا	ذهب	كيلو جرام	—	٦٢٤ر١٠٨
	ماس	قيراط	—	٢ر٨٣٨ر٠٠٠

وأعلى نسبةفىالزيادة حققتها جنوب أفريقيا حيث جعلها انتاج ٦٢٤ر١٠٨ كيلو جرام من الذهب تنتج نصف الكمية التى ينتجها العالم . كما جعلها انتاج ٢ر٨٣٨ر٠٠٠ قيراطا من الماس عام ١٩٥٩ ثالث دولة بعد الكونغو وغانا الذى يتكون معظم انتاجهما من الماس الصناعى بالرغم من أن سيطرتها علىصناعة

الماس أعظم نسبيا من سيطرة غانا • كذلك يأتى ترتيبها الاولى فى انتاج خام الكروم ، والثانية فى انتاج الرصاص من أفريقيا الجنوبية الغربية • وحتى انتاج جنوب أفريقيا من اليورانيوم ـ ٧٫٠٠٠ طن ـ المستخرج من طين الذهب والنحاس ـ يجعلها تتفوق على الكونغو ـ ١٫٧٦١ طنا •

وقد وصلت عملية التعدين بكافة أنواعه فى جنوب أفريقيا الى مرحلة الاستغلال التى يمكن مقارنتها بما هو حادث فى كندا أو استراليا حيث تأخذ نفس الشركات ـ متحدة مع المصالح الامريكية وغيرها ـ مركزا بارزا • وتتضح هذه العلاقة الوثيقة فى أسماء المناجم ـ وخاصة فى كندا ـ التى يوجد نظائر لمناجمها فى جنوب أفريقيا وروديسيا •

ان امتلاك أفريقيا للمواد الخام الصناعية يمكن اذا استغلتها لتنميتها والنهوض بها أن يضعها من بين أحدث قارات العالم دون الاحتياج الى المصادر الخارجية • ويوجد خام الحديد ـ من أجود صنف ـ بكميات ضخمة بالقرب من الساحل حيث يمكن أن يشحن الى الخارج • أما كمية البوكسيت فتقدر كميته فى أفريقيا بخمسى الكمية الموجودة فى العالم • وهى ضعف الكمية المستخرجة من استراليا التى تعتبر الثانية • وتقدر الكمية المستخرجة من غينيا مساوية لكل الكمية المستخرجة من استراليا ـ أكثر من ١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن • ويقال أن الكمية الموجودة فى غانا تبلغ ٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن • ومن بين المصادر الاخرى السودان والكمرون والكونغو ومالاوى • ومن الاماكن الاخرى المحتمل وجود كميات بها موزمبيق وسيراليون وغينيا البرتغالية وغيرها من البلاد الافريقية •

ومن بين المواد الدنيئة المهمة لانتاج الحديد والصلب المنجنيز الذى يحتل مكانة هامة • ففضلا عن استخدامه مع سبائك الحديد فى صناعة بعض أنواع الصلب فانه يستخدم فى الصناعات الكيماوية • وفى بعض الاغراض نجد أن المنجنيز من المواد التى ليس لها بديل • انه يستخدم بنسبة ١٨ كج الى ٢٠ كج

فى كل طن من الصلب • ويكتفى الاتحـاد السوفييتى والصـين اكتفاء ذاتيا بالنسبة لهذا المعدن الاساسى الهـام • ولا تمتلك الدول العظمى التى تصنع الصلب مثل الولايات المتحدة وغرب أوروبا واليـابان كميات كبيرة منـه فى أراضيها • ولذلك فمصادرها الرئيسية هى أفريقيا والهند والبرازيل • وأكثر هذه الاماكن انتاجا له أفريقيا • ولقد ظلت أنجولا وبتشوانالاند والكونغو وغانا والمغرب وروديسيا وأفريقيا الجنوبية الغربية ومصر من بين البـلاد المنتجة له فترة من الزمن • ويضاف الى هذه القائمة فى الوقت الحاضر ساحل العـاج وجابون •

ويعتبر شمال أفريقيا أكبر منتج للفوسفات • وتصدر المغرب وحدها منه ٠٠٠ر٠٠٠ر٧ طن من ٠٠٠ر٠٠٠ر٩ طن ينتجها شمال أفريقيا • وتأتى الولايات المتحدة الامريكية فى المرتبة الثـانية حيث تصدر ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ طن • ومن بين الدول الجـديدة التى ظهرت منذ عـام ١٩٥٧ الصين ـ ٠٠٠ر٦٠٠ طن فى عـام ١٩٦٠ ، فيتنام الشمالية ـ ٠٠٠ر٥٠٠ طن • وتعتبر السنغال من البلاد المنتجة للاومنيوم فوسفات ويبلغ انتاجه السنوى ٠٠٠ر٩٠ طن • وقـد بدأت توجو تظهر فى سوق الفوسفات فى هذه الايام •

ولقد أصبح خام الحديد ـ مثل البترول ـ أحد المكتشفات المعدنية الحديثة فى أفريقيا • وأصبح شمال أفريقيا وغربها المراكز الرئيسية • ومن بين كبار المنتجين للخام ذى المستوى العالى فى عام ١٩٦٠ ليبيريا (يحتوى الخام على ٦٨٪ حديد) ، أنجولا (٦٥٪) ، جنوب أفريقيا (٦٢٪) ، سيراليون (٦٠٪) ، المغرب (٦٠٪)، روديسيا (٥٥٪) ـ وهو الحد الادنى لنسبة الحديد الخام الجيد • وقد تمت اكتشافات جديدة لكميات أكبر وأنواع أجود منذ عام ١٩٦٠ ، ويمكن أن نعتبر أن كل البلاد الواقعة فى غرب أفريقيا ـ من موريتانيا حتى الكونغو (برازافيل) تحوى خام الحديد • وترسم الخطط الآن للتوسع فى عملية انتاجه فى ليبيريا وغينيا وسيراليون • أما فى نيجيريا والنيجر وموريتانيـا وغانا وجابون والـكمرون والسنغال والكونغو (برازافيل) فالمستخرج من خام الحديد اما أنه ينتج أو فى

طريقه الى الاستغلال هناك · وتقدر الكمية الموجودة فى غانا بحوالى مليون طن وهى فى منطقة الشين فى الاقليم الشمالى ، والوصول اليه ليس سهلا وتبلغ نسبة الحديد فيه بين ٤٦٪ و ٥١٪ · والمقترح استغلال الخام للاستغلال المحلى عندما تفتح بحيرة فولتا للنقل الداخلى · وتقدر الكمية الموجودة فى جمهورية النيجر بأكثر من ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن وتبلغ نسبة كمية الحديد بين ٤٥٪ و ٦٠٪ والخام موجدد فى « ساى » التى تبعد حوالى ٣٥ ميلا من « نيماى » ، وهى بعيدة فى الوقت الحاضر عن الطرق والسكك الحديدية والموانى · وتؤثر هذه العوامل أيضا على استخدام الخام الموجود فى « كاندى » فى داهومى حيث تبلغ نسبة الحديد فيه ٦٨٪ ·

ولقد ظلت الجزائر من البلاد المنتجة لخام الحديد لفترة من الزمن · وكان يقوم باستغلاله فى عام ١٩١٣ شركة مقاولات فرنسية اسمها Soct.de l'Ouenza وكانت تعمل فى جبل أونيزا جنوب قسطنطينة بالقرب من الحدود التونسية · ولقد أنشأت الشركة خطوطها الحديدية لتصل بين مركزى انتاجها وبين « أويدكبريت » ولتتصل بخط سكة حديد « بتيسا » ، وكانت الشركة تصدر الحديد الى بريطانيا العظمى وألمانيا وايطاليا وبلجيكا والبلاد المنخفضة والولايات المتحدة · وفى المدة من بدء استغلالها حتى عام ١٩٦٠ استخرجت الشركة ٤٦٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من المعدن · وكان عدد موظفى الشركة ٦٠٠ من الاوروبيين و ١٥٠٠ من الجزائريين ·

وقد ظهر خام الحديد أول ما ظهر فى الصحراء الكبرى فى «جارا جبليت» على بعد ١١٠ ميلا جنوب شرقى تندوف فى عام ١٩٥٢ . وصعوبة الموقع وصعوبة الحصول على الماء من العوائق التى تقف فى طريق الاستغلال · وفى الوقت الحاضر تقوم لجنة مشكلة من ممثلين لصناعات الحديد والصلب فى فرنسا وبلجيكا وألمانيا وايطاليا ولكسمبرج وهولنده لبحث امكانيات الاقليم فى هذا الشأن بالاشتراك مع المكتب الفرنسى للبحوث الافريقية ·

وتقدر كمية خام الحديد الموجودة فى ليبيريا بحوالى ١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طن فى سلسلة جبـال ينمبا وبحوالى ٦٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طن بالقرب من حـدود سيراليون • ومنجم خام الحديد فى ينمبا - الذى أغرق - يعاد العمل فيه بواسطة اتحاد من الشركات يعرف باسم « شركة لامكو المشتركة » LAMCO Joint Venture Enterp. وأعضاؤها من الليبيريين والامريكيين والسويديين . وتقدر الكمية الموجودة بها بأكثر من ٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طنا كما تبلغ نسبة الحديد فيه فى المتوسط أكثر من ٦٣٪ • وهناك عقود طويلة المدى من مصانع الصلب الالمانية والفرنســية والايطالية والبلجيكية ، ويذهب جزء كبير منــه الى شركة بيت لحم للصلب وهى شركة أمريكية قوية تساهم فى المشروع بنسبة ٢٥٪ بينما تساهم بالباقى ٧٥٪ شركة لامـكو • والشركة الاخـيرة هى شركة تتقاسـمها الحكومة الليبيرية مع الشركات الاجنبية - كل منهما لها النصف • والمساهم غير الحكومى فيها هى شركة خام الحديد الليبيرية التى هى عبارة عن اتحاد للمصالح المـالية الامريكية والسويدية •

وأهم هذه المصالح شركة المناجم السويدية - واسمهـــا جرانجزبرج Grangesberg التى فضلا عن مساهمتها الكبيرة فى منجم لامكو فانهـا تعمل كوكيل لهذا الاتحاد المشترك حيث يسود رأس المال الامريكى •وقد قامت شركة جرانجزبرج التى كانت تملك ١٢/٢٨ من اتحاد لامكو طبقـا لتقريرها السنوى بعد انعقاد اجتماعها السنوى باستوكهلم فى ١٨ مايو عام ١٩٦٢ بزيادة مساهمتها الى ١٥/٢٨ وبذلك أصبح لها أغلبية فى التصويت •

وتمتلك شركة جرانجزبرج مناجم خام الحديد فى وسط السويد كمـــا تمتلك محطات للقوى ومزارع وغابات • وهى التى قامت بانشاء والاشراف على مشروعات السكك الحديدية فى فروفى لدونج جارنفاج ، وهى التى تدير مصانع الحديد فى أوكسلساند وهى تنتج الحديد المطاوع وصفائح الحديد • وبالاضافة الى ذلك فهى تملك وتدير أسطولا من السفن كان يتكون فى آخر عام ١٩٦١ من احدى وثلاثين سفينة وكانت تتوقع استلام أربع سفن أخرى فى عامى ١٩٦٢

و ١٩٦٣ ٠ ولها فرع فى أكتبولاجيت هماتيت يدير مناجم فى شمال أفريقيا وفروعا أخرى لانتاج الاسلحة والمواد الكيماوية ٠ واستولت حكومة السويد عـلى ما كانت تمتـلكه شركة جرانجزبرج فى لوسافارا كورونا فارا ا ٠ ب L K A B ولكن من ثمن الشراء البالغ قدره ٠٠٠ر٠٠٠ر٩٢٥ كورون أعادت الشركة استثمار مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ كورون فى شركة L K A B

وكانت القيمة التى دفعتها الحكومة نظير شراء هذه الممتلكات تعادل نصف رأس المال الذى دفعته شركة جرانجزبرج وقدره ٠٠٠ر٨٠٠ر٤٩٥ كورون وحتى بدون هذا الثمن كان للشركة ممتلكات تقدر قيمتهـا بحوالى ٠٠٠ر٧١٩ر٤٠٣ كورون وذلك فى نهاية عام ١٩٦١ ٠ وهذا بخلاف الاسهم التى تمتلكهـــا فى الشركات الاخرى والتى تقدر قيمتها بمبلغ ٠٠٠ر٣٨٠ر١٥٤ كورون ٠ وكان صافى الربح الذى حققته الشركة فى ذلك العام هو ٢٥١ر٧٨٧ر٣٨ كورون كما بلغت الارباح التى دفعت لحمـلة الاســـهم ٠٠٠ر٧٠٠ر٣٥ كورون ٠ وارتفعت مبيعاتها من الحديد من ٠٠٠ر٦٢٠ر١ طن فى عام ١٩٥٩ الى ٠٠٠ر٥٦٠ر٢ طن فى عام ١٩٦١

وتعتبر شركة بيت لحم للصلب مجالا كبيرا للاستثمار بالنســـبة لارباح روكفلر من بترول ستاندرد ، الذى يحاول زحزحة مصالح البترول البريطانية الهولندية فى الشرق الاقصى ٠ ولقد نصب جون روكفلر الثالث نفسه اخصائيا فى شئون الشرق الاقصى وخاصة بالنسبة لليابان ، حيث كان ضمن بعثة جون فوستر دالاس التى اضطلعت بمهمة عقد معاهدة الصلح عام ١٩٥١ ٠ ولقد أنشأ جماعة اليابان بغرض التبادل الثقافى ٠ ولقد أدت الزيارات المتكررة والضغط الى زيادة امكانيات شركة ستاندرد للبترول فى اليابان وأندونيسيا وغينيـــا الجديدة والهند فى مجال انتـاج البترول وتكريره ومبيعاته ، وينعكس اهتمام روكفلر باليابان فى الصلة الوثيقة مع جماعة سومنتومو التى كانت وثيقـــة الصلة بدورها بشركة بيت لحم للنحاس والمسجلة فى عام ١٩٥٥ ٠ وتبلغ الكمية

الموجودة فى كولمبيا البريطانية من المعادن الخام ٣٫٣٠٤٫٠٠٠ طن وتبلغ نسبة النحـاس التى بها ١٫٢٠٪ وبها أيضـا ١٢٫٧٢٣٫٠٠٠ طن به كمية نحـاس تبلغ ٨٢ر٪ ٠

ويذهب جملة الانتاج الى شركة سوميتومو للمناجم المعدنية Sumitomo Metal Mining Co. المسئولة عن الانتـاج ٠ وقد اشترت الشركة ٤٠٠٫٠٠٠ سهما من بيت لحم ولهـا صلة بقروض تبلغ ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وباتفـاقية للمساهمة بنصف الاعتمادات المطلوبة للتوسع ٠ وبنائب رئيس بيت لحم وبمديرين آخرين أحدهما ينحدر من أسرة تاناكا ٠ وتم استخراج الكمية الاولى من منجم نمبا خلال شهر مايو عام ١٩٦٣ وتصل الكمية فى عام ١٩٦٥ الى ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ طن

ويمتد خام الحديد الموجود فى ليبريا الى غينيا حيث يجرى استخراجه فى اقليم نمبـا سيماندو ـ على بعـد ١٠٠٠ كيلو متر من كوناكرى ، بالقرب من حدود ليبريا وساحل العاج ٠ وقد تألفت جماعة من بنوك غرب أوروبا كاتحاد اسمه « الاتحاد الاوروبى لتنميـة الموارد الطبيعية فى القـارة الافريقيـة (Consortium Europien pour le Developpement des Ressources Naturelles de l'Afrique) CONSAFRIQUE - ويقوم الاتحاد فى الوقت الحاضر بمباحثات متعاقدا مع حكومة غينيا ٠ وتتكون الجماعة من :

بنك الهند الصينية ـ باريس

البنك الالمانى

بنك هامبروس ـ لندن

جماعة بروكسل للمالية والصناعة

تدرلاندش هاندل ماتشابيز ـ أمستردام

أوكسيفى ـ بروكسل

الشركة الفرنسية الامريكية للمعادن

وبنك الهند الصينية وثيق الصلة ببنك باريس والاراضي المنخفضة وله صلات بجماعة بلجيكا العامة • وقد استبعدت عملياته من فيتنام الشمالية بسبب نظام الحكم الاشتراكي السائد هناك ، بينما أصبح تابعا للتمويل الامريكي في فيتنام الجنوبية • ويتجه « بنك الهند الصينية » ـ الراسخ الاقدام في الجزائر ـ نحو أفريقيا شيئا فشيئا حيث يوجد ضمن عدة اتحادات وهو متصل بمصالح « الجمعية البلجيكية العامة » و « بنك باريس والبلاد المنخفضة » و « البنك الالماني » • وكلها متصلة بمصالح مورجان الدولية • وهناك من يمثل « بنك الهند الصينية » في مجلس ادارة « النيكل » التي تقوم باستغلال المعادن المتنوعة في آسيا واستراليا ، والتي لها مصالح هامة في « الشركة الفرنسية لمعدن اليورانيوم Compagnie Francaise des Minerais de l'Uranium وكان المرحوم روبليار مديرا آخر في مجلس ادارة « النيكل » وكذلك كان بوايراريه من « بناروبا ومناجم هوارون » التي كان يرأسها المرحوم لافوند من بنك بلجيكا والبلاد المنخفضة » فهذه البنوك وغيرها من المصالح الفرنسية الأمريكية المتحدة التي كانت تتجمع حول « جمعية المعادن » « Minerais et Metaux وباتينو » Patino وشركة كليماكس الامريكية للمعادن American Metal Climax تكون الاتحاد المسمى باسم « كورفراميه » CORFRAMET وكان عدد منها يستفيد من قروض مشروع مارشال •

أما « البنك الالماني » الذي كان دائم الاتصال بالاستغلال الاستثماري في البلاد المتخلفة فكان متصلا كذلك « ببنك باريس » • وحتى في أثناء الحرب لم يقلل من الدور الذي كان يلعبه كمستغل استعماري • ولكنه كان يتبع الجيش الالماني في البلاد المغزوة في أوروبا • ونجده اليوم مشغولا في دفع مصالح ألمانيا الغربية في أفريقيا وبنما وسيكي وباكستان وكولمبيا وبرتوريكو • ولقد قدم القروض للارجنتين والى مدينة أوسلو بالنرويج • وله ضلع في Pakistan Industrial Credit & Inves. Corp. Ltd. وهو يعمل كبنك ائتمان لشركات دولية مثل جنرال موتورز General Motors وفيليبس Philips والبترول الهولندي الملكي Royal Dutch Petroleum سنيا فسكوزا Snia Viscosa وباتصال

البنك الالمانى بالبترول الهولندى الملكى يكون متصلا بامتيـاز بترول الموصل الذى كان موجودا قبل الحرب فى ذلك الجزء من تركيا الذى أصبح الآن العراق ، بينما نشاطه لصالح جنرال موتورز وفيليبس يؤكد الدور الذى يلعبه البنـك الالمانى لرعاية مصالح مورجان التى تقوم بالتوسع الدولى لهذه المنظمات المتفرقة ومن أعضاء مجلس ادارة هذا البنك مديرو مصـالح الصلب « ماينسمان » Mannesmann فى اقليـم الروهر ، وهو ممثـل كذلك فى بنـك ألمـانى آخر هو بنك درسدن Drescner المشترك فى عدد من مشروعات الاستثمار فى القارة الافريقية .

وقد تأسست شركة ماينسمان للصلب - وهى احدى الشركات الهـامة جدا فى اقليم الروهر الالمانى - فى عام ١٨٨٥ . ورئيس مجلس ادارتهـا هو دكتور ولهلم زانجر وهو مدير شركة الجوما للصلب بكندا ، حيث كانت المصالح الالمانية متصلة بشركة هوكر سدلى ببريطانيا . ويتصـل « ماينسـمان » بعدة مشروعات فى الهند وغيرها وبكروب وفرعه فى دويزبرج - ديماج Demag ويشتغل الاخير متعاونا مع شركة بلونوكس الامريكية ، وتقع هذه الشركة التى تقوم بصنع آلات مصانع الصلب والصناعات الكيمـاوية والبترولية وغيرها داخل نطاق مصالح ميلون Mellon ومن ثم كانت صـلته بشركة بيت لحم للصلب المتصلة بدورها بصناعة الصلب بألمانيا الغربية التى زادت فيها مصالح ميلون . ولكل من البنك الالمانى وبنـك درسدن مصـالح هامة فى شركات أوبنهيمر بجنوب أفريقيا .

ولبنك هامبروس وشركة كيبل وويرلس وشركات أوبنهيمر مصـالح ذات قيمة فى مناجم الذهب والماس الموجودة فى وسط أفريقيـا وجنوبهـا . وكان بنك هامبروس - وهو بنك تجارى - متصلا بسوق الاستثمار السكندنافية، وقد نشر نشاطه فى أوروبا قبل أن تدخل بريطانيا السوق الاوروبية المشـتركة . وقد افتتح فرعا له فى زيورخ عام ١٩٦٢ تحت اسم شركة هامبروس للاستثمار Hambros Investment Company وكغيره من المؤسسات المالية الأخرى

دخل ميدان الاستثمار المالى وهو ميدان تأجير آلات الصناعة · ولهذا الغرض أنشـأ بنـك هامبروس شركة تأجير الآلات Equipment Leasing Co. فى عام ١٩٦٢ · ويستغل البنك بشكل مباشر فى استيراد وتوزيع السيارات من شركة السيارات البريطانية British Motor Corporation الى الولايات المتحدة عن طريق شركة السيارات البريطانية وهامبروس وهى شركة يتقاسمها الاثنان · وتشمل سيارات شركة السيارات البريطانية السيارات الآتيـة : أوستن ، م·ج ، موريس ، رايلى ، وولزلى والشركات الفرعيـة الاخرى مثـل نفيلد وغيرها · وعن طريق سيطرته على شركة لايدلو بنيويورك يستطيع بنك هامبروس تقوية اتصالاته بالمصالح الامريكية المصرفية ، ومن بين مصالح بنك هامبروس الاخرى اتصـــاله بشركة موكاته وجولدزميت لســـبائك الذهب Mocatta & Goldsmid التى زادت قيمة سبائكها فى عام ١٩٦١ من ٠٠٠ر٧٥٠ر٣ جنيها استرلينيا الى ٠٠٠ر٥٠٠ر٦ جنيها ·

وهناك جماعة مالية صناعية أخرى ترأسها الشركة البريطانية B. I. S. C. (Ore) Ltd. ويساهم فيها فرنسيون وألمان وأمريكيون ، وتقـــوم فى الوقت الحاضر باستخراج خام الحديد فى غينيا – فى كالوم – بالقرب من ميناء كوناكرى · وقد اكتشف هذا الخام الذى تبلغ نسبة الحديد فيه بين ٥٠٪و٥٥٪ عام ١٩٠٤ عندما بدأ العمل فى مد الخط الحديدى من كوناكرى الى النيجـر · واستمر التنقيب بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٢ بواسطة شركة غينيـا الفرنسـية لاعمال المناجم Mining Company of French Guinea وتكونت فى عام ١٩٤٨ شركة أخرى لتؤكد اكتشاف الخام ، وهى شركة كوناكرى للمعادن التى تنتج فى مصنعها بكالوم ٠٠٠ر٢٠٠ر١ طن فى كل عام ، ويمكن مضاعفة هذه الكمية دون اجراء تعديل كبير لمعداته · وتقوم هذه الشركة الى جانب انتـاج الحديد بمضاعفة دخلها بانشاء عدة صناعات مثل صناعة المتفجرا ت بواسـطة « الاتحاد الكيماوى لافريقيا الغربية l'Union Chimique de l'Ouest Africain وتشترك الشركات الآتية مع شركة كوناكرى للمعـادن التى يبلغ رأس مالهـا ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٠٠ر١ فرنك غينى :

شركة B. I. S. C.	٥ر٣٠٪
مكتب البحث الجيولوجي والمعادن	٧ر٢٤٪
الشركة المركزية للتعاون الاقتصادى	٧ر٨ ٪
الشركة الفرنسية لمناجم بور	٩ر٧ ٪
شركة هوش ٠	٥ ٪
جماعة روتشيلد	٥٦ر٩٪
الشركة الفرنسية الامريكية للمعادن ٠	٠٥ر٢٪
شركات أخرى ٠	٥٩ر١١٪

وتعتبر شركة هوش من كبار شركات ألمانيا الغربية للحديد والصلب مع الشركات المتحدة الاخرى مثل مانسيمان وفينكس ربنروهر ـ والاخيرة اندمجت مع جماعة ثيسين Thyssen وكانت جماعة ثيسين بدورها مشتركة مع كروب ٠

وتتطلع صناعة الحديد والصلب بألمانيا الغربية الى الحصول على المواد الخام لاستخدامها فى المصانع الالمانية ٠ وفى الجهات الاخرى حيث تقوم الدول المتخلفة بمحاولات للتصنيع يقومون باقامة مسابك ومصانع لفائف الحديد أى تحويل خام الحديد الى مرحلة ثانوية أو متوسطة ٠ وهكذا يقوم فرع ماينسيمان فى البرازيل المسمى بشركة سيدروجيكا ماينسمان Companhia Siderurgica Mannesmann بانتاج ٣٠٠ر٠٠٠ طن من الصلب غير النقى من خام الحديد الذى تستخرجه من مناجمها على بعد خمسة أميال من فرن عال جديد فى بيلو هورينرونتو ٠ ولرأس المال الامريكى سيطرة على صناعة الحديد والصلب الالمانية وقد بدأت هذه السيطرة فى أثناء الاحتلال الامريكى لالمانيا عقب الحرب العالمية الثانية ٠

وقد تولت بنوك مورجان قيادة غزو مجالات الصناعة الثقيلة فى المانيا الغربية مستخدمة وكلاءها الاوروبيين وشركاءها فى بريطانيا العظمى

وفرنسا وألمانيا وايطاليا وبلجيكا وسويسرا • ومن بين هؤلاء الشركاء جماعة روتشيلد المتشعبة التى تعاون بنوك مورجان فى مشروعاتها بجنوب أفريقيا • وقد قام القسم البريطانى ـ وعلى رأسه ن•م• روتشيلد ـ باعادة العلاقات مع روتشيلد اخوان ، هذه العلاقات التى ترجع فى قدمها الى ما قبل عهد نابليون • وتتصل شركة صمويل مع بنك لامبرت ببلجيكا Banque Lambert of Belqium ومع بنك باريس والبلاد المنخفضة الفرنسية ـ وكلها تعمل داخل نطاق استثمار جمعية بلجيكا العمومية Société Generale de Belgique على شكل اتحاد لاستغلال السوق الاوروبية المشتركة • ويجلس أدموند روتشيلد مع صمويل فى مجلس ادارة الشركة الانجليزية الاسرائيلية • كما يجلس روتشيلد ـ وهو مدير شركتين للتأمين : شركة الاتحاد وشركة اتحاد الشمس ـ فى مجلس ادارة شركة نيوفوندلاند البريطانية التى حصلت على امتياز للتنقيب فى رقعة مقدارها ٧٠٠٠ ميل مربع فى عام ١٩٥٣ • وللشركة امتياز آخر فى رقعة مساحتها ٣٥٫٠٠٠ ميل مربع فى لبرادور • ويجلس روتشيلد كذلك فى مجلس ادارة شركة الاسهم الخمسة بتورنتو حيث يوجد لبنك باركليز وبنك مورجان مصالح • ويشغل صمويل منصب مدير شركة شل للبترول وشركة شل للنقل والتجارة وغيرهما من الشركات الاستثمارية ، بعضها يعمل فى أفريقيا الوسطى مثل شركة استثمارات هايوود بأفريقيا الوسطى التى يشترك فيها عضو آخر من الاسرة هو أنطونى جيرالد روتشيلد الذى يجلس فى نفس الوقت فى مجالس ادارة شركات أخرى وشركات دعاية ونشر •

وتدخل شركة B. I. S. C. ضمن اتحاد الجماعة المساهمة لمناجم الحديد فى موريتانيا MIFERMA التى تقوم باستغلال خام الحديد فى فورت جورو وموريتانيا • ويوجد ما لا يقل عن ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من خام الحديد ذى النسبة العالية ـ ٦٤٪ أو ٦٥٪ ـ فى هذا الجزء الواقع على الحافة القريبة من الصحراء الكبرى ، وهو مستعد لانتاج سنوى قدره ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ طن • وللجماعة

البريطانية كما للجماعة الالمانية والجماعة الايطالية أملاك كبيرة ٠ ولـــكن أهم المصالح هى التى تملكها الجماعة الفرنسية وعلى رأسها مكتب معادن فرنسا فيما وراء البحار

وفيما يلى بيان بالشركات المشتركة فى هذا المشروع :

شركة B. I. S. C.

شركة استثمارات الخام البريطانية ليمتد

شركة الصلب البريطانية ليمتد

شركة سكك حديد الشمال

الشركة المالية فيما وراء البحار

دنيان انزان

جمهورية موريتانيا الاسلامية

شركة سيديرجيكا المالية

شركة سيديرجيكا للمعادن

اتحاد سيديرجيكا بشمال فرنسا

وللشركة رأس مال قدره ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠٠ر١٣ فرنك ولها الفروع الآتية :

شركة ساما (رأس مال ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ فرنك)

شركة هيبرما (رأس مال ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٥ فرنك)

الشركة المساهمة للنقل (رأس مال ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٠ فرنك) ٠

ومما يثبت أن الاسماء قد تتغير الا أن العناصر هى هى لا تتغير ، ان ادارة المنجم فى يد بناورويا ٠

و « فنسيدر » Finsider هى المنظمة المالية المتصلة بالجماعة الصناعية التى تضم « فيرومين » Ferromin ٠ كذلك كان البنك الالمانى على صلة بأسهمها

فى أثناء ١٩٦١/١٩٦٢ ، وتدخل شركة سكة حديد الشمال Compagnie du Chemin de Fer du Nord فى نفوذ بنك باريس والبلاد المنخفضة Banque de Paris et des Pays Bas كما كان الحال مع اتحاد سيدرورجيك لشمال فرنسا Union Siderugique de Nord de la France

وقد ظهرت علامات تبشر بوجود خام الحديد بها منذ عام ١٨٩٥ بعد أن كانت الاخشاب أهم صادراتها . وقد بدأ التنقيب منذ عام ١٩٣٨ بواسطة مكتب المناجم الفرنسية فيما وراء البحار French Overseas Mining Bureau الذى تحول فيما بعد الى مكتب البحوث الجيولوجية والمعادن Bureau Minières des Recherches Giologiques بالاشتراك مع شركة بيت لحم للصلب ، وكانت نتيجة ذلك تلك الشركة التى تكونت تحت اسم جمعية مناجم حديد ميكاميو Société des Mines de Fer de Mekambo فى عام ١٩٥٥ بهدف أن تكون مركزا عظيما للاندتاج كفيلا بسد حاجة صناعة الصلب فى أوروبا الغربية وكذلك سد حاجة شركة بيت لحم للصلب فى المستقبل ، وهكذا كان للشركة الاخيرة فيها ٥٠٪ . وكانت الاطراف الاخرى المشتركة فيها هى :

مكتب البحوث الجيولوجية والمعادن	١٢٪
بنك باريس والبلاد المنخفضة	٥ ٪
الشركة المالية لما وراء البحار (كوفيمار)	٣ ٪
شركة السويس المالية	٥ ٪
شركة فيات بايطاليا	٣½٪
اتحاد ميكاميو الالمانى (صناعة الصلب الالمانية)	١٠٪
صناعة الصلب الفرنسية	٩ ٪
صناعة الصلب البلجيكية	٢ ٪
صناعة الصلب الهولندية	½٪

ويبلغ مقدار رأس المال المستغل ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ر٢٠٠ فرنك وقد قامت نتيجة له بحوث بواسطة الجماعة الملتفة حول مكتب البحوث وجماعة الفحم والصلب الاوروبية مؤكدة المصالح التى للدول الاوروبية وسوقها المشترك فى موارد القارة الافريقية الاولية • ومما يجعل خام الحديد فى جابون ذا قيمة هو قربه من موارد القوى الكهربائية الهامة الكفيلة بأن تمده بالتيـار الكهربائى بوفرة وبسعر لا يتعدى فرنكا واحدا للكيلو وات •

ويدل اندماج شركة فيات فى هذا الاتحاد على حتمية التوسع الاحتكارى فى عمليات الاستثمار المختلفة • وليست فيات مجرد شركة لانتاج السيارات ولكنها منظمة صناعية تغلغلت وتوغلت فى الاستثمارات المالية فى أوروبا وفى غيرها • وقد تأسست فى تورينو عـام ١٨٩٩ وقد استطاعت فى مدى ثلاث وستين سنة أن تصبح ثانى شركة انتاج سيارات فى أوروبا ورابع شركة انتاج سيارات فى العالم بعد جنرال موتورز وفورد وفولكس فاجون • واذا أضيف انتاج سيمكا ـ المتصلة بفيات ـ الى انتاج سيارات فيـات لزاد انتاجهـا على انتـاج فولكس فاجون • ولم يتم نمو فيات نتيجة انتاج السيارات ، ولكنه تم خلال الانتاج الصناعى المتعلق بالتسليح فى الحرب العالمية الاولى ، وتوسع هذا الانتاج فى الحرب العالمية الثانية • وقد حققت الارباح نتيجة الدمار الذى لحق بايطاليا واستمرت فى ذلك فى فترة ما بعد الحرب برئاسة مؤسسهـا ـ وهو ضـابط سابق فى سلاح الفرسان وسليل أسرة ثرية من تورين ـ وهو جيوفانى أجنللى الذى كان يجمع بين حسن ادارة الاعمال وبين قسوة ملوك البترول أو السكك الحديدية الامريكيين فى الايام الخوالى •

وكانت استثمارات شركة فيات فى الشركات الاخرى فى عام ١٩٦٠ تقدر بنحـو ٠٠٠ر٧٠٠ر٢٦ جنيـه • ومن بين المشروعات الاخرى التى تعمل فيها شركة فيات مشروعات الاسمنت وآلات التصوير وصناعة الافلام • وتنتج احدى الشركات المتفرعة منها وهى شركة اتحاد الاسمنت التجارية Unione Cementi Marchino ٠٠٠ر٠٠٠ر١٦ طن من الاسمنت سنـويا • ومن

بين مشوعات فيات أيضا فيرموث سنزانو Cinzano الذى يستمتع به الجميع فى أنحاء العالم • أما الشركة المتفرعة الاخرى فهى شركة أمبريزيت Impresit التى تقوم ببناء السدود بغرض توليد القوى الكهربائية • فهى التى أقامت سد كاريبا Kariba فى روديسـيا كما أنهـا تقوم فى الوقت الحاضر ببناء سـد فولتا بغانا • ولفيات ممتلكات فى جميع أنحاء العالم • فكل عالم الملاهى الليلية المشهورة فى شارع بلانش بباريس هى ملك لشركة فيـات • والى جانب ذلك فهى تمتلك الاراضى والفنـادق وأماكن اللهـو الموجودة فى مدينـة سستريتر Sestrietre التى تعتبر من أهم المشاتى الايطالية وألعاب الشتاء •

وكغيرها من المنظمات الاحتكارية التى تغلغلت بمصالحها فى جميع أنحـاء الكرة الارضية والتى تشعبت مشروعاتها كانت تتفرع منهـا مصـالح بترولية فكانت تمتلك ٢٢٪ من أسهم اكويلا التى تعتبر الفرع الايطالى للشركة الفرنسية للبترول Compagnie Francaise des Petroles وتقوم شركة اكويلا بالعمل الآن فى النمسا وفى ايطاليا • وتدخل عمليات بناء السفن ضمن عمليات شركة فيات فهى تمتلك شركتين • وكل هذه الفروع التى تغطى أكثر من مائة شركة داخل ايطاليا وخارجها وتتركز كلها حول « المؤسسة المالية الصناعية » Instituto Financiario Industiriale التى أسست عام ١٩٢٧ والتى تعرف باسم J.F.I. وفى الجزء الثانى من عام ١٩٦٢ انضمت شركة فيات الى المجموعة الدولية التى يدخل فيها S. A. B. C. A. (بلجيكا) ، برينيه Bregnet (فرنسا) ، فوك وولف Focke Wulf (بلجيكا) ، فوكر Fokker (هولنده) ، هوكر سيدلى Hawker Siddeley (المملكة المتحدة) ، الطيران الجمهورى (الولايات المتحدة) وهى التى قدمت تصميمات الى حلف شمال الاطلنطى للاقلاع الرأسى • وتتعاون شركة فيات مع برستول سيدلى فى صناعة الطائرة النفـاثة برستول سيدلى أورفيس من طراز G. 91 وكذلك صناعة طائرات حلف الاطلنطى الستاندرد . وحتى تستطيع توجيه الرأى العام التوجيه الصحيح تقوم شركة فيات باصدار ثانى صحيفة يومية فى ايطاليا لاستامبا La Stampa

وصادفت شركة السويس المالية صعوبات جسيمة بعد أن استولت الحكومة المصرية على شئون قناة السويس وبعد المحاولة الفاشلة التى قامت بها الامبريالية الفرنسية البريطانية لاستعادة السيطرة على مصر وكانت تقع تحت ضغط من حملة الاسهم بها ٠ وعلى كل حال فقد قام مجلس ادارة الشركة بتصحيح الموقف بالبحث عن استثمارات ذات عائد سريع فاشترت عقارات فى استراليا . ولكنها تحاول جديا الحصول على أرباح من بترول الصحراء الكبرى ومن مواد القارة الافريقية الاولية ٠ ويتوقعون احراز نتائج طيبة من استثماراتها فى كوباركس Coparex حيث أن لهذه الشركة احتياطيا من البترول فى عام ١٩٦١ كان يدر عليها دخلا محترما ٠

ويوجد البوكسيت فى غرب أفريقيا وفى أفريقيا الاستوائية بكميات أوفر من خام الحديد ، ولكن ما زال استغلاله رهنا بالحصول على القوة الكهربائية وقد سبق أن أشرنا الى شركة FRIA هذا المشروع الذى أنشأه فى غينيا اتحاد على رأسه شركة روكفلر Rockfeller firm of Olin Mathieson والمشروع الثانى لهذه الجماعة هو مشروع بيشينى أوجين Pechiney Ugine وكانت هذه الجماعات ومعها جماعات رينولدز وكايزر وميلون الكان تشكل مشروعا آخر « بوكسيت ميدى » Les Bauxites du Midi ويجب أن نذكر هنا أن حكومة غينيا كانت قد أرسلت الى الشركة أنه اذا لم تقم الاخيرة فى مدى ثلاثة شهور تبدأ من ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦١ ببناء مصنع للالومنيوم فى بوك كما سبق الاتفاق عليه فسوف تقوم الحكومة بنزع ملكية منشئاتها ومصانعها وآلاتها وتقدم تعويضا عنها ٠ وأعلنت حكومة غينيا أنها ما زالت تنتظر من الشركة أن تقلع عن أساليبها الاستثمارية المبنية على قصر العملية على استخراج المعادن التى تحول وتشكل خارج البلاد المنتجة ٠

وترتبط شركة بيشينى أوجين بشركة ألومنيوم بيشينى أوجين الكمرونية تساهم فيها شركة كوبيل بمقدار ١٠٪ ٠ وكان نصيب بيشينى أوجين عام ١٩٦٢ هو ٤٦ر٤٤٣ من جملة الانتاج وهو ٥٢ر٢٤٦

وهناك ما يؤكد أن موارد جابون الطبيعية غاية فى الوفرة . وهناك بعثات تعمل للتنقيب على موارد اليورانيوم فى مونانا Mounana فى اقليم أوجو الاعلى وهو أبعد أطراف البلاد عزلة . والسبيل الوحيد للوصول اليه هو نهـر أوجو الذى تتخلله الشلالات السريعة لمسـافة تزيد على ٦٠٠ كم . وفى بداية عام ١٩٥٩ أنشىء طريق طوله ١٠٠ كم بواسطة شركة معادن أوجو ــ كوميلوج Comilog وكانت نهاية الخط الحديدى الذى افتتح عام ١٩٦٢ تبعد ١٢٠ كم من مونانا مما يجعل الوصول اليه أيسر من ذى قبل . ويقوم باستخراج الخام شركة مناجم اليورانيوم بفرانسفيل Compagnie des Mines d'Uranium de Franceville التى يبلغ رأسمالها ١٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١ فرنك . والمسئولة عن ادارة المنجم هى شركة موكتا Mokta احدى الشركات المساهمة فى كوميلوج وتقوم الاخيرة باستغلال منجنيز جابون فى فرانسـفيل الذى بدأ التنقيب عنه مكتب المناجم الفرنسية فيما وراء البحار French Overseas Mining Bureau بمعـاونة شركة الصلب الامريكيـة U. S Steel وهى الشركة الامريكيـة العملاقة التى يشرف على ادارتها مصالح مورجان . ولشركة الصلب وفروعهـا ٤٩٪ من الاشراف على كوميلوج ، ويشرف على الباقى مكتب البحوث الجيولوجية والمعادن (٢٢٪) شركة موكتا (١٤٪) الشركة الفرعية للمنجنيز بفرانسفيل (١٥٪) ويبلغ رأس مـال المشروع ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ فرنك . ويكون المحتكرون الامريكيون والفرنسيون أهم الاطراف فى شركة كوميلوج .

وأهم حملة الاسهم فى شركة كوميلوج هى شركة الصلب الامريكية التى تمتلك ٤٩٪ من الاسهم والتى تعتبر أكبر شركة للصـلب فى أمريكا بل وفى العالم . أما منجم المنجنيز الذى تعمل فيه كوميلوج فى فرانسفيل (بجابون) فهو أهم منجم فى العالم . ويقدر قيمة الاحتياطى الموجود بـ ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ طن . أما الشركة الفرنسية بموكتا فلها ١٩٪ والى جانب عملها المباشر فى منجم المنجنيز بجراندلاهو فى ساحل العاج فهى تشرف على انتـاج الحديد الخام وعلى خام المنجنيز واليورانيوم فى الجزائر واسبانيا وتونس والمغرب وجابون . فلها

مثلا ٤٠٪ من شركة مناجم اليورانيوم بفرانسفيل التى تستغل منجم اليورانيوم الغنى فى مونانا بجابون . وتتصل دى موكتا اتصالا مباشرا بشركات أخرى لها مصالح تشع من الشركة الانجليزية الامريكية ومن اتحاد الحديد والصلب العظيم « اربيد » A R B E D

وتعتبر شركة الصلب الامريكية وجنرال الكتريك من الشركات العالمية العملاقة . فالشركة الاولى لان لها أقساما تغطى كل مظاهر صناعة الصلب هى سادس شركة صناعية فى الولايات المتحدة . والثانية هى أهم منتج للمعدات والاجهزة الكهربائية فى العالم ولها فروع منتشرة فى جميع أنحاء الكرة الأرضية ، وتنتج مصانعها ما يغطى كثيرا من أقسام الصناعة مثل أجهزة وأدوات الراديو والطيران والبحرية والبحوث العلمية والسلع التى تحتاج الى رأس مال ثقيل ومنتجات الدفاع والسلع الاستهلاكية . وقد قام بيربونت مورجان فى عام ١٩٠١ بانشاء شركة الصلب الامريكية وهى مسئولة عن أكثر من نصف صناعة الصلب الامريكية . ومنذ ذلك الوقت وصناعة الصلب الامريكية تسير بخطى واسعة . وما زالت هذه الشركة فى المقدمة وتشرف على ٣٠٪ من الانتاج الامريكى من الصلب والاسمنت . ويجلس ضمن مجلس ادارة جنرال الكتريك مستر هنرى مورجان ، ومن ثم لا نجد صعوبة فى فهم العلاقة بين الاحتكار الدولى وشركة الصلب الامريكية عند الكلام على استغلال بعض الموارد الافريقية الغنية التى تغذى مطالب الامبريالية العسكرية والاقتصادية ذات الخطر الجسيم .

ويقال ان شركة امتيازات تنجانيقا التى أسندت الى جماعة مالية أمريكية لها علاقة بكبار بنوك الولايات المتحدة وتمتلك ٦٠٠ر١ ٠٠٠ر من أسهمها ولذلك نجد أن لهذه الجماعة الامريكية أغلبية فى الشركة البريطانية التى تمتلك بدورها ٢١٪ من أسهم اتحاد المناجم Union Minière ودائرة امبراطوريتها هى الكونغو .

وترتكز المصالح الامريكية فى الكونغو على استثمارات ضخمة غالبا ما تتستر خلف أقنعة بريطانية وفرنسية وبلجيكية وألمانية غربية ٠ ويعمل فيها شخصيات بارزة من شخصيات الولايات المتحدة السياسية ٠ مثال ذلك : مستر ادلاى ستيفنسون الذى يمثل حكومته فى الامم المتحدة يرأس شركة تمبلسمان وولده Tempelsman & Son المتخصصة فى استغلال ماس الكونغو ، ثم هناك أيضا مستر آرثر دين الذى يرأس الوفد الامريكى فى مؤتمرات نزع السلاح فهو نائب رئيس ومدير شركة المعادن الامريكية American Metal Climax وهى من أضخم الشركات المستهلكة لليورانيوم حيث أنها توفر ١٠٪ من انتاج الولايات المتحدة ٠ وتشكل شركة المعادن الامريكية مع فروعها جماعة دولية قوية لأعمال المناجم وتضم فيما تضم Rhodesian Selection Trust Ltd.

وتبدى دول حلف شمال الاطلنطى اهتماما بجابون بسبب ثرواتها ٠ وقد حصلت شركة أوشور الدولية الامريكية على عقد للتنقيب وسلم العقد الى شركة البترول الافريقية الاستوائية Sociee de Petrol Afrique Equatorial (SPAFE) ومقرها فى بورت جنتل Port Gentil وتستخدم هذه الشركة ١٢٠٠ أفريقيا يعملون جميعا تحت امرة ٤٠٠ من البيض ٠ ولا يوجد فى الوقت الحاضر معامل لتكرير البترول فى جابون، ولكن وافقت الاخيرة كما وافقت تشاد والكونغو برازفيل وجمهورية أفريقيا الوسطى والكمرون على انشاء معامل للتكرير تمولها حكوماتها بمعاونة فرنسا ٠ وقد عقد أول اجتماع ضم ممثلى هذه الحكومات يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٤ فى بورت جنتيل ٠ وطبقا لأقوال الوزير سيبدأ العمل قبل نهاية عام ١٩٦٥ ٠ ويقال أن هناك اكتشافات بترولية كثيرة فى مياه جابون الاقليمية كما توجد كميات اقتصادية ضخمة فى الداخل ٠ وعلى مبلغ علمى أن كل الشركات البترولية فى البلاد الافريقية التى تتكلم اللغة الفرنسية لها أسهم فى شركة انتاج البترول فى جابون ٠ ولا يسمح لأجيب Agip أن يمتلك اسهما فى الشركة ٠ ويذكر القراء السبب الذى أدى الى سقوط مستر أدولا فى الكنغو ـ انها سياسة

البترول • ويبدو لى أن هناك عاملين اقتصاديين سوف يؤثران على طول بقاء قوات الاحتلال الفرنسية فى جابون لسنوات قادمة ، هما اليورانيوم والبترول •

ومن المحتمل أن أفريقيا تستطيع أن توفر كميات من الفوسفات تكفى لاخصاب ـ لا الانتاج الزراعى الذى يوفى بحاجيات الطعام فى المستقبل وحاجيات الصناعة فحسب ، بل سوف يفيض جزء منه لسد حاجة أجزاء أخرى من الكرة الارضية • وأهم المراكز فى الوقت الحاضر للفوسفات هى جبل أونك فى الجزائر وفى تيبا Taiba فى السنغال وفى بحيرة توجو فى جمهورية توجو وفى خربجة واليوسفية فى المغرب •

وتضم شركة جبل أونك التى يبلغ رأس مالها ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ فرنكا جديدا المصالح الآتية :

مكتب الاستثمارات الافريقية	١٨ ٪
شركة المعدات بالجزائر	١٦ ٪
شركة فوسفات قسطنطينة	٤٠ ٪
الشركة المالية للتنمية الاقتصادية (كوفيدال)	٨ ½ ٪
الشركة الجزائرية للتنمية والتوسع سوساكدلس	٨ ½ ٪
الشركة الجزائرية للمنتجات الكيماوية	٩ ٪
البنك الوطنى للتجارة والصناعة الافريقيــة ، الشركة الجزائرية ، جماعة شيافينو وغيرها	

وكانت شركة تايبا للفوسفات السنغالية تجد حكومة السنغال مرتبطة مع مكتب البحـوث الجيولوجية والمعادن ، ومع بنشينى ، ومع بيرفيت ، ومع شركة

قسطنطينة للفوسفات ، ومع شركة الاقيانوس للفوسفات ومع شركة كوفيمر ومع شركة أوكسون ؛ وقد قامت نفس الجماعة وعلى رأسها بنك باريس والبلاد المنخفضة والمصالح التى يمثلها بعقد اتفاقية فى فبراير ١٩٦٣ وقعها مدير البنك العام ج. ج. رير مع الشركة الدولية للمعادن والكيماويات . وبمقتضى هذه الاتفاقية أصبحت الشركة الاخيرة شريكا فى الاتحاد الذى يقوم باستغلال أوسع منجم فوسفات من أعلى درجة بالقرب من داكار . وهناك عدة أشياء جديرة بالملاحظة فى هذا التنظيم .

أولا : هناك ما ينذر بالسوء من جراء عقد اتفاقية بين شركتين أجنبيتين أحدهما متصلة بحكومة الدولة التى تستغل المواد الخام فيها . ان فى هذا تحقيرا لشأن الدولة المضيفة . وتعتبر الشركة الدولية للمعادن أهم منتج للفوسفات ومنتجات الفوسفات الزراعية فى أمريكا الشمالية ، فهى تستخرج الفوسفات من مناجم فلوريدا بالولايات المتحدة ، كذلك تمتلك منجما للبوتاس فى كارلسباد بنيو مكسيكو ، ومنجما آخر قيمته ١٠ مليون دولار فى كندا . ولها أسواق لمنتجاتها فى جميع أنحاء الامريكتين وأوروبا الغربية . أما بالنسبة للحكومة السنغالية فهذا المشروع الذى ينتج ٥٠٠ر٠٠٠ طن من الفوسفات فى العام له مكانة خاصة فى برنامج الاربع سنوات الخاص بها . ان هدفه هو توسيع اقتصاد البلاد وتنميته . أما هدف الشركات المحتكرة فغير ذلك تماما . ويروى عن مستر رير أنه قال فى ١٧ فبراير ١٩٦٢ عند توقيع الاتفاقية : « ان هذه الشركة ترفع من مركزنا العالمى بالنسبة لاحتياطى الفوسفات الاستراتيجى » .

وقد اكتشف الفوسفات فى توجو على بعد ثمانية عشر ميلا من البحر فى عام ١٩٥٢ . وكان التنقيب قد بدأ منذ عام ١٨٨٤ بواسطة البعثات الفرنسية والبريطانية . وكان مستشار شركة الفوسفات لشمال أفريقيا هو الذى اكتشف فى اقليم أكوماب دلائل على وجود فوسفات من الدرجة الاولى عبر بحيرة توجو . وقد ارتبطت جمهورية توجو مع شركة مناجم بنين التوجولية التى تستغل

الفوسفات والتى تضم شركات آخرى مشتغلة باحتكار موارد الفوسفات الاخرى فى أفريقيا • وهـذه الشركات هى شركة قسطنطينة ، بناروبا ، كوفيمر ، بنك باريس ، بيرفت ، الشركة الدولية للتسلح البحرى والصناعى والتجارى • ورأس مالها هو ١٨٠٠٠٠٠٠٠ فرنك • وكانت أول شحنة منه قد تمت فى شهر سبتمبر ١٩٦١ عندما تحركت السفن التى تحملها من كيم الى الولايات المتحدة والى المصانع الامريكية فى اليابان • وكانت الخطة تستهدف انتاج ٧٥٠٠٠٠ طن سنويا ثم الارتفاع به تدريجيا حتى يصل الى ١٠٠٠٠٠٠ طن اذا كانت ظروف السوق مواتية •

ولن يكون هناك نقص فى امكانيات السوق اذا أمكن توفير حصـول البلاد النامية على الاسمدة بأسعار فى متناول يدهم • أما الآن فالمنافسة على الاسمدة من أمريكا ومن غيرها فهى منافسة حادة ، وكان المنتجون البريطانيون ـ مثل فيزون ليمتد ، I. C. A. ، شل التى تحتكر التجارة فى المملكة المتحدة ـ موضوع بحث لجنة الاحتكارات البريطانية فى عام ١٩٥٩ لقد ظلت الاسمـدة فى المملكة المتحدة تتلقى اعانات حكومية حتى بأسعار ذات مستوى منخفض مما كان محل شكوى • ففيزون تمتلك ٤٠ ٪ من أسواق المملكة المتحدة وقد دخلت فى اتفاقية مع شركة I. C. I. بحيث تمدها الاخيرة بالأمونيا من مصنـع امنجهـام • وسوف يؤدى هذا الى خفض النفقات كمحاولة للحد من شكاوى حملة الاسهـم نتيجة لتناقص الارباح •

وهذا التعاون بين كبار المنتجين للاسمدة هدفه احتكار المواد الخام والتحكم فى أسواقها ، الشىء الذى يؤدى الى الاحتفاظ بالاسعار التى تدر أرباحا طائلة •

ويعتبر النقل عاملا هاما فى تكاليف الاسمدة • فاذا أخـذ الفوسفات من أفريقيا الى أوروبا لتصنيعه واعادته على شكل سماد الى أفريقيا بعد تعبئته فى أكياس فلن يكون ثمنه اقتصاديا بالنسبة للزراعة الافريقية • وجدير بالملاحظة أن

شركة فيزون قد انشأت فى الهند شركة لانتاج الاسمدة اسمها تاتا فيزون ليمتد Tata Fison Ltd وصفها سير كلامرنج فيزون ـ رئيس مجلس ادارة الشركة البريطانية ـ بأنها أكبر شركة فى هذه الصناعة • وتشارك فيزون شركة الباتروس سوبر فوسفا تبريكن بهولنده وبواسطتها انشــأت شركات أسمــدة وشركات كيماوية فى جنوب أفريقيا • وقد ضمت شركة فيزون الباتروس فى عام ١٩٦١/ ١٩٦٢ اليهــا شركة فيزونز لمتــد ـ وهــو مشروع مصرفى محلى باسم فيــدرال فوللسلجنجز ببيرك مما يسر لشركة فيزون بجنوب أفريقيا الدخول فى عمليات استغلال الفوسفات فى فالابوروا فى الترنسفال • ولفيزون شركات أخرى فى جنوب أفريقيا ذات صلة بالكيماويات الزراعية والمواد الكيماوية • وقد ازدهرت كل هذه الشركات فى خلال العام ١٩٦١/١٩٦٢ طبقا لتصريح فيزون الذى أضاف قائلا : « وبالرغم من الظروف الشديدة فى أفريقيا الشرقية وفى اتحاد روديسيا ونياسالاند فقد استطاعت شركاتنا أن تحتفظ بمركزها كما أمكنها تحقيق أرباح مناسبة » • واستطاع فرع الشركة فى السودان : شركة فيزون لمقاومة الآفات الزراعية (سودان) ليمتد أن ترش مساحة من القطن المزروع تزيد على مليــون فدان كما حققت أرباحا معقولة •

وقد أنشأ فيزون شركات فى كندا ونيوزيلنده واستراليا والملايو ونيجيريا بغرض التوسع فى أسواق الاسمدة والمواد الزراعية الكيمــاوية ، كمــا بدأ فى الاتجاه الى أمريكا الجنوبية وباكستان • فأقيمت مصانع لصناعة الاسمدة فى زاند فورد فى بلجيكا بالاشتراك مع الاتحاد الكيماوى البلجيكى • وبالاضافة الى صناعة الاسمدة والمواد الكيماوية المتصلة بها اشترك فيزون فى انتاج الاجهزة العلميــة الخاصة بتربية النباتات وحفظ الاطعمة وتعليبها •

أما البترول والغاز التى أصبحت أكثر أهمية فى أفريقيا وخاصة فى الصحراء الكبرى فقد أصبحت المنافسة قوية جدا بين الشركات المالية والصناعية • وحتى الشركات الاصغر تحاول أن تدخل الميدان مما يتطلب منها رؤوس أموال ضخمة

للقيام بعمليات التنقيب ، هذا الميدان الذى يغرى بأرباحه الخيالية التى كانت أساس ثروة ستاندرد أويل وموبيل سوكونى لروكفلر ، وبترول الخليج لميلونز ، وكونتننتال أويل ودتش شل لمورجانز وتكساكو لجماعة شيكاغو ، وبنك هانوفر وغيرها • وقد وسعت شركة تنيسى وشركة ججنهيمر امتيازاتها فى الكنغو وغيره من البلاد الافريقية حيث كانت تعمل فى النترات وفى النحاس واليورانيوم والاسمدة والكيماويات كى تعمل فى حقل البترول • فبدأت شركة تنيسى فيما وراء البحار Tenessee Overseas Company وهى احدى فروع ديلاوبر - فى التنقيب عن البترول فى سيراليون • ونجد ك• و• ميكل نائب رئيس شركة تنيسى متصلا بالبترول عن طريق شركة دوم بتروليم • والاخيرة هى فرع من شركة مناجم دوم الامريكية الكندية المتصلة من ناحية أخرى بشركة تنيسى بواسطة الاسهم من ناحية وبواسطة رئاسة ميكل للشركة من ناحية أخرى •

وما زالت أفريقيا غير ممسوحة من الناحية الاقتصادية ، ويفسر انسحاب الحكام المستعمرين من ميدان الاشراف السياسى كعلامة من علامات بدء قيام شركة الاحتكار الدولية لولوج ميدان الموارد الطبيعية للقارة • هذا هو المسعى الجديد الذى يقوم به الغرب فى اتجاهه نحو أفريقيا تحت ستار المعونة وبموافقة وترحيب الدول الفتية التى تعوزها التجربة • وقد تكون هذه الطريقة أكثر فتكا بالقارة الافريقية من الاستعمار الاول لأنها تستند الى مصالح أكثر تركيزا تفرض قوة أكبر ونفوذا أقوى على الحكومات وعلى المنظمات الدولية •

الفصل السابع

امبراطورية أوبنهيمر

ان ملك المناجم فى جنوب أفريقيا ـ بل وفى القارة الافريقية ـ هو هارى فردريك أوبنهيمر • ويمكننا أن نطلق عليه اسم ملك جنوب أفريقيا أو حتى امبراطورها حيث تمتد امبراطوريته• ولا يمكن أن يوجد ركن فى بناء جنوب أفريقيا الصناعى أو المالى لا تجد أصبعه فيه ، كما أن نفس هذه الاصابع هى التى تصل امبراطورية أوبنهيمر بامبراطوريات أخرى فى عظمتها أو أعظم منها •

ويتولى مستر هارى فردريك أوبنهيمر ادارة أو رئاسة سبعين شركة • وهذه الادارة وغيرها مما يتولاها زملاء هامون له تتكرر أسماؤهم كثيرا فى مجالس ادارات شركات كثيرة تثبت هذه الاكذوبة التى تتردد عن انفصال الشركات واستغلالها حتى ولو لم تكن هناك علاقة مالية واضحة • ويسيطر على هذه الشركات شركة جنوب أفريقيا الانجليزية الامريكية وشركة مناجم ذهب جنوب أفريقيا المتحدة التى يتشعب منها فروع • ولا يمكن تحديد قائمة تضم جميع المصالح المباشرة ولكنها تشمل الشركات الآتية :

الشركة الانجليزية الامريكية ليمتد •

شركة الاستثمارات الافريقية والاوروبية ليمتد •

اتحاد مناجم جنوب أفريقيا ليمتد •

امتيازات بامانجواتو ليمتد •

شركة المناجم الوسطى المالية ليمتد •

شركة المناجم المتحدة ليمتد

مناجم التتويج ليمتد ٠

المناجم المتحدة لجنوب غرب أفريقيا ليمتد ٠

شركة جنوب أفريقيا البريطانية ليمتد ٠

شركة الاستثمار الانجليزية الترانسفالية المتحدة ليمتد ٠

مناجم دى بيرز المتحدة ليمتد ٠

شركة فرى ستيت المتحدة ليمتد ٠

شركة ويتووتر سراند الوسطى ليمتد ٠

شركة راند سلكشن ليمتد ٠

مناجم راند ليمتد ٠

شركة روديسيا الانجليزية الامريكية ليمتد ٠

شركة سوث أمريكان تونشيب للمناجم والمالية ليمتد ٠

فيرنيجنج أشتس ليمتد ٠

شركة دست راند للاستثمارات ليمتد ٠

شركة جوها نسبرج للاستثمارات ليمتد ٠

شركة بروكن هل الروديسية للاستثمارات ليمتد ٠

شركة ترانسفال وديلاجوا باى للاستثمارات ليمتد ٠

شركة روكانا ليمتد ٠

شركة يونيون ليمتد ٠

شركة تسوميب ليمتد ٠

شركة سلكشن ترست ليمتد ٠

شركة امتيازات تنجانيقا ليمتد ٠

شركة اتحاد المعادن بكاتانجا العليا شركة مساهمة ٠

ومعظم هذه عبارة عن شركات استثمار قامت لتمارس الوانا معينــة من النشاط وتنسق بينها ، ولكن نرى أصبعها واضحا فى كل مجال ٠ ومن الصعب بل ويكاد يكون من المستحيل أحيانا أن نميز خطا يفصل بين العمليات ٠ نحس

بذلك مثلا اذا أردنا أن نجد هذا الخط في الشركة الانجليزية الامريكية أو فى شركة مناجم ذهب جنوب أفريقيا المتحدة • ولكن لا بد من وجود هذا الفصل لا من أجل التظاهر بالاستقلال الذاتى فحسب، ولكن لتجنب الازدواج فى الاعمال والمسئوليات فى المصالح المتصلة بالاقتصاد المالى والصناعى وبالأرباح •

وهناك عملية اعادة تنظيم مستمرة اما نتيجة نشأة مصالح ومشروعات جديدة ، أو الاستغناء عن مناجم نفذ معينها ، أو التوسع فى شركات موجودة ، أو بغرض التغلب على المنافسة باعادة تنظيم البناء وتصحيح وضع الضرائب •

فقد حدث مثلا فى عام ١٩٦١ أن أعيد تنظيم شركة مناجم ذهب جنوب أفريقيا تنظيما كاملا بغرض تركيز ادارتها على مجالات عملياتها المتنوعة • وفى التقرير الذى أدلى به فى الاجتماع السنوى للعام المنتهى فى ٣ يونيو ١٩٦١ قال رئيس مجلس ادارتها سير جورج هارفى وات أن أصولها الثابتة بلغت ما يقرب من ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٨ جنيها • ويمثل ٦٦٪ من هذه الاصول مصالحها فى جنوب أفريقيا، ١٠٪ مصالحها فى أمريكا الشمالية و ٦٪ مصالحها فى استراليا • ومعظم الـ ١٨٪ الباقية يمثل مصالحها فى المملكة المتحدة •

وحتى يمكن الاشراف على هذه المصالح وغيرها أجريت تعديلات فى الشركات المشرفة حتى أن البناء الجماعى لشركة مناجم ذهب جنوب أفريقيا تبدو الآن كما هو واضح فى الشكل رقم (١) •

وقام رئيس مجلس الادارة بشرح هذا البناء لحملة الاسهم فى الاجتماع السنوى العام الذى عقد فى لندن فى ١٣ ديسمبر ١٩٦٢ فأكد أن الاشراف على مصالح الجماعة فى جنوب أفريقياهو مسئولية « فرعنا (مناجم ذهب جنوب أفريقيا ليمتد) الذى مقره جوهانسبرج » • وفى عام ١٩٥٩ عندما حصلت الجماعة على مناجم ذهب ينويونيون ـ وكان اسمها فى ذلك الوقت مناجم الذهب المالية ليمتد وعلى شركة جنوب أفريقيا ـ كانت ادارتها فى يد شركة مناجم ذهب جنوب أفريقيا ولو أن أسهم هاتين الشركتين كانت فى يد الشركة الأم مباشرة •

وتحمل مسئولية ادارة عمليات الجماعة فى أستراليا شركة مناجم الذهب المتحدة (استراليا) ليمتد • ويمثل الاستثمار الرئيسى لمناجم الذهب فى استراليا معظم مصالح « شركة استثمارات مناجم الكومنولث (استراليا) ليمتد ، وهى شركة مناجم مالية لها بورتفوليو فى الاستثمارات الاسترالية والامريكية الشمالية وغيرها فيما وراء البحار - طبقا لما جاء فى تقرير رئيس مجلس الادارة •

وتعطى أغلبية المصالح المتصلة بشركة استرالية أخرى - هى شركة المعادن المتحدة ليمتد - لشركة مناجم الذهب المتحدة نصيبا كبيرا فى صناعة الزيركون • فقد حصلت شركة المعادن المتحدة على أهم الاسهم التى لشركة الزيركون، كما حصلت شركة المعادن المتحدة على كل راس مال أسهم شركة تيتانيم ماتيريلز وعلى كل ممتلكات شركة راى بارك شيليت •

ولا تسمح المشروعات ذات الخبرة - مثل شركة مناجم الذهب المتحدة - لغيرها أن تستفيد من مجهوداتها • ولذلك « فبينما كانت شركة المعادن المتحدة تكون نفسها فى مجال صناعة الروتيل Rutile شعرنا بضرورة تقوية مركزنا فى معادن ويونج Wyong Minerals وهى منتج آخر للروتيل تستثمر فيه شركة مناجم الكومنولث حصة كبيرة • ولذلك فان فرعنا الذى هو ملكنا - شركة مناجم الذهب المتحدة (استراليا) تقدمت فى فبراير عام ١٩٦٢ للحصول على ٥٠٪ من كل أسهم « معادن ويونج » بخلاف الاسهم التى كانت تمتلكها « شركة استثمارات مناجم الكومنولث » •

هذا هو ما صرح به رئيس مجلس ادارة الشركة المتحدة • وكان هذا العرض ناجحا فأصبحت « معادن ويونج » فرعا داخل هذه الجماعة •

والفضل يعود الى شركة مناجم الذهب المتحدة حيث أن موقفها فى مجال « الروتيل » بارز جدا • وكما يقول رئيس مجلس ادارتها : « ان طاقة الشركة الانتاجية وفروعها تمثل ما يقرب من نصف الطاقة الانتاجية فى العالم • ثم ان برنامج التوسع الذى تقوم به شركة المعادن المتحدة يكفل لها الاحتفاظ بهذا المركز » •

و « الروتيل » هى مادة مرغوب فيها كثيرا لأنها تدخل فى صناعة « صبغة التوتيا » وكان من نتيجة زيادة الطلب عليها ان ارتفع سعرها فى السوق المفتوحة بمقدار ٥٠ ٪ فى السنة المالية ١٩٦١/١٩٦٢ ، أما سعر « الزركون » فقد ظل ثابتا بالرغم من زيادة الكميات المستخرجة منه٠وكان من نتيجة انشاء شركة مكونة من « شركة قبرص للمناجم » وهى شركة موجودة بنيويورك وشركة يوتا للبناء والمناجم وهى شركة موجودة بسان فرنسسكو ان وجد مشروع مشترك تحت اسم « شركات مونت جولدزورثى للمناجم » للتنقيب عن خام الحديد الموجود فى مونت جولدزورثى بشمال غربى استراليا ٠ وتتطلب هذا المشروع انشاء خط حديدى طوله ١٢٥ ميلا ينتهى عند ديبتش ايلاند حيث يزمعون انشاء ميناء ٠ ولقد صرح سير جورج هارفى وات بقوله أنه سعيد اذ يصرح لحاملى أسهم شركة مناجم الذهب المتحدة بأن المفاوضات مستمرة مع المشرفين على صناعة الحديد والصلب اليابانية بشأن تسويق هذا الخام المستخرج من مونت جولدزورثى ٠ ويعتقد أنه سوف ينافس الخام المستخرج من اليابان فى الثمن وفى الجودة ٠

وقال رئيس مجلس الادارة أيضا أن عمليات الشركة فى كندا قد خطت خطوات واسعة الى الامام ٠ وقد انضم الى فرع الشركة ٠ نيوكونكس كانيديان اكسبلوريش ليمتد فرع آخر هو نيوكونكس هولدنجز ليمتد ٠ وقد اتخذ قرار يسمح للجمهور أن يجنى ثمار استغلال موارد البلاد بواسطة الشركات الاجنبية٠ ونتيجة لذلك منح الكنديون ٣٦ ٪ من رأس المال ٠ وقد سر حملة الاسهم اذ علموا أن ٣٨٪ من ممتلكات نيوكونكس كانيديان اكسبلوريشن ليمتد سوف تعطى للهولدنز كومبانى وقد كان من نتيجة اكتشاف زنك الرصاص ذى المستوى العالى (وبه بعض الفضة) فى اقليم يوكن الجنوبى أن صرح رئيس مجلس الادارة بأن مستقبل نيوكونكس اكسبلوريشن باهر ٠

واذا اتجهنا جنوبا نجد أن شركة جديدة اسمها شركة مناجم الذهب الامريكية قد تكونت فى عام ١٩٦١ كفرع من شركة تعدين مناجم الذهب الصناعية ليمتد ٠ وقد استولت شركة مناجم الذهب الامريكية على مؤسسة نيويورك الجديدة

التى تكونت عام ١٩١١ والتى كانت وظيفتها الاولى فى السنوات الاخيرة ادارة شركة مناجم الذهب الثلاثية وشركة بويل الهندسية وكذلك القيام بخدمات السكرتارية لشركة فرسنللو ٠

وقد أعيد تنظيم شركة فرسنللو فى عام١٩٦١ عندما حولت ٥١٪ من نشاطها المتنوع فى المكسيك الى شركة مكسيكانا بنوليس المعدنية ٠ وقد أعطيت شركة فريسنللو تعويضا محترما قدره ٥٠٠ر٥٠٠ر٥ دولار يدفع فى مدى خمس سنوات وما زالت شركة فرسنللو تحتفظ بـ ٥٥٪ من فوائد شركة سومبريت للتعدين كما تمتلك منجما للذهب والفضة فى ولاية زاكا تيكساس بالمكسيك ٠

وبانتهاء حياة منجمى شركة الزنك الثلاثية فى الينوا وفيرجنيا سعت الى الحصول على منجم جديد فى منطقة نيوماركيت بتنيسى ٠ وتعمل الشركة الثلاثية فى هذا المنجم طبقا لاتفاقية مع الشركة الامريكية لصهر الزنك والرصاص ٠ وطبقا لهذه الاتفاقية تقوم الشركة الثلاثية باستخراج ما لا يقل عن ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ طن من خام الزنك الذى تمتلكه شركة الزنك الامريكية بالقرب من ممتلكات الشركة الثلاثية ٠ وتقسم الارباح على أساس يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ للشركة الثلاثية ، ٥٠٪ و ٤٠٪ لشركة الزنك الامريكية حتى يسترد رأس المال توزيع الارباح بعدها مناصفة ٠

وتتصل عمليات الزنك الامريكية اتصالا وثيقا مع التعدين ومع انخفاض كميات خام الزنك والرصاص فى كثير من الولايات الامريكية ٠ ولها ١٠٪ فى شركة يورانيوم ريدكشن ، ٥٠٪ من شركة أمريكان بيرو للتعدين ٠

وتوضع شركة مناجم الذهب المتحدة فى المملكة المتحدة تحت امرة جولد فيلدز اندستريال هولدنجز والاخيرة تعتبر فرعا مملوكا ملكية تامة لشركة تعدين مناجم الذهب الصناعية ٠ وتتم عملياتها الاساسية عن طريق فروعها : الوماسك ليمتد ، أمبوكوليمند ، متاليون ليمتد ٠ وتنتج شركة الوماسك ليمتد القوالب

المصنوعة من الالومنيوم وخاصة تلك المستخدمة فى صناعة البيرة ٠ وقد توسعت أخيرا فىانتاج الالومنيوم ذى الضغط العالى لأغراض تجارية ٠ وصرح رئيس مجلس ادارة الشركة المتحدة فىعام ١٩٦٢ بأن شركة الوماسك قد وسعتمصالحها جغرافيا وصناعيا ، فحصلت على فرع فى استراليا باسم « لورنس ألوماسك هولدنجز ليمتد » وعلى فرعين فى المملكة المتحدة هما : شركة القوالب غير الحديدية ليمتد وشركة النحاس الاصفر (تندن) ٠ والفرعان عريقان فى صناعة القوالب غير الحديدية والنحاس الاصفر ٠

ويتفرع من جهازى الادارة فى المملكة المتحدة ادارتان هما : شركة التنقيب الانجليزية الفرنسية ليمتد ووكالة التعدين والمعادن ليمتد أما الشركة الاولى ـ وهى فرع تملكه شركة مناجم الذهب المتحدة ملكية تامة ـ فهى شركة استثمارية ذات طابع مالى تمتلك ضمن ما تمتلك مصالح فى كثير من شركات مناجم الذهب فى جنوب أفريقيا ٠ وتغطى هذه المصالح أيضا مناجم النحاس فى روديسيا ومناجم القصدير التى تعمل فى المملكة المتحدة وجنوب أفريقيا والشرق الاقصى ٠ ومن بين فروعها الرئيسية أيضا مناجمأبكس ليمتد ، وشركة روبيرجللتنمية المعدنية ليمتد، شركة القصدير الانجلو بورميه ليمتد ٠ وقد انشئت وكالة التعدين والمعادن ليمتد للاشراف على عملية توزيع الخام وشراء التموين وكذلك لادارة عمليات الملاحة والتأمين والاعمال الادارية ٠ وتمتلك شركة مناجم الذهب المتحدة ٥٠ ٪ من رأس مالها ٠

وتمتلك شركة مناجم الذهب المتحدة ، شركة مناجم ذهب جنوب أفريقيا ملكية كاملة وهى مسئولة عن ادارة عمليات الجماعة فى جميع انحاء جنوب أفريقيا٠ وحجم هذه الشركات ضخم جدا ٠ وتظل مناجم الذهب والبلاتين الاصولالاساسية لجماعة مناجم الذهب المتحدة فى جنوب أفريقيا ،كما تظل هذه المناجم مصدر دخلها الاساسى ٠ وفى ٣٠ يونيو ١٩٦١ كان تعدين الذهب مسئولا عن ٧١ ٪ من استثمارات هذه الجماعة ، كما أكد رئيسمجلس الادارة لحملة الاسهم أنه منذ نهاية

الحرب العالمية الثانية وشركة مناجم الذهب المتحدة تقوم باستثمار رأس مال يقرب من ٤٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيها فى مناجم ذهب جنوب أفريقيا • ويستمر التنقيب فى جنوب أفريقيا وفى روديسيا • وهو يتم بالتعاون مع شركة مناطق ووترزراند الغربية ليمتد والاخيرة شركة قامت بتأسيسها شركة مناجم الذهب المتحدة عام ١٩٣٢ • ومنذ ذلك الوقت وشركة ووترزراند قد أصبحت شركة تعدين مالية مهمة فى جنوب أفريقيا لها ممتلكات ضخمة من مناجم الذهب فى منطقتى وست راند وولاية أورانج الحرة •

وقد أنتجت ووترزراند من الذهب ما تزيد قيمته على ٥٧٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه وهو ضعف قيمة ما أنتجته منذ عشر سنوات•كذلك أحرزت شركة هارمونى لتعدين الذهب ليمتد التى تمتلك فيها شركة ووترزراند ١٫٢٤٧٫٥٦٤ سهم عن طريق فرعها شركة وستوتس للاستثمارات ليمتد ـ رقما قياسيا فى انتاج الذهب •

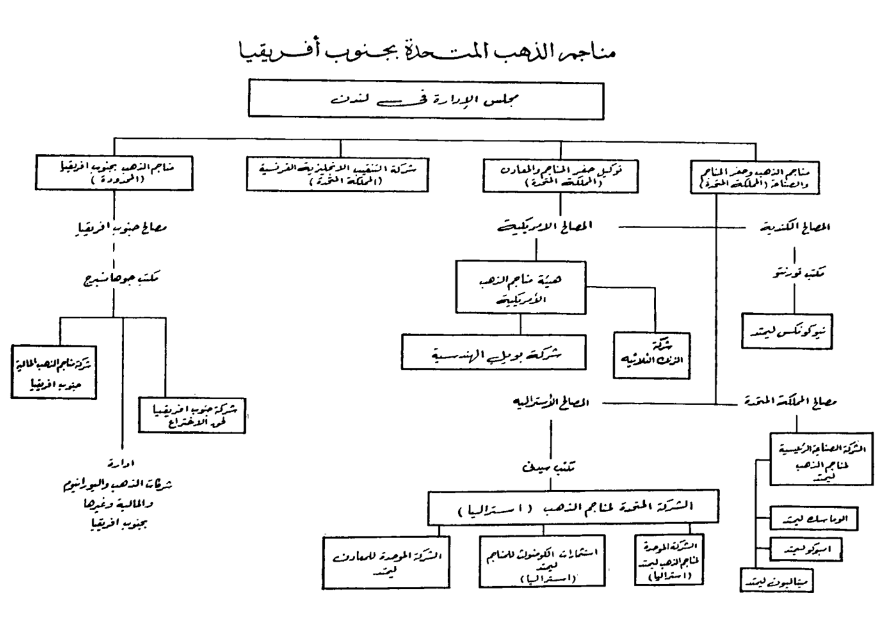
وبخلاف مصالحها فى مناجم الذهب الموجودة فى الترانسفال وفى ولاية أورانج الحرة فلشركة مناجم الذهب المتحدة ممتلكات ضخمة فى شركة جنوب غرب أفريقيا ليمتد وفى روديسيا فى شركة مناجم بانكروفت ليمتد وفى شركة مناجم نحاس تشانجا المتحدة ، وفى الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ليمتد ، وكلها تقع فى مجال الشركة الانجليزية الامريكية • وللشركة المتحدة فى غانا اتصال بشركة مناجم ذهب كونونجو ليمتد التى لها امتياز للعمل فى مساحة قدرها عشرين ميلا مربعا فى منطقة أشانتى ـ أكيم • وبرأس مال مرخص قدره ٦٧٥٫٠٠٠ جنيه لم يدفع كله (فمن بين ١٣٫٥٠٠٫٠٠٠ سهم قيمة السهم شلن أصدرت الشركة ٧٫٠٠٤٫١٧٥ سهما) • وحصلت فى عام ١٩٦٠ على ربح قدره ١١٠٫٥٨٧ جنيه زاد فى عام ١٩٦١ الى ١٣٠٫٣٧٨ جنيه ، بالرغم من زيادة تكاليف انتاج الطن من ٨٦ شلنا الى ٨٨ شلن و ٢ بنس. وفىعام ١٩٦٢ أبلغتشركة مناجم ذهب كونونجو حكومة غانا بأنعملية استغلال منجم ذهب كونونجو ستصبح غير مربحة

بعد أبريل ١٩٦٥ . وكانت الشركة تزمع وقف عملياتها قبل هذا التاريخ . وخوفا من أن تؤدى هذه العملية الى بطالة العمال قررت الحكومة شراء المنجم كى توفر عملا مستمرا لموظفى غانا وعمالهم • وبعد مفاوضات استغرقت وقتا طويلا دفعت الحكومة ثمنا قدره ١٥٠٫٠٠٠ جنيها وأصبح المنجم تحت ادارة شركة تعدين الذهب الحكومية •

وبرأس مال قدره ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه حققت شركة مناجم الذهب المتحدة أرباحا (قبل الضرائب) قدرها ٦٫٨٢٦٫٠٠٠ جنيه فى العام ١٩٦١/١٩٦٢ كما بلغت أرباح الاسهم ١٫٧٢٩٫٢٩٩ جنيه • وكان عام ١٩٦٢ بالنسبة لشركة مناجم الذهب المتحدة أكثر الاعوام ارباحا فبلغت الارباح (قبل الضرائب) ٧٫٠٣٠٫٠٠٠ جنيه • ولقد صرح رئيس مجلس الادارة بأن الارباح الموزعة على حملة الاسهم بلغت لاول مرة ما يزيد على ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه •

ومصدر دخل مناجم الذهب المتحدة هو من الخدمات الخاصة التى توفرها للشركات التى تقع ضمن نطاقها أو التى تتصل بها • وتختلف هذه الشركات فى حجومها كما يبلغ عددها أكثر من مائة وتبلغ جملة رؤوس أموالها فى السوق ما يزيد على ١٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فى نهاية عام ١٩٦٢ • وبهذه الوسائل الاستثمارية وادارة هذه الشركات تحصل الشركة على دخل أكثر من الدخل الذى تحصل عليه من انتاج المعادن الفعلى ومن استخراج المواد الخام • وهذا هو السبب الذى دفع كبريات شركات التعدين ـ لا فى أفريقيا فحسب بل فى جميع انحاء العالم ـ أن تتحد وتكون شركات استثمارية كبرى يقف خلفها أهم وأبرز الشخصيات فى عالم المال وعالم المصارف •

وهنا نكون قد مسسنا مسا عظام هيكل بناء شركة مناجم الذهب المتحدة • أما اللحم الذى يكسوها فهو عبارة عن الشحم الذى يغطى مالكها بينما يقف الافريقى ينظر اليها بجسده النحيل والجوع يكاد يفتك به •


مناجم الذهب المتحدة بجنوب أفريقيا
مجلس الإدارة في لندن
مناجم الذهب وحفر المناجم والصناعة (المملكة المتحدة)
توكيل حفر المناجم والمعادن (المملكة المتحدة)
شركة التنقيب الانجليزية الفرنسية (المملكة المتحدة)
مناجم الذهب بجنوب افريقيا (المحدودة)
المصالح الكندية
مكتب تورنتو
نيوكونكس ليمتد
المصالح الامريكية
هيئة مناجم الذهب الأمريكية
شركة الزنك الثلاثية
شركة بويل الهندسية
مصالح جنوب افريقيا
مكتب جوهانسبرج
شركة مناجم الذهب المالية جنوب افريقيا
شركة جنوب افريقيا لحق الاختراع
ادارة
شركات الذهب واليورانيوم
والمالية وغيرها
بجنوب افريقيا
مصالح المملكة المتحدة
الشركة الصناعية الرئيسية لمناجم الذهب ليمتد
الوماسك ليمتد
اسبوكو ليمتد
ميتالبون ليمتد
المصالح الأسترالية
مكتب سيدني
الشركة المتحدة لمناجم الذهب (استراليا)
الشركة الموحدة لمناجم الذهب ليمتد (استراليا)
استثمارات الكومنولث للمناجم ليمتد (استراليا)
الشركة الموحدة للمعادن ليمتد

الفصل الثامن

الاستثمارات الاجنبية فى التعدين بجنوب أفريقيا

لقد دلت الاحصاءات على أن ٥٠٪ من رأس المال الاجنبى المستغل فى القارة الافريقية موجود فى جنوب أفريقيا . وتبلغ الاستثمارات البريطانية حوالى ٢٫٨٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار بينما تبلغ الاستثمارات الامريكية ما يقرب من ٨٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار . ويبين احصاء قامت به الحكومة الامريكية عام ١٩٥٧ للاستثمارات الامريكية فيما وراء البحار أن أكثر المناطق ربحا هى عملية التعدين بجنوب أفريقيا ، حيث فاقت أرباحها أرباح أى عملية مماثلة فى الولايات المتحدة . ويمكن تفسير ارتفاع الارباح على ضوء رخص اليد العاملة الافريقية . فطبقا لاحصائيات تمت عام ١٩٦٢ كانت أجرة عامل المنجم الامريكى فى الساعة هى ٢٫٧٠ دولار وهذه الاجرة عبارة عن ٢٧ ضعفا لاجرة العامل الافريقى .

وتسيطر على اقتصاد جنوب أفريقيا مجموعة دى بيرس De Beers وهى جزء من امبراطورية أوبنهيمر التى تمتد الى جنوب غربى أفريقيا وزامبيا والمتصلة بشركات التعدين فى كثير من الدول الافريقية . وقد زاد من قيمة الامبراطورية اكتشاف امكان انتاج اليورانيوم من الرواسب ومن الطين الذى يحيط بمناجم الذهب القديمة .

وقد كان من نتيجـة استخراج اليورانيوم من خام الذهب ومن طينه أن تبوأت القارة الافريقية مكانتها كمنتجة لليورانيوم . وقد ســاعد المتراكم فى السنوات الستين الماضية بالاضافة الى الطين المتكوم أثناء انتاج الذهب فى الوقت الحالى الى اطالة عمر كثير من المناجم التى استنفد ذهبها . ففى عام ١٩٥٦ بلغ ما أنتجتـه جنوب أفريقيـا من أكسيد اليورانيوم ٠٠٠ر٠٠٠ر٨ رطل مما هيأ صادرات بلغت قيمتها ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٩ جنيه . هذا بخلاف الكميات التى تذهب الى مجلس الطاقة الذرية بجنوب أفريقيا الذى يرتبط بعقود مع عدة مناجم . ويفوق الربح الذى يدره انتاج اليورانيوم الربح الذى يدره انتاج الذهب .

ومن أهم الشركات المنتجة للذهب واليورانيوم والتى تدخل ضمن متاهة المصالح النابعة من شركة مناجم الذهب الانجليزية الامريكية الموحـدة شركة هارمونى لتعدين الذهب ليمتد Harmony Gold Mining Com. Ltd ويبلغ رأس المال المرخص لها به ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ جنيه دفع منـه مبلغ ٠٠٠ر٥٠٠ر٤ جنيه . وتقوم بخدمات السكرتارية والاعمال المكتبية شركة مناجم راند ليمتد وهى شركة تقوم بتقديم الخدمات التنفيذية والادارية والفنيـة الى شركات جنوب أفريقيـا للتعدين ـ وهى مجموعة مناجم راند .

ورئيس مجلس ادارة شركة هارمونى هو ب.هـ. اندرسون وهــو نائب رئيس مجلس ادارة شركة مناجم راند . ومن بين المديرين المشتركين الآخرين مستر بلاكوى ومستر لوين . ويرأس شركة مناجم راند مستر ك.و انجلهارد الذى يرأس أيضاشركة راند للاستثمارات الامريكية. وكل أسهم راند الامريكية ـ وعددها ٠٤٩ر٣٧١ر٢ سهم قيمة كل سهم جنيه واحد ـ تملكها شركة دى بيزر للاستثمارات (وتسمى الآن راند سيل) وهى فرع تملكه شركة راند سكلشن امتلاكا كاملا منذ اعادة تنظيم جماعة راند . وتمتلك شركة راند الامريكية كل الاســهم الممتـازة تقريبـا وكمية كبيرة من الاســهم العادية لشركة التعـدين والاستثمارات المركزية ليمتد بالاضافة الى مصلحة كبرى فى رأس مال شركة

مناجم راند العادى . ان هذه الحلقة الامريكية تؤكد العلاقة التى تكون جماعة التعدين المركزى أو جماعة مناجم راند .

وتتقابل مصالح مناجم الذهب المتحدة ومصالح الشركة الانجليزية الامريكية فى شركة هارمونى ، حيث لكل منهما فيها ممتلكات . وبفضل حكومة جنوب أفريقيا أمكن لشركة هارمونى أن تحصل على حقوق التعدين واستخراج المعادن فى قطعة أرض مساحتها ٨٫٠٠٠ فدان كما أمكنها امتلاك مزارع تبلغ مساحتها ١٠٫٠٠٠ فدان تقريبا . ولما كانت هذه الممتلكات أكثر مما تطيق شركة هارمونى وجدت أنه من الاصوب ـ من ناحية الربح ـ أن تبيع حق البحث عن المعادن الثمينة فى مكانين من المساحة التى لها بالايجار حتى عام ١٩٦٧ . حيث ذهب هذا الحق الى شركة انجليزية أمريكية أخرى هى شركة فيرجينيا أورانج فرى ستيت جولد مينتج كومبانى ليمتد Virginia Orange N. S. G. M. Co. وكان الثمن الذى تقاضته شركة هارمونى نظير هذه اللفتة الصديقة من شقيقتها شركة فيرجينيا أورانج هو ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه تدفع على أربعة أقساط دون أن تتقاضى عن ذلك فوائد .

وتوطد شركة فيرجينيا أورانج مرة أخرى أواصر هذا الزواج بين أمريكا وبين التعدين فى جنوب أفريقيا . وأول مثل لذلك هو مستر ك.و انجلهارد الديمقراطى الامريكى الذى بذل مسعاه كرئيس لصناعات انجلهارد ـ التى تقوم بتكرير المعادن الثمينة فى الولايات المتحدة ـ حتى يوفر باستمرار ما يشغل مصانعه . وقد وفق الى ضالته فى جنوب أفريقيا حيث اتصل أوبنهيمر ثم تفرع بعد ذلك الى مجالات أخرى من الربح من المعادن الرخيصة . وعملا بالهام أوبنهيمر وجد مستر انجلهارد منفذا الى صناعات التعدين الكندية والاسترالية والكولمبية، وبدأ يوزع بضائعه المصنوعة فى أوروبا عن طريق شركاته فى باريس وروما ولندن . وهم يعترفون بمواهب مستر انجلهارد وخدماته من أجل توسيع المصالح الامريكية فى الخارج حيث منحوه عضوية لجنة السياسة الخارجية بالولايات المتحدة .

وبواسطة فيرجينيا أورانج تقترب أكثر وأكثر من النفوذ الامريكى الذى ما كان فى استطاعة مستر انجلهارد أن يحققه بمفرده لولا انضمام شركة كنيكوت للنحاس القوية لهذه الشركة الخاصة باستخراج الذهب واليورانيوم • ولشركة كنيكوت Kennecott مصالح فى فيرجينيا أورانج حولتها مع مصالحها فى شركة مريزبروت لتعدين الذهب الى الشركة المعدل نظامها والتى تكونت عام ١٩٦١ للحصول على هذه المصالح • وتحمل الشركة الجديدة الاسمية مجتمعين : شركة استثمارات فيرجينيا ميرزبروت ليمتد • ويتيح لها اعادة التنظيم هذا ان تتعاقد بشأن اليورانيوم مع مجلس الطاقة الذرية بجنوب أفريقيا •

ومستر انجلهارد عضو فى مجلس ادارة فيرجينيا ميرزبروت ثم أنه متصل بشركة منـــاجم راند والشركة الانجليزية الامريكيــة التى تكون مع شركتين أخريين : سنتراميك ليمتد .Centramic Ltd وشركة الاســتثمارات الانجليزية الترانسلفانية المتحدة ليمتد ـ أطراف الشركة الجديدة •

ولما كانت شركة ترانسفال الانجليزية Anglo Transvaal تعمل كممول وكشركة تعدين فى الترانسفال فقــد اتخــذت لها فرعا هى : « شركة التنقيب الانجليزية الروديسية .Anglovaal Rhodisian Exploratin Co. Ltd التى تعمل فى شمال روديسيا وجنوبها ، ومن بين ما تنقب عنــه الفحم والنحاس والـكروم والنيكل • وتعمل شركة انجلو ترانســفال التى رخص لها برأس مال قــدره ٤٫٣٣٧٫٥٠٠ جنيه لم يدفع جميعه بواسطة قرض قصير الاجل وبدون ضمان قدره ١٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه من الشركة المالية الوطنية بجنوب أفريقيا ، والاخيرة عبارة عن مؤسسة خاصة لها صلة بأصدقاء الشركة الانجليزية الامريكية فى عالم الاستثمار الدولى ، ومن بينها بيت مورجان الذى له مصلحة مالية كبرى فى نحاس كينوكوت • ومن بين أعمال التعدين الواسعة التى تقوم بها شركة كينوكوت استثمار قيمته ٥٠٪ من الشركة الانجليزية الروديسية •

وبمعاونة أصدقاء مورجان تعرف شركة كينوكوت كيف تعنى بشركاتها المتنوعة الكثيرة • وفى نظير تنازلها عن مصالحها فى مناجم فيرجينيا ومنــاجم

مريزبروت تسلمت مبلغ ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه تدفع على خمسة أقساط سنوية • ولكن لا يقطع هــذا صلة شركة كينوكوت باوبنهايمر وانجلهارد • لان شركة النحاس الامريكية تستحق فائدة قدرها ٢٠٪ بحد أعلى قدره ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه على أى فائض صافى لشركتى فيرجينيا ومريزبروت بعد دفع الاقساط المطلوبة من مبلغ الـ ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه • ويضيع عليها هذا الاستحقاق فى حالة أخـذ شركة كنيوكوت فى وقت متأخر من أعضاء شركتى فيرجينيا ومريزبروت ٢٠٪ من رأس مال الاسهم الصادرة •

هذه هى الوســائل الملتوية التى يتم بهــا السيطرة المالية • وواضح أن الطريق قد ظل مفتوحا أمام شركة كينوكوت للعودة مرة ثانية الى قلب الشركة • وفى نفس الوقت تستطيع الشركة أن تستمر فى الافادة من الوليمة •

وتعتبر شركة كينوكوت من أوليات الشركات المنتجة للنحاس فى الولايات المتحدة التى تقدر قيمة أسهمها فى السوق بحوالى ١٫٤٨ بليون دولار وان كان رأس مالها الحالى يقــدر بـ ١١٫٠٥٣٫٠٥١ ســهم لا قيمة اســمية لها من بين ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ سهم رخصت لها بها ، وتبلغ قيمتهــا ٧٤٫٨٠٦٫٤٢٤ دولار • ان هذه الشركة المالكة لمناجم النحاس ومعامل التكثيف ومصانع الصهر ومعامل التكرير والمصانع الصناعية والسكك الحديدية قد عقدت اتفاقيات السباكة لكثير من خاماتها مع الشركة الامريكية للسباكة والتكرير التى تشترك معها بفرعين • ان شركة السباكة الامريكية هى نفسها منتجة للنحاس وكذلك للفضة والرصاص والزنك والذهب ، فى الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وبيرو • وتمتد مصالحها الى استراليا ونيكاراجوا وهى متصلة بشركة سيرو Cerro Corporation وشركة نيومونت للتعـــدين New Mont Mining Corporation وشركة فلبس دودج Phelps Dodge Corporation • وكلها لها استثمارات ضخمة فى مشروعات التعدين بجنوب أفريقيا ، ومن بينها شركة تسوميب Tsumeb Corporation بجنوب غربى أفريقيا •

وتدخل صناعة الكيماويات الامريكية ميدان عمليات كنيكوت عن طريق مشروع مشترك مع الشركة الهامة شركة الكيمياء والصباغة المتحدة . وتنتج شركتنا المتحدة وكينكوت للتيتن وتبيع معدن التيتن . واشترت كذلك ٢٥٪ من شركة الفوسفات الغربية ، ٣ر٧٪ من أسهم شركة موليبدنوم الامريكية ، ٥٠٪ من شركة جارفيلد الكيماوية الصناعية . وتفرع منها فروع للتنقيب عن المعادن فى البرازيل والمكسيك بفرعين هما كنرار بسكويزاس للمعادن (وتمتلك شركة كنيكوت ٦٠٪ منها) وشركة كنمكس . وهنـاك فرع آخر هو براون للنحاس ويعمل فى النحاس فى شيلى .

وقد قام بالتوسع فى كندا شركة كويبك كولمبيام Quebec Columbium التى كونتها شركة كنيكوت مع شركة موليبدنم الامريكية بالقرب من مونتريال وكويبك للحديد والتيتن . وكان ثلثا الشركة ملكا لشركة كنيكوت والثلث الباقى ملكا لشركـة نيوجرسى للزنك . والشركة الاخـيرة متصلة مع شركة البترول الكبرى ـ شركة تكساس ـ بمشروع مشترك هو عبارة عن شركة تكساس للزنك والمعـادن وذلك لبناء وتشغيل مصنع للتنقيب عن اليورانيوم فى يوتاه . وقد اشترى منجما لليورانيوم فى يوتاه فى عام ١٩٥٦ وبدأ المصنع عمله فى ١٩٥٧ وكان يستخدم خامات مستوردة من مناجم أخرى . وكان اليورانيوم المركز الذى ينتج يباع للجنة الطاقة الذرية بالولايات المتحدة طبقا لعقد .

ان مشروع جرسى كنيكوت الجـديد فى كويبك ذو قيمة كبيرة وذلك لان التيتن هو معدن لا يذوب فى السرعات التى تفوق سرعة الصوت ولذلك فالطلب عليه كبير من أجل استخدامه فى الطائرات النفاثة . كذلك تدخل اليونان فى مجال مصالح كنيكوت حيث تمتلك ٩٥٪ من شركة كنباستوس للتعدين وتعمل فى الاسبستوس . وفى غرب أفريقيا فانها تمتلك ٧٦٪ من شركة التصدير والمعادن التى تعمل فى شمال نيجيريا . ومعظم الانتاج الحالى فى العالم من معدن الكولمبيوم مأخوذ من هذا المنجم .

وهكذا تكون دراستنا لشركة هارموني لتعدين الذهب قد أخذتنا في رحلة حول العالم والى عوالم أخرى من النفوذ والثروة . ويبدو هذا حتميا اذا بدأنا نتتبع المصالح الخارجية التي تتغلغل في استغلال أفريقيا وتشابكها مع كثير من أنحاء العالم الاخرى . وآذا عدنا مرة أخرى الى شركة هارموني نقول أن مصنعها يستخرج شهريا ٢٠٠ر٠٠٠ طن من خام الذهب كما يستخرج شهريا ١٢٠ر٠٠٠ طن من اليورانيوم . وقد بدأ هذا المصنع عمله في أبريل من عام ١٩٥٥ . وملحق به مصنع لاكسيد السلفر Sulphuric acid يستخرج يوميا ١٢٠ طن ، وقد بدأ انتاجه في يناير ١٩٦٠ .

وقد أقيم مصنع اليورانيوم تحت اشراف بنك الصادر والوارد بواشنطون مع وزارة التموين بالمملكة المتحدة . وقد حصل المصنع على قرض من مجلس الطاقة الذرية بجنوب أفريقيا لتغطية جميع تكاليف رأس مال المصنع ، هذا بخلاف عملية توسيع الانتاج من ٨٠ر٠٠٠ الى ١٢٠ر٠٠٠ طن في الشهر . وقد تعاقدت الشركة مع كل من وكالة التنمية ومع المسئولين بالمملكة المتحدة لتوريد كميات من اليورانيوم بأسعار ثابتة بحيث يغطى المصنع تكاليف رأس المال في يونيو ١٩٦٥ .

وفي السنة المنتهية في ٣٠ يونيو ١٩٦١ استخرجت شركة هارموني ٢ر١١٦ر٠٠٠ طن من الخام كان صافي الذهب الخالص منه ٨٥٧ر٧٩٤ أوقية بدخل مقداره ١٠ر٨١٠ر٤٩٦ جنيه وربح قدره ٤ر٠٩٠ر٦٧٧ جنيه . كذلك استخرج ٢ر٠٦٧ر١٠٠ طن من الطين المترسب الذى صفى ٩٧٤ر٣٤٩ رطلا من أكسيد اليورانيوم بربح قدره ٢ر٦٨٠ر٢٣٣ جنيه .

وتدل البيانات الخاصة بالستة شهور التالية حتى نهاية ١٩٦١ أن الكمية المستخرجة من خام الذهب بلغت ٢ر٢٨٥ر٠٠٠ طن كان ايرادها ٤ر٤٥٨ر١٧٧ جنيه . كما كان من نتيجة معالجة ٢ر١٣٨ر٣٠٠ طن من الطين المترسب تصفية ٩٥٣ر١٠٠ رطل من أكسيد اليورانيوم درت ربحا قدره ٢ر٢٨٤ر٦٤٧ جنيه .

وفى العام ١٩٦١/١٩٦٢ دفع ريع الاسهم ٥٥٪ ٠ وكان صافى الربح فى العام ١٩٦٠/١٩٦١ ٦٫٦٧٤٫٧٣٩ جنيه كما بلغ ما دفع من ربح الاسهم ٢٫٤٩٧٫٥٠٠ جنيه ، كل هذا يعتبر نتيجة طيبة بالنسبة لحملة الاسهم نظير رأس مال مقداره ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه ٠

ويجب أن يتجه مستر انجلهارد ومستر أوبنهيمر بالشكر الخاص لاصدقائهما فى بنك الصادر والوارد بسبب معونتهم لهما فى هـذا المشروع فى بلد تنظر بالسخرية والاستهزاء الى حقوق الانسان اذا كان هذا الانسان غير أبيض ٠ ان هذه السهولة التى مدوا بها يدهم لهما بالمعونة لو أنها استخدمت فى معونة الدول غير المتقدمة الجديدة فى القارة الافريقية بواسطة مؤسسة مصرفية دولية لكان من نتيجتها أن تضيق الهوة التى تفصلها عن الدول المتقدمة والتى يعملون دائما على توسيعها بطريقتهم اللولبية بين الدول التى « تملك » والدول التى « لا تملك » ٠

الفصل التاسع

الشركة الإنجليزية الأمريكية

ان الاخطبوط الاكبر الذى يسكن بحر عمليات أوبنهيمر هو الشركة الانجليزية الامريكية ليمتد • وتجرى استثماراتها على ثلاثة مستويات • ولا تبين أهم قوائم هذه الاستثمارات سوى فكرة ضئيلة عن مجالاتها المعنة فى الاتساع• وهذه عبارة عن المساهمة المباشرة ، ولذلك فهى لا تتضمن المساهمات اللولبية التى تتم عن طريق أو بالاشتراك مع فروع أو غيرها فى محيط من المصالح لا نهاية له • ونحن نجدها فى ميدان التعدين تتفرع الى عمليات خاصة بالتنقيب والنقل والمواصلات وامتلاك الاراضى والمزارع والغابات والاخشاب والصناعة وكذلك المساهمة فى مشروعات خاصة بمحطات القوى الكهربائية كما هو الحال فى محطة قوى الحدود الروديسية الكنغولية •

ومن أهم ما تضطلع به فى جنوب أفريقيا مناجم الذهب واليورانيوم والحديد والاسبستوس والفحم التى تكون الاساس المتين الذى ترتفع فوقه امبراطورية أوبنهيمر • أما فى روديسيا فأهم ما تعمل فيه هو تعدين النحاس وان كانت تستغل فى نفس الوقت الرصاص والزنك والكاوميم • كما أنها تتميز بأنها المنتجة الوحيدة للفحم فى روديسيا حيث تسيطر على مناجم وانكى • وتنتشر مصالحها عن طريق الشركات المرتبطة بها فى تنجانيقا وأوغنده والكونغو وأنجولا وموزمبيق وأفريقيا الغربية وحتى فى الصحراء الكبرى وشمال أفريقيا كما يظهر ذلك من قائمة الاستثمارات المباشرة :

شركات الاستثمار والتمويل :

شركة الاستثمارات الافريقية الاوروبية ليمتد .

شركة القروض والاستثمارات الافريقية ليمتد .

شركة الاستثمارات الانجليزية الامريكية ليمتد .

شركة التنمية الروديسية الانجليزية الامريكية ليمتد .

شركة الاحتياطى المركزية ليمتد .

شركة الاحتياطى الروديسية المركزية ليمتد .

شركة المناجم المتحدة (استثمارات) ليمتد .

شركة المناجم المختارة المتحدة ليمتد .

شركة المناجم المختارة المتحدة (جوها نسبرج) ليمتد .

ممتلكات دى بيرز ليمتد .

شركة استثمارات دى بيرز ليمتد .

شركة استثمارات دى بيرز الروديسية ليمتد .

استثمارات ايبوك ليمتد .

ممتلكات جيمسون للتعدين ليمتد .

ممتلكات لندنبرج ليمتد .

استثمارات ولاية أورانج الحرة ليمتد .

مناطق وتيوترزراند المركزية الجديدة ليمتد .

شركة العهد الجديد المتحدة ليمتد .

شركة الاستثمارات الروديسية فيما وراء البحار ليمتد .

شركة استثمارات راند الامريكية ليمتد .

شركة راند المختارة ليمتد .

شركة الكمبيالات الروديسية ليمتد .

الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ليمتد .

شركة استثمارات رودس ليمتد .

شركة مناجم جنوب أفريقيا المختارة ليمتد .

شركة مدن جنوب أفريقيا للتعدين والتمويل ليمتد ·
شركة ممتلكات ترانسفال فاناديم ليمتد ·
ولاية فيرنيجنج ليمتد ·
المستويات الشديدة العمق الغربية ليمتد ·
شركة استثمارات وست راند ليمتد ·
شركة جنوب غربى أفريقيا ليمتد ·

مناجم الماس :

مناجم دى بيرز المتحدة ليمتد ·
مناجم الماس المتحدة بجنوب غربى أفريقيا ليمتد ·
شركة نيوجاجرز فونتين للتعدين والتنقيب ليمتد ·
منتجات الماس المفتت ليمتد ·
شركة تنمية الماس بجنوب أفريقيا ليمتد ·
فيلموند ليمتد ·
شركة تعدين الماس الاولى (ترانسفال) ليمتد ·
ماس وليمسون ليمتد ·

مناجم الفحم :

المناجم المتحدة بجنوب أفريقيا ليمتد ·
مناجم بليبوك ليمتد ·
مناجم كورونيشن ليمتد ·
شركة ناتان للتنقيب عن الفحم ليمتد ·
التنقيب عن الفحم بناتال ليمتد ·
مناجم نيولارجو ليمتد ·
عقارات الفحم بجنوب أفريقيا (وتيبانك) ليمتد ·
مناجم سبرنجبوك ليمتد ·
مناجم نيوشونجزيشت ·

مناجم كورنيليا ليمتد .
مناجم سبرنجفيلد ليمتد .
شركة فحم ترانسفال ليمتد .
ممتلكات الفحم بفيرفونتين ليمتد .
مناجم فيرفونتين ليمتد .
فريهيد كورونيشن ليمتد .
شركة مناجم وانكى ليمتد .
ممتلكات فحم ويتبانك ليمتد .

مناجم النحاس :

مناجم بانكروفت ليمتد .
شركة كانسانشى لتعدين النحاس ليمتد .
مناجم نحاس نشانجا المتحدة ليمتد .
معامل روديسيا لتكرير النحاس ليمتد .
شركة روكانا ليمتد .

مناجم الذهب :

مناجم براكبان ليمتد .
مناجم داجا فونتين الشرقية ليمتد .
مناجم ذهب الولاية الحرة ليمتد .
مناجم ذهب جانيت ليمتد .
شركة الرئيس براند لتعدين الذهب ليمتد .
شركة جنوب أفريقيا للاراضى والتنقيب ليمتد .
مناجم سبرنج ليمتد .
شركة فال ريفس للتعدين والتنقيب ليمتد .
شركة ولكوم لتعدين الذهب ليمتد .
ديب لفلز الغربية ليمتد .

الممتلكات الغربية ليمتد .
شركة وسترن ريفز للتنقيب والتنمية ليمتد .
شركة الرئيس ستاين لتعدين الذهب ليمتد .
شركة فرى ستيت سيبلاس تتعدين الذهب ليمتد .

مناجم أخرى :

شركة هايفلد للتنمية ليمتد .
شركة ايرن ديوك للتعدين ليمتد .
شركة الملك ادوارد بيريت .
شركة موناسيت والمشروعات المعدنية .
ميونيك ميبرج كريزوتيل اسبستوس ليمتد .
روكروم ليمتد .
شركة بروكن هل الروديسية للتنمية ليمتد .
ترانسفال منجنيز ليمتد .
شركة ترانسفال فانيديم ليمتد .
شركة معادن أومجابابا ليمتد .
شركة فريجتينج بريك اند تايل ليمتد .

التنقيب :

شركة التنقيب الانجليزية الامريكية ليمتد .
شركة التنقيب الانجليزية الامريكية الروديسية للمعادن ليمتد .
شركة تنقيب الحدود والتنمية ليمتد .
شركة دى بيرز للتنقيب (مناطق روديسيا) ليمتد .
ممتلكات كافريريان المعدنية ليمتد .
شركة التنقيب كالنديني .
معادن كازمبا ليمتد .
شركة لونجا للتنقيب ليمتد .

مصالح التنقيب والمعادن ليمتد .
شركة سوازيلاند ريفت للتنقيب ليمتد .
شركة ريفت الغربية للتنقيب ليمتد .

شركات صناعية وأخرى :

الشركة الانجليزية الامريكية ليمتد (خدمات روديسيا) .
منظمة المناجم الانجليزية ليمتد .
منتجات بورت وهارد المعدنية (روديسيا) ليمتد .
منتجات بورت وهارد المعدنية (جنوب أفريقيا) ليمتد .
منتجات الخزف ليمتد .
شركة ايزان الكهربائية ليمتد .
الصناعات الكهربائية الكيماوية ليمتد .
صناعات الغابات ليمتد .
مؤسسة هانسنز للعمل الوطني ليمتد .
المعادن الصلبة ليمتد .
خدمات المناجم O.F.S. ليمتد .
شركة لورنزو ماركيس فورواردنج ليمتد .
خدمات الطيران بروديسيا الشمالية .
بيك تمبرز ليمتد .
برلمان فنبرز ليمتد .
خدمات منجم رونانجلو .
شركة روديسيا كونجو لقوى الحدود ليمتد .
منتجات نحاس روديسيا ليمتد .
شركة صلب روديسيا ليمتد .
الصناعات الحجرية المتحدة ليمتد .
شركة أخشاب الابلكاش ليمتد .
منتجات الزنك ليمتد .

أراضى وعقارات :
شركة الاسكان الانجليزية الامريكية ليمتد .
شركة أراضى وعقارات انمركوزا ليمتد .
سيسليا بارك ليمتد .
استثمارات فولكون ليمتد .
شركة أراضى وعقارات ولاية أورانج الحرة .
شركة برستين ليمتد .
شركة مدن ولكوم .

ومن المهم أن نلاحظ من بين الشركات شركتين تشتغلان فى «العمل الوطنى» وهما منظمة المناجم الانجليزية ليمتد ومنظمة هانس للعمل الوطنى ليمتد . لقد كان تجنيد العمال للعمل فى المناجم بجنوب أفريقيا مشكلة عويصة لدرجة أنه نشأت مؤسسة قوية مهمتها توريد عمال لا من جنوب أفريقيا فحسب بل من المحميات مثل روديسيا ونياسالاند . وهناك تنظيمات قديمة مع أولى الامر بالمستعمرات البرتغالية ـ وخاصة موزمبيق ـ تعرض تجنيد عمال أفريقيين للعمل فى مناجم جنوب أفريقيا .

وكان من نتيجة سياسة التفرقة العنصرية أن أجبر الزعماء على تزويد المناجم بالعمال الوطنيين . وهناك خطة موضوعة فى الوقت الحاضر لوقف استخدام العمال من زامبيا وروديسيا ومالاوى وحتى من المحميات . ان هؤلاء الرجال قد أصابتهم عدوى مرض « القومية » وبذلك يضيفون وقودا الى وقود الثورة الذى اندلع فى جنوب أفريقيا نفسها . ومن الملاحظ أن أفريقيى موزمبيق ما زالوا يزودون أصحاب مناجم جنوب أفريقيا بعمالهم وبنوع خاص مناجم الشركة الانجليزية الامريكية .

وقد نشأت هذه الشركة عام ١٩١٧ لتضم عددا من شركات التعدين والاستثمار والشركات الصناعية التى كان يسيطر عليها مستر أوبنهيمر ، ويفرض

وضعها تحت ادارة دقيقة للمصالح الاخرى مثل مستر ك٠و انجلهارد رئيس ادارة مناجم راند وشركة كنيكوت للنحاس وغيرها ٠ وكوصية على هذه المصالح تقوم الشركة الانجليزية الامريكية بالادارة الفنية وأعمال السكرتارية لعدد كبير من شركات التعدين والاستثمار التى تدخل فى نطاق دائرتها ٠ وفى قيامها بالاعمال التنفيذية والادارية والسكرتارية فانها تقوم بتنظيم الحياة المالية لكثير من المشروعات التى تدخل ضمن نطاقها ٠

ان القائمة التى أوردناها لا تعطينا الا مجرد الهيكل العظمى للمصالح الانجليزية الامريكية المتشعبة ٠ واذا نحن أردنا أن نفحصها بالتفصيل فسوف نجد أنفسنا أمام تركيبات معقدة من الشرايين والاعصاب٠ ومعظم هذه الشركات ليست مهمة فى حد ذاتها فحسب ولكنها تتضمن نسيجا معقدا مكونا من عالم التعدين وعالم الصناعة وعالم المال متشابكة مع بقية العالم ٠ ان المؤسسات أمثال شركة راند المختارة وشركة يونيون وشركة روكانا وغيرها تساهم فى مجموعة خالدة ٠ ان تداخل الاعمال وتداخل المصالح هى الظاهرة السائدة التى تؤكد الطبيعة الاحتكارية لصناعة التعدين الافريقية ٠ وليس من العسير أن نفهم كيف أن هؤلاء وزملاءهم الاوروبيين والامريكيين يسيطرون بنفوذهم على سياسة حكوماتهم بالنسبة لافريقيا ٠

ان نظرة واحدة الى شركة راند المختارة توقفنا على أحد آذرع الشركة الانجليزية الامريكية الاساسية وهى تعمل فى امبراطوريتها الشاسعة ٠ وتعود شركة راند بذاكرتنا الى حمى الهجوم على الذهب والماس الذى حدث عقب مغامرات سيسيل رودس وأخوانه من المغامرين فى أواخر السنوات السبعينية من القرن الماضى ٠ لقد كان القتال الذى نشب بين رودس والبوير سببه الرغبة فى التغلغل الى الداخل من أجل ذهب وتوترزراند ٠ ولقد أحرز زعامته السياسية ليجعل نفسه ملكا لثروة المناجم المكتشفة ٠ وطبقا لقرار لجنة تشكلت فى الكيب لفحص الدور الذى لعبه رودس فى غارة جيمسون الشهيرة : « لقد كان كمشرف

على الثلاث شركات العظمى ـ شركة جنوب أفريقيا البريطانية ، مناجم دى بيرز المتحدة ، مناجم ذهب جنوب أفريقيا ـ انه أدارها بطريقة تجعل شن مثل هذه الغارة ممكنا » ٠

لقد أنهت غارة جيمسون حياة رودس سياسيا فى جنوب أفريقيا ٠ ولذلك اتجه نحو ما يسمى الآن بروديسيا حيث نصب من شركة جنوب أفريقيا البريطانية القـوة التى احتفظت بهـا منذ ذلك الوقت ٠ وتم نقل السيطرة على الشئون السياسية بواسطة اتحادات التعدين العظمى منذ ذلك الوقت أيضا ٠ وعلى العكس من ذلك لقد زادت هذه السيطرة حتى أضحت القوة المسيرة والموجهة للامور لا فى القارة الافريقية وحدها بل فى أوروبا وأمريكا ٠

لقد بقيت دى بيرز وبقيت مناجم الذهب ٠ ولقد شاهدت السنوات المتعاقبة زيادة فى عدد المناجم واستغلالها مصحوبا بتعديل مستمر فى نظمها المالية ٠ ان شركة مناجم الذهب لتقف على رأس مجموعة واسعـة من المؤسسات ، ولو ان شركة دى بيرز تدخل فى نطاق شركة راند المختارة الا أنها ما زالت المهيمنة داخل نطاق شركاتها على انتاج وتوزيع معظم الماس فى العالم ٠

وتمتلك شركة راند المختارة حوالى ١٤٫٨٩٠ فدان من أجود مناطق التعدين فى جنوب أفريقيا ٠

وشركة راند المختارة هى فرع من الشركة الانجليزية الامريكية التى ساعدت بتوجيهاتها على توسيع مجال شركة راند فى نهاية عام ١٩٦٠ لمعاونتها للاشتراك فى أى عمل جديد تقوم به الشركة الانجليزية الامريكية حتى أول أكتوبر عـام ١٩٧٠ بنسبة مئوية متزايدة ٠ وقد تم توسيع شركة راند المختارة عن طريق المساهمة بالاسهم والقروض والنقـد لشركة دى بيرز للاستثمارات بواسطـة الشركة الانجليزية الامريكية وفروع شركة جنوب أفريقيا البريطانيـة وشركة التعدين المركزية والاستثمارات ٠ وقد انضمت شركة مناجم دى بيرز المتحـدة

وشركة اسـتثمارات جوهانسبرج المتحـدة الى شركة انجلهارد وشركة جنوب أفريقيا وشركة النيكل الدولية بكندا التى تسيطر عليها جماعات روكفلر مورجان الامريكية • وقد حصلت شركة راند المختارة على كل رأس مال شركة دى بيرز للاستثمارات فى مقابل اصدار أسهم خاصة بها لحملة أسهم شركة الاستثمارات •

وطبقا لهـذا التنظيم أصبحت شركة دى بيرز للاستثمارات فرعا تمتلكه شركة راند المختارة ملكية كاملة • ولكن فى نفس الوقت وعن طريق الحصول على ممتلكات شركة راند المختارة أصبحت لدى بيرز أغلبية أسهم راند البالغ عددها ٣٦٥ر٨٥٠ر٣٣ سهم من بين الـ ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٥ سهم المرخص لها بها • ومن الجلى أن القروض والنقد المقدم الى دى بيرز بواسطة الشركات السالفة الذكر كانت لغرض تيسير مهمتها فى التوسع وفى توسيع شركة راند •

وكان من نتيجة تنفيذ التنظيم المتفق عليه عام ١٩٦٢ أن أصبحت شركة دى بيرز للاستثمارات تعرف باسم شركة راند سيل للاستثمارات • وهى تمتلك الفروع الثلاثة : شركة استثمارات راند الامريكية وشركة استثمارات رودس وشركة جيمسون للتعدين ، وكلها قد توحدت داخل شركة راند • وسـاهمت الشركتان ـ راند المختارة وراند سيل ـ فى عام ١٩٦٢ فى توسيع شركة جديدة أخرى من خلق الشركة الانجليزية الامريكية هى شركة المناجم المختارة المتحدة والتى سجلت فى المملكة المتحدة عام ١٨٩٧ وتغطى مصالحها معظم نشاط التعدين فى جنوب أفريقيا •

وقد ارتفعت الاصول الثابتة لشركة المنـاجم المتحـدة الى ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ جنيه بعـد الحصـول من الشركات التى تدخل فى نطـاق الشركة الانجليزية الامريكية على ممتلكات تبلغ قيمتهـا ٠٠٠ر٥٠٠ر١٠ جنيه من شركة التعدين المركزية والاستثمارات وشركة اسـتثمارات جوها نسبرج المتحـدة والشركة المختارة ، وكذلك بعد الاستيلاء على ممتلكات صغيرة من شركة باى هول والشركة

الانجليزية الامريكية الروديسية • وفى نظير التنازل عن هذه الاسهم حصلت الشركات الاخرى على أسهم من شركة المناجم المختارة المتحدة •

وفى نفس الوقت اشترت شركة راند المختارة ٤٠٠ر٠٠٠ سهم فى شركة هدسون باى للتعدين والسباكة ، والاخيرة هى احدى شركات تعدين ثلاثة للنحاس والذهب فى كندا وتسيطر عليها الولايات المتحدة ماليا • ولقد ساعد على هذا الاجراء القروض الممنوحة من أمريكا وربما من نفس المصالح الواقعة خلف شركة هدسون باى للتعدين •

وتنسق عمليات شركة راند مع عمليات الشركة الانجليزية الامريكية فى شركة سوازيلاند لتنمية الحديد الخام التى أبرمت عقودا مع شركتين هامتين من الشركات اليابانية المنتجة للصلب ، وهاتان الشركتان هما شركة يووتا للحديد والصلب وشركة فيوجى للحديد والصلب ، وكذلك مع الشركة الدولية للخام العام ، وبمقتضى هذه العقود تبيع لها ١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ طن من خام الحديد فى مدة تبلغ عشر سنوات •

وقد مكنت الشركة الانجليزية الامريكية شركة راند المختارة من أن تسهم فى الشراء من مصانع الورق البريطانية وهى شركة انجليزية • وقد قال مستر أوبنهيمر فى تقريره المقدم الى الاجتماع السنوى العام الواحد والسبعين لشركة راند المختارة فى جوها نسبرج فى ٢٦ فبراير ١٩٦٣ : « ان هذه هى من أهم الشركات النامية فى جنوب أفريقيا • وتقوم على ادارتها شركة ستافورد ماير التى ترتبط بها الشركة الانجليزية الامريكية فى صناعة الفحم » •

وقد أدت التنظيمات المعقودة مع الشركة الانجليزية الامريكية الى أن تساهم شركة راند فى عدد من مشروعات التنمية فى جوها نسبرج• لقد سارت الشركتان جنبا الى جنب فى توسيع عمليات التنقيب وفى بعض مشروعات التنمية •

وهنا نجد أن الشركة الانجليزية الامريكية هى البناء الصناعى والمالى المتشعب فى القارة الافريقية · هى بناء قوى ذو سيطرة ، هى المنظمة التى تتحكم فى مصير الملايين الكثيرة فى هذه القارة والتى تنشر نفوذها عبر البحار · وكغيرها من الشركات الاحتكارية فان الشركة الانجليزية الامريكية لا تقنع قط بحدود امبراطوريتها الحاليةو انما تسعى دواما الى توسيعها لانها لا تريد أن يتفوق عليها أحد · وهذا هو السبب فى أنها تضع باستمرار برامج شاملة للتنقيب فى اجزاء كثيرة فى القارة الافريقية وغيرها بغرض اكتشاف موارد جديدة للثروة المعدنية يمكن استغلالها بقصد الربح ·

الفصل العاشر

مجموعة الماس

لقد غلت صناعة الماس في جنوب أفريقيا ايرادا قدره ٩٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فى عام ١٩٦٢ . وقد كان ثلثا هذا المبلغ من أحجار الماس التى ارتفع ثمنها بواسطة المتحكمين فى هذه الصناعة . وان صناعة الماس هى من الاهمية بمكان لجنوب أفريقيا لدرجة أنه لا تفرض ضريبة على تصدير الماس الخام .

ويعتبر الماس من أهم ما يهتم به مستر هارى أوبنهيمر . وعن طريق شركة دى بيرز وشركة الماس وفروعهما أمكن لعمليات شركته الانجليزية الامريكية أن تمتد من جنوب أفريقيا الى جنوبى غربى أفريقيا وأنجولا والكنغو وشرق أفريقيا وغرب أفريقيا . وحتى توزيع انتاج الاتحاد السوفييتى الهام أضيف الى ما سبق وذلك لبيع الماس « الاحمر » عن طريق مؤسسة دى بيرز للبيع .

وكما رأينا ان شركات مجموعة دى بيرز تسيطر عليها شركة راند المختارة ليمتد . انها متشابكة مع شركات انجولا وموزمبيق للاحجار الكريمة كما أنها متشابكة مع المجموعة المعقدة التى تنتشر فى روديسيا وفى الكونغو ، وتسيطر شركة راند فى الوقت الحاضر على ادارة المجموعة نتيجة لاستيلائها على جميع ممتلكات شركة دى بيرز للاستثمارات والمعروفة الآن باسم شركة راند سيل للاستثمارات .

والشركة العاملة الرئيسية هى مناجم دى بيرز المتحدة وما زال يجلس فى مجلس ادارتها عضو من أسرة سوللى جويل Solly Jœl وكان لندنيا من حى ايست اند واشترك مع رودس فى مغامراته من أجل الماس وكذلك مع الفـريد بيت • وكان الغرض الاول للشركة هو توحيد دى بيرز ، كمبرلى ، مناجم جريكو الاند الغربية بجنوب غربى أفريقيا • ومنذ ذلك الوقت أضيف عـدد كبـير من المصالح الموحدة والمصالح المتنوعة • والى جانب مناجم جنوب أفريقيا تقوم دى بيرز بتشغيل منشآت أخرى على طول الساحل الجنوبى وفى ناماكوالاند وفى جنوب غربى أفريقيا ، ويمتلك منجم وليمسون فى تنجانيقا ٥٠ ٪ من المصالح بينما تمتلك حكومة تنجانيقا الباقى •

ومن بين الشركات الفرعية الاخرى لشركة دى بيرز المتحدة شركة تعدين الماس الاولى (ترانسفال) والمناجم المتحدة لجنوب غربى أفريقيا وشركة المـاس وشركة دى بيرز الصناعية • وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة تمتلك ٤٠٪ من رأس مال شركة شراء وتجارة الماس ، وشركة تجارة الماس ، كما تمتلك ٣١ ½ ٪ من الموزعين الصناعيين (١٩٤٦) • وهذه الشركات التى تقوم بالشراء والتوزيع هى الطرق الرئيسية التى توزع منها انتاج أحجار الماس الكريمة التى ينتجها كبار منتجيه فى العالم • ولشركة دى بيرز الصناعية أيضا مصالح فى انتاج الماس عن طريق سيطرتها على شركة جريكوالاند الغربية لتعدين الماس ومنجم دوتوتسبان ليمتد وشركة نيوجاجر فونتين للتعـــدين والتنقيب وشركة منجم بولتفونتين المتحدة ليمتد •

ومما قد يبدو غريبا لأول نظرة بالنسبة لشركة متخصصة فى صناعة الماس أن نجد شركة دى بيرز المتحدة تمتلك ٥٠ ٪ من أسهم رأس مال شركة الصناعات الكيماوية والمفرقعات الافريقية ليمتد • ولكن اذا دققنا النظر وأمعنا الفحص نجد

أن هذه الظاهرة ليست غريبة كما قد تبدو ، ففكرة الشركة أنه من الاربح والأوفق لها أن تقوم بصنع المتفجرات التى تستخدمها فى مناجمها وفى شركاتها المتصلة بهـــا ٠

كان هذا هو الهدف الاصلى ، ولكن ما أن بدأت فى عملية المتفجرات حتى كان الطريق قريبا وقصيرا لصناعتها والتوسع فى انتاج المواد الكيماوية وخاصة تلك التى تتصل بصناعة المتفجرات ٠

لم تعد عمليات المتفجرات الافريقية اليوم محدودة ، كما أنها لم تعد عمليات بريئة ٠ وعن طريق شركة دى بيرز الصناعية أصبح يمتلكها بالاشتراك الشركة الانجليزية الامريكية وفرع جنوب أفريقيا لشركة الصناعاتالكيماوية الامبراطورية (I. C. I.) ٠ وانتشار أعمال الشركة الاخيرة وسيطرتها وتحكمها فى عدد من المواد الكيماوية وعدد من العمليات الصناعية جعلها من أهم الشركات الاحتكارية وأقواها فى العالم ٠ وقد وصلت منذ أمد بعيد الى مرحلة التوحيــد مع كبريات المؤسسات الخاصة بالمواد الكيماوية وبالتسليح ٠ ثم ان اشتراكها مع أكبر شركة كيماوية لصناعة البلاستيك فى العالم وهى شركة دى بونت دى نيمور يتيح لها فرصة الاتصال بصناعة المعدات الحربية الحديثة التى تنبع من صناعة الكيماويات ٠

وكانت المتفجرات أساس وصول شركة دى بونت الى السلطة ٠ « كانت أول طلبية كبيرة لها هى تزويد نابوليون فى محاولته الفاشلة لسحق توسانت لاوفرتير وشعب سانتو دومنجو ٠ والطلبية الثانية كانت لحرب الولايات المتحدة ضد « قراصنة باربارى » ٠

وفيما يلى فقرة وردت فى صفحــة ١٩٥ من كتــاب فكتــور بيرلو المسمى « امبراطورية المال » ٠

« كان هذا هو الذى وطد دعائم شركة دى بونت التى استمرت حتى وقتنا هذا حيث تسيطر على أعظم وأكثر الشركات ربحا فى العالم وهى شركة جنرال موترز » ٠

ويرجع اتصال شركة دى بونت بشركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية الى أربعين سنة مضت ، ففى عام ١٩٢١ اشترت شركة المتفجرات التجارية ـ وهى الفرع البريطانى لصناعات نوبل التى كانت شركة الصناعات الكيماوية متصلة بهـا نصف أسهم شركة جنرال موترز التى كان يعرضها للبيع بيت مورجان ٠ كانت المتفجرات من بين عمليات شركة الصناعات الكيماوية الاولى ٠

ومنذ ذلك الوقت زاد اتحاد دى بونت مع شركة الصناعات الكيماويةتعقيدا ، اذ كان لكل منهما حقوق محفوظة للتنقيب ، وصلات مع الشركة الكيماوية الالمانية الكبرى ـ فاربن ـ ولذلك فقد اقتسما العالم فيما بينهما ٠ وفى أثناء الحرب ظلت كل من شركة دى بونت وشركة الصناعات الكيماوية تحترم اتفاقياتها مع شركة فاربن ٠ وقد نزع كل من دى بونت وشركة الصناعات الكيماوية من على وجهيهما نقاب المنافسة فى الاسواق الاجنبية الكبرى بما فى ذلك كندا والارجنتين والبرازيل ، فهناك تعملان كأنهمـا شركة موحدة واحدة عن طريق شركات محلية يمتلكانهـا ولقد نجحا فى السيطرة على هذه الاسواق بفضل قوتهما الموحدة وسمعتهما » ٠

ثم اذا رأينا شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية مع شركات أوبنهيمر فى جنوب أفريقيا فلا يجب أن تتولانا الدهشة ٠ فالشركات الاحتكارية تتقارب وتتوحد بسبب مصالحها الصناعية والمالية المشتركة فى ميـدان من الميـادين ٠ فالاتحاد بين شركة الصناعات الكيماوية وبين أوبنهيمر ليس مقصورا على المتفجرات الافريقية ولكنه يكرر نفسه مع فروع ومجموعات أوبنهيمر الاخرى ٠ وقد باركت

بريطانيا هذا المشروع عن طريق تصديقها على العقد بارسال خبير من مؤسسة الاسلحة النووية البريطانية • وفضلا عن ذلك فان المعدات الحربية المنتجة فى مصانعها أساسها مواصفات الجيش البريطانى والبحرية البريطانية والسلاح الجوى البريطانى •

وبالرغم من أهمية المتفجرات الافريقية بالنسبة لشركات أوبنهيمر وبالنسبة لخطط جنوب أفريقيا العسكرية فى القارة الافريقية فانها تدين بفضل وجودها الى تعدين الماس • انها احدى فروع شركة دى بيرز المتحدة ، وهناك فروع أخرى من بينها الشركة الاستثمارية ـ شركة ممتلكات دى بيرز ـ التى تتحكم فى ٨٤ ٪ من أسهمها • وعند وفاة مستر ولمسون تمكنت شركة ممتلكات دى بيرز من الحصول على عرض لشراء ١٢٠٠ سهم هى عبارة عن رأس ماله فى منجمه فى تنجانيقا • وتمت الصفقة بمبلغ ٤ر١٣٩ر٩٩٦ جنيه على أن تكون شركة دى بيرز مسئولة عن ضرائب وفوائد أسهم وليسمون • وتمت موافقة حكومة تنجانيقا على هذه الشروط بعد أن تنازلت شركة وليسمون للماس عن ٣٢٠ سهما للحكومة التى قامت بعد ذلك بشراء ٢٨٠ سهما أخرى • وقد تمت الموافقة على الثمن وهو ١ر٣١٧ر٢٧٢ جنيه مع فوائد بسعر ٦ ٪ من أصل فوائد الاسهم التى تحصل عليها الحكومة •

وتمتلك مناجم الماس المتحدة بجنوب غربى أفريقيا ـ التى لشركة دى بيرز المتحدة أغلبية ممتلكاتها ـ امتياز التنقيب عن الماس فى مساحات شاسعة فى جنوب غربى أفريقيا ويسرى هذا الامتياز حتى نهاية عام ٢٠١٠ ، وهذا الامتياز عبارة عن امتداد لامتياز سابق كان ينتهى فى عام ١٩٧٢ • ومن أهم البنود الواردة فى قائمة أرباح شركة دى بيرز أتاوة « دى باس » التى تحصل عليها الشركة المالية الجنوبية الغربية التى هى عبارة عن فرع من فروع مناجم الماس المتحدة • هذه الأتاوة

عبارة عن ٨ ٪ من جملة المتحصل من بيع الماس الناتج فى منطقة بومونا بجنوب غربى أفريقيا حيث تمتلك الشركة المالية الجنوبية الغربية أراضى وعقارات وحقوق وأتاوات معدنية أخرى ٠

وتساهم مناجم الماس المتحدة فى تجارة توزيع الماس عن طريق الشركات الآتيـة :

شركة الماس ليمتد	٥٫٩٩٦٫٩٠٣ سهما
شركة تجارة الماس ليمتد	٨٠٫٠٠٠ سهما
شركة شراء وتجارة الماس ليمتد	٢٠٠٫٠٠٠ سهما
الموزعون الصناعيون (١٩٤٦) ليمتد	١٥٠٫٠٠٠ سهما
ممتلكات دى بيرز ليمتد	١٫١٥٠٫٠٠٠ سهما

وقد ارتفع انتاجهـا من المـاس من ٨٩٥٫٧٤٤ قيراط فى عام ١٩٥٨ الى ٩٣٣٫٩٣٧ فى عام ١٩٦٠ ٠ واذا أخذنا ذلك فى الاعتبار مع الاتاوات والاستثمارات فى تجارة الماس لا نعجب من أن الشركة قد استطاعت فى مدى الخمس عشرة سنة الماضية أن تعطى حملة الاسهم أرباحا بالنسب الآتية :

١٩٤٦ ـ ١٩٤٩	٤٠٪ مضافا اليها علاوة كل عام
١٩٥٠	٤٠٪ + ٢٠٪
١٩٥١	١٢٥٪
١٩٥٢ ـ ١٩٥٨	١٥٠٪ فى كل عام
١٩٥٩	٢٠٠٪
١٩٦٠	٢٠٠٪

وكان رأس مال الشركة المرخص به والمدفوع هو ٥٫٢٤٠٫٠٠٠ جنيه فى حين أن ربحها الصافى فى عام ١٩٦٠ كان ١٠٫٧٣٤٫٤٦٨ جنيه بعد دفع ٤٫٦٢٢٫٧٣١ جنيه بصفة ضرائب ٠ وامتصت فوائد الاسهم ٥٫٦٦٧٫٤٣٧ جنيه ٠ وكانت أرباح عام ١٩٦١ تقدر بمبلغ ١٢٫٨٤٨٫٠٠٠ جنيه وذلك بعد دفع مبلغ ٥٫٤١٠٫٠٠٠ جنيه كضرائب ودفع مبلغ ١٦٨٫٠٠٠ جنيها كفوائد للاسهم الممتازة ٠ وأما مدفوعات فوائد حملة الاسهم العادية فهى وان كانت لم ترد الا أنها أعلى من مثيلاتها فى العام السابق ٠

وتتصل شركة تعدين الماس (جنوب غربى أفريقيا) بشركة دى بيرز المتحدة عندما تنازلت الاولى للثانية عن جزء كبير من منطقة الماس فى جنوب غربى أفريقيا فى مقابل ٢٠٪ كفائدة من الربح الصافى للماس المستخرج ٠ وتمتلك الشركة ١٨٠٫٠٠٠ سهم فى شركة تطهير وتعدين الماس (جنوب غربى أفريقيا) ٠ وحتى يتم الشراء أصدرت شركة تطهير وتعدين الماس ٥٤٠٫٠٠٠ سهم أخرى فى يوليو ١٩٦٠ وبسعرها الاصلى ، وبذلك ارتفع رأس المال المرخص به من ٣٠٠٫٠٠٠ جنيه الى ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه ٠ ومن بين مصالحها الاخرى ١١٤٫٤٠٠ سهم فى شركة الماس الصناعية بجنوب أفريقيا (١٩٤٥) والتى توقفت عملياتها فى ربيع ١٩٦٠ ، ولكنها ما زالت تحتفظ بـ ١٤٨٫٢٠٠ سهم فى شركة تعدين الماس ، و بـ ١٩٧٫٩٠٠ سهم فى مناجم لوليى للنحاس حيث تمتلك شركة تعدين الماس ٢٠٠٫٠٠٠ سهم ٠ وهذا كله يوضح لنا ما يمكن أن نصفه بأنه شبكة معقدة من المصالح ٠

ان أهم نتوء فى عجلة الماس الدائرة هو شركة الماس Diamond Corporatin التى يمتلك رأس مالها البالغ ٢٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه مناجم دى بيرز المتحدة ومناجم الماس بجنوب غربى أفريقيا والشركة الانجليزية الامريكية (التى

لا تغيب أبدا) • وتقوم شركة الماس بشراء انتاج الماس من أهم منتجيه فى العالم بمقتضى عقود فترية • ثم يسوق الماس بواسطة مؤسسة البيع المركزية Central Selling Organisation كما تسوق أيضا الماس المستخرج من مناجم مجموعة دى بيرز والماس المستخرج بمعرفة حكومة جنوب أفريقيا •

أين يأتى دور شركات الماس التجارية الاخرى ؟ تتسلم شركة تجارة الماس وتبيعه فى السوق ، والماس له قيمة الجواهر أو ما يقرب من قيمتها • أما الموزعون الصناعيون فلهم دور فى صنع آلات التنقيب وبيعها فى السوق •

ولفروع دى بيرز مصالح فى هذه الشركات الفرعية الداخلية فى المجموعة ، فلشركة معادن بكيكا ممتلكات فى شركة الموزعين الصناعيين وفى شركة تجارة الماس وفى شركة شراء وتجارة الماس وفى شركة تنمية الماس • وقد قام الموزعون الصناعيون بزيادة أرباح الاسهم فى عام ١٩٦١ بمقدار ٢٠٪ أكثر من الاعوام السابقة • وتتصل شركة بكيكا بالكونغو عن طريق جماعة توطيد العلاقات الثقافية وعن طريق الشركة البحرية البلجيكية •

ولشركة بكيكا على نهر لوبيلاش بالكونغو فرع اسمه جمعية بكيكا للمنجنيز، وهى تعمل بالقرب من ملتقى خطوط السكك الحديدية الكنغولية • وفى بداية عام ١٩٦٢ أنشأت شركة بكيكا للمنجنيز فرعا برأس مال قدره ٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ فرنك واسمه جمعية معادن كيزنجا بحيث تمتلك جمعية بكيكا للمنجنيز معظم أسهمه • وحصلت جمعية كيزنجا على بعض الامتيازات وحقوق التنقيب من جمعية بكيكا للمنجنيز ، التى اشتركت بدورها فى أكتوبر ١٩٦٢ فى انشاء الشركة الاوروبية للمنجنيز أو سيديما Sedema • وأهم الاطراف المشتركة فى الاخيرة هى الاطراف المشتركة فى شركة سبيكا Sibeka وفى شركة المنجنيز الكيماوية (الولايات المتحدة) •

ومن تقرير للجمعية العامة فى ١٩٦٢ نعرف أنه قد عقد اجتماع لبكيكا فى ٢١ مارس ١٩٦٢ اتفق فيه على أن تتنازل بكيكا لصالح شركة جديدة هى شركة معادن باكوانجا عن كل حقوقها للتعدين فى الكونغو (وخاصة فى اقليم باكوانجا) وتصبح معروفة باسم سبيكا . وأعيد تشكيل الغرض من انشاء سبيكا فأصبح يغطى البحث والنهوض بالمشروعات وتمويلها بكافة الطرق سواء فى بلجيكا أو فى الكونغو أو أى بلد أجنبى آخر وسواء كان المشروع خاصا بالتعدين أو الصناعة أو التجارة أو الزراعة أو النقل ـ وخاصة النقل المتصل بالمواد المعدنية .

وداخل اطار هذا الهدف الجديد زاد اسهام الشركة فى مشروعات جديدة أهمها انتاج الماس الصناعى . والنشاط الاساسى لسبيكا هو أن تسهم فى عمليات جمعية باكوانجا للمعادن المعروفة باسم ميبا Miba . وبلغ انتاج ميبا فى أول سنة لها ـ وهى سنة ١٩٦١ ـ ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ قيراط من الماس وقد صرح رئيس مجلس ادارة الجمعية العامة بأن هذا الرقم يجب أن يظل معدلها العادى .

ولقد ظلت شركة سبيكا مشغولة فى جنوب كاساى حيث كانت تجرى استثمارات أخرى من بينها شق طريق حديث طوله ١٥٠ كيلو مترا يمتد من باكوانجا حتى المحطة فى موين ديتو . وقد ساهمت الجمعية العامة فى شركة سبيكا بـ ٥٢٥٫٠٠٠ سهم، كما عاونت شركةسبيكا للمنجنيز بـ ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك من ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك سمح لها بها فى رأس مال شركة سديما ومقداره ٨١٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك . وأخذت شركة سبيكا ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك أخرى . وهدف شركة سديما هو صناعة مركبات المنجنيز ومعادن المنجنيز من أجل السوق الاوروبية

ولن يمضى وقت طويل قبل أن نبذل محاولة لتتبع الشركات المشتركة في مجال معين من مجالات التعدين حيث يقودنا هذا الى ارتباطات مع قطاعات أخرى من قطاعات انتاج المواد الخام . وهكذا نجد أن دراستنا لمشروعات دى بيرز فى حقل الماس تقودنا الى العالم الاوسع ، عالم مصالح الجمعية العامة ، التى سوف نصادفها أكثر من مرة فى أثناء جولاتنا عبر متاهة السيطرة الدولية المتشابكة على ثروات القارة الافريقية الاساسية . ومن الجدير بالملاحظة كذلك أن نجد فى كل ركن بعض الشركات الصناعية الامريكية الكبرى ، وفي هذه الحالة نجد أن شركة المنجنيز الكيماوية تبرز فى الصورة .

واذا نظرنا أبعد من ذلك صوب انتاج الماس فى أفريقيا نجد جمعية عامة أخرى تعمل فى الكونغو . فنجد الجماعة الدولية للغابات والمعادن فى الكونغو ـ المعروفة باسم « فورمنير » Forminière تضطلع بعمليات التعدين والعمليات التجارية والصناعية والزراعية ـ وخاصة فى كاساى . أما عملها الرئيسى فهو تعدين الماس .

وفورمنير هى احدى امتيازات الملك ليوبولد الرئيسية فى الكونغو . وقد كون الملك ليوبولد الشركة عام ١٩٠٦ بمعاونة رجلين من رجال الاعمال الامريكيين، هما توماس فورتشون ودانيل ججنهايم . ولقد جمع الاخير ثروة طائلة من التعدين فى أمريكا الجنوبية . وتعتبر شركة فورمنير اليوم جزءا من المجموعة الكبرى من الشركات التى تسيطر عليها الجمعية العامة / امتيازات تنجانيقا ووليدها اتحاد المعادن بكتانجا العليا Union Minière du Haut Katanga التى تضع حياة الكونغو الاقتصادية فى قبضة يدها والتى تمد نفوذها فى الوقت الحاضر الى انجولا وموزمبيق . وعن طريق فرعها المسمى الجمعية التجارية والمالية الدولية

لفورمنيير ــ أو انترفور Interfor ــ لها مصالح مع شركة سبيكا فى عــدد من الشركات الزراعية التى تدير المزارع فى الكونغو على نطاق واسع ٠

ومن بين ممتلكات فورمنيير شركات التعدين مثل جمعية البحوث واستغلال البوكسيت بالكونغو ــ بوكسيكونجو Bauxikongo ــ التى ورد ذكرها فى قائمة مصالح اتحاد المعادن ٠ كذلك يدخل البترول فى امبراطورية الجمعية العامة عن طريق جمعية البحث واستغلال البترول ــ أوسكوريب Socorep والاخيرة من بين استثمارات فورمنيير ٠

وتشغل شركة الماس Diamond Corporation مركزا للبضاعة المعروضة للبيع بواسطة كبار المنتجين ٠ ولا نعجب اذا وجدنا أن لها نصيبا فى معظم شركات الانتاج خارج نطاق مجموعة جنوب أفريقيــا ٠ ويجلس مستر أوبنهيمر ومستر جويل الى جانب مقعديهما فى مجلس ادارتها فى مجالس ادارة شركة انجولا للماس Com. de Diamantes de Angola التى يجلس اثنان من أعضاء مجلس ادارتها ــ مستر ألبرت ثيل ومستر ا٠ ريان ــ فى مجلس ادارة شركة فورمنيير٠ولمستر ثيل اتصالات هامة مع بعض المجموعات الامريكية القوية٠ لقد بدأ حياته فى عام ١٩٠٩ مع اخوان ججنهايم ــ ولقــد عاون أحدهما الملك ليوبولد الثــانى ٠ ووصل الى كرسى رئاســة شركة الباسفيك للقصــدير كما وصل الى منصب مدير شركة كنيكوت للنحاس وفرعها شركة براون للنحاس ٠ كذلك عمل ثيل فى انتاج النترات ، ومن بين الشركات التى تولى رئاسة مجلس ادارتها شركة مراكيبو للبترول وشركة باربر للبترول وشركة مبيعــات نترات شــيلى وشركة فلــدسبار ٠ وكمدير لشركتى أنجولا للمــاس ، وفورمنيــير لم يبتعد خارج نطاق اختصــاصه الاساسى فى البترول والقصــدير والنترات التى كان لمورجان يد فيها ٠ وتعتبر شركة مورجان للائتمان احدى الشرايين الاساسية التى يتدفق منها المال لتمويل شركات أوبنهيمر ٠ كــذلك يشترك مورجان مع البنك البلجيكى الذى يعتبر البنك الرئيسى فى بناء الجمعية العامة كما يعتبر أكبر

بنوك بلجيكا • وشركة بسكويزاس للمعادن بأنجولا ممثلة أيضا فى مجلس ادارة شركة أنجولا للماس •

ولشركة انجولا للماس حقوق احتكارية تتيح لها حرية البحث عن الماس فى مساحة قدرها ٣٩٠٫٠٠٠ ميل مربع فى أنجولا ، وهى مساحة تبلغ أربعة أمثال مساحة غانا أو مساحة بريطانيا العظمى • وهناك ثلاثة وأربعون منجما عاملا بعد فتح ثلاثة مناجم جديدة بدل الثلاثة التى نفذت كمية الاحتياطى منها • وما زال التنقيب مستمرا ، كما أن هناك تسعة عشر مجموعة تعمل فى هذا الحقل . وتوجه حكومة أنجولا اهتماما مباشرا للشركة ـ المسجلة فى البرتغال ـ وتعتبر الشركة اليد الادارية اليمنى للحكومة البرتغالية • وتمتلك ٢٠٠٫٠٠٠ سهم وهى أكثر قليلا مما تملكه الجمعية العامة ـ ١٩٨٫٨٠٠ سهم ـ ويعمل نصف العمال الافريقيين تقريبا بالسخرة ويبلغ أجر العامل الشهرى حوالى سبعين اسكودو أى ما يساوى ١٦ شلنا • أما الارباح المجزية التى تربحها الشركة فتقسم بالتساوى بين مقاطعة انجولا وبين حملة الاسهم بعد استقطاع ٦٪ للاجهزة الادارية •

وبلغت أرباح حملة الاسهم فى عام ١٩٦٠ حوالى ١٣٧٫٠٠٠٫٩٣١ اسكودو بعد حجز مبلغ مماثل لولاية انجولا وحجز ١٥٫٣٤١٫٦٤٩ اسكودو للشئون القانونية • وبلغت جملة الارباح ٢٨٩٫٣٤٣٫٥١١ اسكودو جاء منها ١١٤٫٨٠٠٫٠٠٠ اسكودو من أرباح الاحتياطى • وامتصت فوائد الاسهم فى عام ١٩٦٠ مبلغ ١٣٦٫٦٧٠٫٠٠٠ اسكودو •

ولا تدفع الشركة ضرائب استيراد على المصنع أو على المواد كما لا تدفع ضرائب على الماس المصدر • كذلك تمنحها حكومة انجولا قرضا قدره ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ اسكودو فى مقابل اصدار ١٠٠٫٠٠٠ سهم ثمن كل سهم ١٧٠ اسكودو فى عام ١٩٥٥ . ولم نسمع قط عن فوائد مثل الفوائد المدفوعة عن هذا القرض اذ تبلغ ١٪ كما يتم تسديد القرض عام ١٩٧١ • وتمتلك شركة انجولا للماس ١٢٫٢٦٦٪ من رأس مال الشركة البرتغالية للماس

وشركة الماس متعاقدة لشراء انتاج شركة انجولا للماس الذى بلغ أخيرا أكثر من مليون قيراط والذى يقدرون له انتاجا أكبر بعد أن استوردوا آلات حفر ميكانيكية وبعد أن استوردوا مصنعا لغسيل الماس ، وذلك بعد أن أثبتت الدلائل وجود كميات كبيرة جدا من رواسب الماس . وتمثل أحجار الماس الكريمة ٦٥٪ من جملة الانتاج .

وقد اقتحمت شركة الماس ساحل العاج عن طريق انشاء فرع محلى لشراء الماس من السوق الحرة فى تلك البلاد . ولا يمكن أن نتنبأ الى أى مدى ستكون هذه السوق حرة . وتحاول بعض الدول الافريقية التى حصلت على استقلالها حديثا التخلص من سيطرة شركة الماس ، ولذا أقامت غانا سوقا للماس خاصا بها فى أكرا ويفرض على كل البائعين بما فيهم الشركة الافريقية المختارة المتحدة المسماة « كاست CAST » والتى تعمل فى ٦٨ ميلا مربعا فى منطقة أكيم أبواكوا ـ أن يبيعوا الماس عن طريقها. وتعتبر شركة سيراليون المختارة فرعا لشركة كاست فى سيراليون .

وقد لا يقبل التصديق ـ ولكنها الحقيقة ـ ان شركة سيراليون المختارة كانت لها كافة حقوق تعدين الماس فى جميع أنحاء البلاد . ولكن حدث فى عام ١٩٥٥ أثر احتجاجات موجهة من الشعب ـ وخاصة فى اقليم كونور الغنى بالماس ـ ان خفضت مساحة الامتياز الى ٢٠٩ ميلا مربعا . ولكن كان هذا التخفيض مظهريا أكثر منه حقيقيا . فلقد كانت حقوق الامتياز ممتدة لمدة ثلاثين سنة ، ثم أعطيت الشركة حقوقا أخرى مقيدة فى مساحة تزيد على ٢٥٠ ميلا مربعا . كذلك سمح للشركة أن تنقب عن رواسب الماس فى أعماق الارض فى أى مكان فى سيراليون لمدة لا تقل عن عشر سنوات وأن تقوم بعمليات التعدين .

ومما يثبت زيف هذه الاتفاقية التعهد الذى أخذته الحكومة الاستعمارية على نفسها وهو ألا تمنح قبل عام ١٩٧٥ أى ترخيص للتنقيب عن الماس لاى طالب غير سيراليونى أو لأى شركة لا يمتلك معظم أسهمها غير سيراليين ، قبل أن يعرض

منح هذا الترخيص أولا على شركة سيراليون المختارة · وبالرغم من أن هذا العمل من شأنه أن يطلق يد الشركة الا أنها حصلت من الحكومة على مبلغ ٠٠٠ر٥٠٠ر١ جنيه تعويضا لها عن الفرص التى خسرتها · وتمتلك شركة كاسـت CAST كل الـ ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ سهم التى أصدرتهـا من مجموع ما رخص لهـا به وقدره ٠٠٠ر٤٠٠ر٦ سهم برأس مال قدره ٠٠٠ر٦٠٠ر١ جنيـه · أما مقـدار الارباح التى حققتها الشركة فغير معروف حيث لا يرسل بيان الحسابات الا لحملة الاسهم فقط ·

ورئيس مجلس ادارة كل من شركة كاست وشركة سيراليون المختارة هو مسـتر ا· تشستر مبيتى ، ومن بين زمـلائه فى مجلسى الادارة مسـتر ا·ك هوارتون تيجر ومستر ت·هـ برادفورد ومستر ب·ج أوبنهيمر · ويجلس مستر أوبنهيمر فى مجلس ادارة شركة الماس مع مستر و·ا تشابل الذى هو زميل آخر فى مجلس ادارة شركة كاست · ويجلس الاخيران فى لجنة لندن الخاصة بمناجم دى بيرز المتحدة · كذلك يحتل مستر أوبنهيمر مقعدا فى لجنة جوها نسبرج مع ماجور جنرال ب· دىفيليرز ومع مستر ا· ويلسون · ويشترك الاثنان الاخيران فى ادارة مناجم الماس المتحدة بافريقيا الجنوبية الغربية ·

ويمثل مستر توماس هورات برادفورد الشركة المختارة ليمتد التى يشغل فيها منصب مدير لفروعها فى أمريكا وروديسيا وكندا وفنزويلا ويشترك مستر بيتى مع مستر برادفورد فى عدد من مجالس هذه الشركات ·

أما علاقة مستر تشابل مع عالم الماس فهو قطعا على مستوى عال اذا حكمنا من ادارته لبنك انفرس للماس Banque Diamantaire Anversoise وتعتبر مدينة أنتورب أعظم مركز لقطع الماس فى جميع أنحاء العالم ، اذ يعمل منها فى هذه الصناعة أكثر من ٠٠٠ر١٣ شخصا·ويحتل بنك أنتورب للماس مركزا استراتيجيا هاما·فيقطع فىمدينة أنتورب فى كل أسبوع بين ٠٠٠ر٤٠ و ٠٠٠ر٥٠ قيراط من الماس ومعظم الاحجار الخام من شركة الماس التجارية عن طريق المؤسسة المركزية للبيع

ـ دى بيرز ـ فى لندن ، ولكن أنتورب تبحث عن مصـادر أخرى للماس ، وفى عام ١٩٦١ حصلت على ٣٠٪ من جملة ما حصلت عليه من جهات أخرى ٠

وواضح جدا أن مستر ا٠ تشستر بيتى يتحرك فقط بين صفوف المستويات العليا فى عالم الماس وخاصة هذا القطاع الذى تسيطر عليه مجموعة دى بيرز والذى يكون محوره شركة الماس ومنظمته الخاصة بالبيع ٠ ولذلك كان من الصعب أن ندرك اللعبة التى قام بها مستر بيتى بالنسبة لقانون حكومة سيراليون الذى تم التصديق عليه فى نهاية عام ١٩٦١ والذى يفرض على كل منتجى الماس فى سيراليون أن يبيعوا ما لديهم عن طريق مكتب الماس الحكومى ٠

ولقد صرح مستر بيتى ـ رئيس مجلس ادارة الشركة المختـارة وشركة كاست وشركة سيراليون المختارة ـ فرعها ـ بأن العقـد الذى كان بين شركة كاست وبين شركة الماس لم يجدد بعد نهايته بسبب العمولة الضخمة التى كانت تطلبها وقدرها ١٢٪ ، فقد عرضت شركة كاست ٤٪ ولـكن رفض عرضـها ، ولذلك أبرمت عقدا مع شركة هارى ونستون بنيويورك أصحاب الشركة المشهورة جونكر المتخصصون فى قطع المـاس والذين كانوا يبحثون عن مصـدر مبـاشر للماس يحل محل شركة الماس ٠ وبالنسبة الى الصلة التى بين الشركة المختارة وشركات دى بيرز ـ بما فيها شركة الماس ـ كان من العجيب أن نرى احدى حلقات السلسلة الهامة ـ وهـو مستر تشستر بيتى ـ يحتج ويعبر عن قلقه بغرض حماية مصالح سيراليون ضد الشركة التى هو جزء منها ٠

وكان احتجاج مستر بيتى سببه أنه اذا كانت شركة سيراليون المختارة تضطر الى عرض انتاجها على مكتب الماس التابع للحكومة فمعنى ذلك أن هـذا الماس سيذهب الى شركة الماس التى هى المشترية النهائيـة من مكتب الماس ، وهذا بالضبط هو ما كان يحارب ضده ، وفضلا عن ذلك فمعنى ذلك فض العقد مع ونستون ويتطلب ذلك دفع تعويض ، ولقد أوضح مستر بيتى أن دفاعه عن مصلحة سيراليون جعله يعيد تقييم عقد شركة المـاس فى عام ١٩٥٧ ، ولهـذا تسلمت مبلغ ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ جنيه فى آخر سنوات عملياتها الثلاث ٠

وهنا نجد لعبة عجيبة اذ يصرح مستر بيتى أنحكومه سيراليون سوفتتسلم ايرادا قدره ٥٠٠٠٠٠ر٠٠٠ جنيه طبقا لعقد ونستون أكثر مما تتسلمه طبقا لعقد شركة الماس • وهنا تبرز ثلاثة أسئلة ملحة : ما هى النسبة المئوية للزيادة فى الايراد والتى يمثلها المبلغ الاضافى ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ جنيه الذى قال مستر بيتى أنه تسلمه من شركة الماس فى السنوات الثلاث الأخيرة من العقد المنتهى ؟ كم من هذا المبلغ وصل الى يد حكومة سيراليون وما هى النسبة المئوية للزيادة فى الايرادات التىيمثلها هذا المبلغ للحكومة ؟ وكيف أن مستر بيتى عجز عن الحصولعلى ميزة مماثلة فى الشروط بابرام عقد جديد مع شركة الماس ؟ هل الـ ٨٪ تعتبر ثمنا أفضل من ونستون ينعكس بدقة على تقدير مبلغ الـ ٥٠٠ر٠٠٠ جنيه المضافة الى ايراد الحكومة والتى هى نتيجة عقد مع ونستون ؟

ولكن ألا يستهدف كل هذا التظاهر الاحتفاظ بالزيف القائم وهو أن الشركة المختارة وشركة الماس شركتان لا ترتبط الواحدة بالاخرى ؟ ثم منالعجيب أن الصحافة تؤيد هذا التظاهر وهى تعلم الحقيقة كل المعرفة • مثال ذلك ما صرح به مراسل صحيفة « أفريقيا الغربية » فى فريتون عندما أعلن فى عدد الصحيفة الصادر فى ٢٧ يناير ١٩٦٢ « أن عملاقى صناعة الماس الاوروبيين ـ شركة الماس والشركة المختارة ـ كانا فى حالة خصام » • أما حقيقة الموضوع فهى أن مستر بيتى شكا من أن قانون حكومة سيراليون يتضمن التدخل فى حرية الشركة وهى الحرية الخاصة بأن تبيع الشركة كما تريد •

ان مستر بيتى وغيره ممن يمثلون المصالح الاحتكارية فى عدد كبير من مجالس الادارات لا يريدون أن يعترفوا بتيار التغير الجديد الذى أتى فى أعقاب الحصول على الاستقلال فى أفريقيا ، مما يعطى الدول الافريقية الجديدة الفرصة لتوجيه اقتصادها فى الطريق الذى ترى أنه يحقق صالحها العام •

وقد دخل ميدان صناعة الماس أخيرا أحد أهالى تكساس وهو الذى يذكر اسمه دائما مقرونا بكل بئر يكتشف من آبار البترول• لقد رأى مستر سام كولنز أن يجمع الماس من قاع بحر شميس ريف • على الساحل الجنوبى الغربى لافريقيا

حيث يقدرون ما به بمقدار ١٤٫٠٠٠٫٠٠٠ قيراط على أقل تقدير وقد أراد مستر كونتز أن يحصل على رأس مال اضافي لتمويل شركته الخاصة بالماس المستخرج من البحر والتي أطلق عليها اسم « شركة الماس البحرية » . ويقال ان مستر أوبنهيمر بعد أن راقب نشاط كولنز باهتمام قرر أن يتعاون معه . ويبدو أن شركة التعدين والتمويل العامة والشركة الانجليزية الترانسلفانية المتحدة ـ وقد ذكرناهما كجزء من المجموعة الامريكية ـ قد اشتركتا في هذا المشروع ، كان مطلوبا منهما تقديم مبلغ اضافي قدره ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه وهو مبلغ مساو للمبلغ الذي دفعه مستر كولنز والشركات التي يسيطر عليها . وقد تبادلت شركة التعدين العامة الاسهم مع الشركة الانجليزية الامريكية ودخلت شركة دي بيرز المتحدة للاستثمارات في العملية كما دخلت شركة التمويل الوطنية بجنوب أفريقيا التي كانت تتقدم دائما لمعاونة عدد من شركات أوبنهيمر في الحصول على قروض .

وتلقى دي بيرز عرضا مقداره ٢٥٪ من حصة ماس البحر والشركة الاخيرة بدورها تمتلك ٤٤٪ من أسهم رأس مال شركة الماس البحرية ، وتمتلك شركة التعدين العامة ٢٥٪ من الباقي وتمتلك الشركة الانجليزية الترانسلفانية ١٦٪ وتمتلك شركة وتوترزراند الوسطى « وهي احدى شركات أوبنهيمر » ٧٪ . أما الباقي فيمتلكه أصحاب الامتياز الاصليين . ولشركة وتوترزراند الوسطى الحق في ١٠٪ للاسهام في أي مشروع للتنقيب تقوم به شركة التنقيب الانجليزية الروديسية . وعلى ذلك يبدو أن كل شيء يدور في دائرة لا نهاية لها وقد يكون مستر كولنز متسرعا ، ولكن الثابت أن الفائزين في هذا المشروع هم مستر أوبنهيمر ومن معه ، أما ما يجري خلف المسرح للحصول أو للوصول الى السيطرة على مشروع يعتبر من أكثر المشروعات ربحا فهو ما دفع مراسل صحيفة « الايكونومست » في جوها نسبرج الى أن يقول « ان القصة الكاملة عن المفاوضات الاخيرة ـ اذا كان مقدرا لها أن تظهر ـ فسوف تبين الصراع المرير من أجل السيطرة بين ملوك التعدين في جنوب أفريقيا » وذلك في عددها الصادر في ١٦ مارس ١٩٦٣ .

ولا يبدو من المحتمل أن تستطيع شركة دى بيرز أن تشق طريقها الى الشركة اليابانيـــة التى تقوم الآن بانشـــاء مصنع فى اليابان لصناعة الماس التركيبى (غير الطبيعى) الذى سوف ينتج سنويا ٣٠٠ر٠٠٠ قيراط تزيد حتى تصـــل ٦٠٠ر٠٠٠ قيراط سنويا . ولشركة دى بيرز بالاشتراك مع جمعية معادن دى بيكا مصنعها فى جنوب أفريقيا لانتاج الماس غير الطبيعى . كذلك تقوم شركة جنرال الكتريك بصناعة الماس الصناعى . ويقول اليابانيون أن الماس الذى ينتجونه غير هذا الماس . وقد سبق أن أشرنا قبل ذلك الى اهتمام سبيكا باحتمال انتاج الماس الصناعى . وقد بذلت محاولات عديدة لعمل ماس ولكن أسفرت المحاولات حتى الآن عن أن هذه العملية غير اقتصادية . ولكن احتمال انتاج الماس الصناعى الذى سوف ينافس الماس الطبيعى فى الأسعار سيكون ضربة أخرى موجهة الى الدول النامية المنتجة للماس فى أفريقيا .

الفصل الحادى عشر

المصالح الخاصة بالتعدين في جنوب أفريقيا

اذا نحن فحصنا التعقيدات التى تم بها التوسع الانجليزى الأمريكى لاستغلال المواد الاولية للقارة الافريقية فاننا سنجد أن ذراع هذا التوسع القوية تسيطر على الثروة فى روديسيا وفى جنوب أفريقيا وفى أفريقيا الجنوبية الغربية اما بطريق الامتلاك المباشر أو بطريق شركات انجلهارد وكنيكوت الامريكية وبطريق شركة جنوب أفريقيا البريطانية ٠

لقد كانت شركة جنوب أفريقيا البريطانية من خلق عبقرية رودس لبناء امبراطورية ٠ فعندما لاحظ عملية التدافع على الاراضى وتخاطفها فى جنوب أفريقيا فى أوائل السنوات التسعينية من القرن الماضى قرر أنه اذا لم يسرع فسوف تكون النتيجة أن يختطف المغامرون الاوروبيون « مساحات كبيرة من الاراضى ذات القيمة يحكمها زعماء متوحشون من الوطنيين فى داخل القارة » ٠ وعن طريق أعوانه الاشرار المشهورين ـ راد ، ماجوير ، روشفورد ، تومسون ـ نشبت حرب بين ماتابيلس Matabeles وهو ما يطلق عليه الآن روديسيا وبين زعيمهم لوبنجويلا وذهبت قوة من قوات جنوب أفريقيا لمعاونة زعيم القبيلة ضد شعبه معاونة سافرة ٠ وكانت هذه اللعبة البارعة التى لعبها رودس هى

التى أوصلته الى الحصول على امتيازات للتعدين فى هذه المساحات الشاسعة من الاراضى التى تكون فى الوقت الحاضر جميع روديسيا •

وعندما استيقظ الزعيم لوبنجويلا وأدرك بمرارة الحيـــلة التى حرمتـه وحرمت شعبه من الحقوق داخل بلاده أرسل الملتمس التالى الى الملكة فكتوريا :

« حدث أن وفد الى بلادى فريق من الرجـال على رأسهم رجل يدعى راد Rudd طلبوا منى أن أمنحهم أرضا يبحثون فيهـــا عن الذهب وقالوا انهم سوف يعطوننى أشياء معينة فى مقابل الحصول على حق البحث • فطلبت منهم أن يحضروا ما يريدون اعطاءه لى ثم أعطيهم أنا ما يريدون •

فأحضروا لى وثيقة مكتوبة قدموها لى وطلبوا منى أن أوقعهـا • سألتهم عما تحوى فأخبرونى أنها تحوى الكلمات التى قلتها لهؤلاء الرجال وكلمـــات هؤلاء الرجال لى • فوقعتها •

وبعد ثلاثة شهور علمت من مصادر أخرى أننى بهذه الوثيقة قد أعطيتهم الحق فى الحصول على كل المعادن الموجودة فى بلادى • فعقدت اجتماعا من رجالى ومن بعض الرجال البيض ، وطالبت بنسخة من هذه الوثيقة • وثبت لى فعلا أننى قد وقعت تنـازلا منى عن حقوق المعـادن فى كل بلادى لراد وأصدقائه ، وبعد ذلك عقدت اجتماعا آخر من رجالى وقررنا ألا نعترف بهذه الورقة لانهـا لا تحوى كلماتى ولا كلمات الرجال الذين حصلوا عليها •

وبعد الاجتماع طالبت أن تعاد الوثيقة الاصلية لى • ولكنها لم تعد حتى الآن رغم مضى شهرين على ذلك ورغم أنهم وعدوا باحضارها سريعا • وقد طلبت من الرجال الـذين كانوا فى بـلادى فى ذلك الوقت أن يبقوا ولا يغـــادروها حتى ترجع الوثيقة • ولكن استطاع أحدهم ـ ماجوير ـ أن يغادر البـلاد دون علمى وضد أوامرى •

وانى أكتب لك الآن حتى تعـرفى الحقيقـة عن هـــذا الموضــوع وحتى لا تخدعين » •

وانى أجدد تحيات المودة ؟ لوبنجويلا

ولكن أين هم الرجال الذين يعيدون أراضى اختلسوها بطرق شتى من الزعماء الوطنيين المتوحشين ؟ .. وأين هؤلاء الذين يعيدون اليوم أراضى اغتصبوها فى الماضى الا اذا أصر الشعب على استعادتها بقوة تصميمه وارادته الموحدة وحكومته المتحدة ؟ ..

وفى نهاية القرن التاسع عشر كان رودس يحلم بتكوين امبراطورية تمتد من رأس الرجاء الصالح حتى القاهرة ، ولذلك شق طريقه من ميتابيلاند الى ماشونالاند عبر نهر الزمبيزى الى البلاد التى تعرف الآن باسم زامبيا . وبذلك يكون قد دق اسفينا بين المستعمرتين البرتغاليتين موزمبيق وأنجولا . لقد فعل كل ذلك بمعاونة قراصنة ، كحركة جنوب أفريقيا الذين حصلوا على تراخيص ثلاثة اضافية خلاف الترخيص الذى منح لهم عام ١٨٨٩ .

وكان لهذه الشركة حقوق ادارية فى أراضى جنوب أفريقيا الواقعة شمال بتشوانالاند والى شمال وغرب الترانسفال ، والى غرب أفريقيا الشرقية البرتغالية . كذلك كانت لها حقوق لمد خط سكة حديد رأس الرجاء الصالح وخط التلغراف شمالا ، كما كانت لها حق منح امتيازاتللتعدين وأعمال الغابات وغيرها . ولم تتنازل الشركة عن حقوقها الادارية والاحتكارية فى روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية للحكومة البريطانية الا فى عام ١٩٢٣/١٩٢٤ . أما حقوق التعدين فيهما فاحتفظت بهما الشركة كما احتفظت بنصف مصالحها لمدة أربعين سنة بخصوص بيع الاراضى فى روديسيا الشمالية الغربية وفى مقابل ذلك حصلت شركة جنوب أفريقيا البريطانية من الحكومة البريطانية على مبلغ ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ جنيه . وقد تم ابدال نصف مصالحها فى بيع الاراضى فى عام ١٩٥٦ نظير دفع مبلغ ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه سنويا لمدة ثمان سنوات تبدأ من ٣١ مارس سنة ١٩٥٧

وفى عام ١٩٣٣ اشترت حكومة روديسيا الجنوبية حقوق التعدين نظير مبلغ ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ، دفعتها هذه المرة من نقود دافعى الضرائب الافريقيين .

ومعنى هذا أن الشركة ما زالت تحتفظ بحق التعدين فى روديسيا الشمالية حتى أول أكتوبر عام ١٩٨٦ . وكانت الشركة تدفع لحكومة روديسيا الشمالية منذ أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ ما قيمته ٢٠٪ من صافى ايراد حقوق التعدين ، وكان هذا المبلغ ينظر اليه على أنه ضريبة دخل لحكومة روديسيا الشمالية . وقد حددت كلمة « صافى الايراد » بأنها تعنى أرباح الشركة من حقوق التعدين محسوبة بعد خصم النفقات . وكان هذا التنظيم يقضى أيضا بعدم فرض اتاوة تعدين فى روديسيا الشمالية ، كما يقضى بأن أى حكومة تكون مسئولة فى مدى السبعة والثلاثين عاما - حتى أول أكتوبر ١٩٨٦ - عن ادارة روديسيا الشمالية تكون ملزمة بهذا التنظيم .

وبالرغم مما تقوم به حكومة زامبيا أخيرا لاستعادة حقوق التعدين ، فما زال مركز شركة جنوب أفريقيا البريطانية قويا . فهى تمتلك الغابات والمزارع والعقارات الحقيقية فى زامبيا وروديسيا وبتشوانالاند . كما أن لها حقوق تعدين فى مساحة قدرها ١٦٫٠٠٠ ميل مربع من أراضى مالاوى . ولقد كونت شركة سيسل هولدنجز لتحصل على نصيب فروع شركة جنوب أفريقيا البريطانية فى رأس المال فيما عدا شركة سكك حديد روديسيا . ومن بين التشكيلات الجديدة أيضا شركة استثمارات جنوب أفريقيا البريطانية التى حصلت على الجزء الاعظم من استثمارات الشركة الام فى عام ١٩٥٨ .

ومن بين الفروع الاخرى :

شركة جنوب أفريقيا البريطانية للخدمات الادارية ليمتد .
شركة جنوب أفريقيا البريطانية لانتاج الموالح .
شركة العقارات ليمتد .
شركة اندابا للاستثمارات ليمتد .
شركة بيت هولدنجز ليمتد
شركة جيمسون للتنمية ليمتد .
شركة جنوب أفريقيا البريطانية للمتلكات .

وقد سلخ من شركة جنوب أفريقيا البريطانية الجزء الاكبر من ممتلكاتها بواسطة الشركات التى تعمل أساسا فى جمهورية جنوب أفريقيا وذلك باشتراكها فى عام ١٩٦١ فى تبادل الاسهم مع شركة دى بيرز للاستثمارات . ولكنها ما زالت تحتفظ بملكية ٧٠٠٫٠٠٠ سهم لها فى شركة يونيون ليمتد

وتزداد الروابط وثوقا بين مستر هارى أوبنهيمر وبين الشركة الانجليزية الامريكية فى روديسيا بواسطة صفقة الاسهم المعقودة بينهما والتى بمقتضاها تستبدل الشركة الانجليزية الامريكية ١٫٢٠٠٫٠٠٠ سهم عادى قيمة السهم عشرة شلنات بمقدار ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ سهم قيمة السهم جنيه من شركة روديسيا الجديدة للاستثمارات ، وهى شركة عامة مسجلة فى روديسيا ويمتلكها أوبنهيمر - شركة برنثيرست للاستثمارات - وفرع شركة جنوب أفريقيا البريطانية - شركة سيسل هولدنجز .

وتشمل شركة روديسيا الجديدة للاستثمارات : تمويل التعدين ٤٥٫٩٤٪ والذهب ١٤٫٤٥٪ ، الماس ٩٫٣٨٪ ، والفحم ٢٫٤٩٪ ، وشركات متنوعة ١٫٩٪ وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٢ كانت قيمة هذه الممتلكات فى السوق هى ١٠٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه بينما تبلغ قيمة الاصول الثابتة لشركة روديسيا الجديدة الاستثمارات مبلغ ١٢٫١٠٠٫٠٠٠ جنيه أما بالنسبة للشركة الانجليزية الامريكية فتبلغ قيمة أصولها الثابتة فى نهاية عام ١٩٦١ مبلغ ١١٤٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه ، وسوف يزيد ما تمتلكه شركة روديسيا الجديدة للاستثمارات من أسهم شركة المناجم المختارة المتحدة نتيجة للتنظيم المالى الحالى مع الشركة الانجليزية الامريكية التى سوف يزيد نصيبها من أسهم رأس المال من ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه الى ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه وذلك نتيجة اصدار ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ سهما قيمة كل منها عشرة شلنات .

ان الروابط المعقدة الموجودة بين الشركات التى تبدو مستقلة عن بعضها تبدو بوضوح فى الاستثمار الذى تقوم به هذه الشركات فى مجالات ذات مصالح مشتركة ، فنحن نجد مشتريات شركة روديسيا الجديدة من شركة الماس ومن شركة جوهانسبرج المتحدة للاستثمارات ومن الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ، نجدها كلها متصلة بنشاط الشركة الانجليزية الامريكية فى روديسيا وفى الكونغو وفى الاراضى البرتغالية .

فشركة جوهانسبرج المتحدة تختص أساسا بالماس والنحاس والذهب والبلاتين . ولكنها تقوم كذلك بعمليات التنقيب وخاصة فى جنوب أفريقيا وروديسيا . ومن بين فروعها - الى جانب فروع أخرى - شركة برناتو اخوان، بارناتو هولدنجز ليمتد والشركة المهمة - شركة الاسبستوس والاسمنت الافريقية ، وهناك شركة مرتبطة بها هى شركة مات للسباكة ليمتد وهى ملك لشركة مناجم رستنبورج للبلاتين بالاشتراك مع جونسون ماتثى وشركاه ، والاخيرة هى شركة تعمل فى النيكل والبلاتين وغيرهما من المعادن ، وقد قامت بالاشراف على بناء مصنع فى رستنبورج للعمل فى جزء من منتجات شركة مات للسباكة ، وكانت آخر مرة أصدرت فيها شركة جوهانسبرج المتحدة أسهما عام ١٩٥٨ عندما أصدرت ٦٠٠ر٠٠٠ سهما للاستثمار فى شركة روديسيا الجديدة .

وتمتلك الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية أسهما كثيرة فى أهم مناجم النحاس فى روديسيا ، ويزيد من حجم هذه الممتلكات المباشرة ممتلكات الشركات التى لها فيها مصالح ، وهكذا نجد أن فوائدها فى أسهم شركة روكانا العادية - ٣٩ر٥٢٪ - تزيد بمقدار ٦٣ر١٧٪ فى شركة مناجم تشانجا المتحدة للنحاس حيث تشترك بنسبة ٤٢٩ر٢١٪ ، وعن طريق تغلغلها فى شركة روكانا وشركة تشانجا نجد أن الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية لها مصلحة مباشرة فى معامل تكرير النحاس بروديسيا ، كذلك نجد أن مساهمتها فى مناجم موفوليرا للنحاس عن طريق شركة روكانا يزيد من أسهامها بـ ٢١٣ر٥٧٢

سهم بنسبة ٩٢ر١٣٪ ٠ ثم هى تمتلك فى شركة السبائك الروديسية ـ التى تنتج الكروم الحديد ـ ٢٢٦ر٢٦٣ سهم ، وتمتلك فى شركة بروكن هل للتنمية بروديسيا ٩٠٥ر١٤٢٥ر١ سند ٠ وقد استطاعت أن تمتلك ٢٥٪ من ممتلكات شركة كانسانشى لتعدين النحاس عن طريق امتلاك ٢٠٩ر٣٩٤ سهم ٠ ويبلغ مقدار اسهام الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية المباشر وغير المباشر فى مناجم بانكروفت ٥٤ر٢٤٪ ٠ وتعطيها شركة روكانا فائدة على أسهمها فى مناجم تشيبولوما ، كذلك تربطها شركة روكانا بالاشتراك مع شركة تشانجا بشركة كالتدينى للتنقيب ، وعن طريق امتلاك ١٠٠ر٣٤ سهم ترتبط بشركة معادن كازمبا ، وهى شركة تقوم بالتنقيب فى مقاطعة زامبيا الغربية ٠

ولا تتجاهل الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية شركات التنقيب الاخرى ٠ فقد أصبحت تتحكم فى ٣١½٪ من شركة التنقيب الانجليزية الامريكية بروديسيا ، كما تمتلك ٣٧٥ر٣٣٣ سهم من شركة تشارترد للتنقيب ، وكذلك دخل الحديد والصلب والفحم ضمن مجالات عملياتها ٠ فتمتلك ٦٠٠ر٥٩٦ سهم فى مناطق الفحم بلوبمبى التى لها حق التنقيب عن الفحم فى مساحة قدرها ١٣٠ ميلا مربعا فى منطقة بولاوايو بروديسيا الجنوبية ٠ وملكية هذه الاسهم تعطى الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ٦٥٪ من التحكم فى لوبمبى ، أما ال ٣٥٪ الاخرى فتمتلكها شركة مناجم وانكى التى تمتلك الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ من أسهمها ٠ ولها اليد العليا فى شركة الدوق الحديدى للتعدين حيث تمتلك ٤٠٪ من أسهمها ، وكذلك لها مصلحة كبرى فى الشركة الروديسية للحديد والصلب ٠

وتجعل المصالح الاخرى الشركة الروديسيه الانجليزية الامريكية ، تجعلها الشركة ذات السيطرة الاولى على الحياة الاقتصادية فى زامبيا ٠ فلها ٢٠٪ فى شركة روديسيان اكسبتانس ليمتد ، ولها نصف أسهم شركة الاستثمارات الروديسية فيما وراء البحار ٠ وتدر شركة خدمات منجم روانجلو عليها دخلا كبيرا نظير خدماتها الادارية ٠ ويدخلها الاسمنت والصلصال فى تجارة البناء عن طريق

امتلاكها ١٤٨ر٩٦١ سهم فى شركة بورتلاند للاسمنت (روديسيا) و ٢٥٪ من أسهم شركة منتجات الخزف ليمتد ٠

ويبدو أن شركة مناجم بانكروفت توفر للوحش الانجليزى الامريكى أدسم أكلة ٠ وكانت هذه الشركة قد تكونت عام ١٩٥٣ وأخذت من أصحاب حقوق التعدين ـ وهم شركة جنوب أفريقيا البريطانية ـ بعض المنح الخاصة بحقوق التعدين والتنقيب ٠ وكان رأس المال المرخص لها به هو ١٣ر٧٥٠ر٠٠٠ جنيه وأخذت منها شركة جنوب أفريقيا البريطانية ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ سهم وأخذت شركة روكانا ٩ر٥٠٠ر٠٠٠ سهم وأخذت الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ٧٤ر٧٠٠ سهم ٠ كما حدث تبادل فى الاسهم بينها وبين شركة روكانا وبينها وبين الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ٠ وفى عام ١٩٥٥ ساهمت الشركة الانجليزية الامريكية وشركة جنوب أفريقيا البريطانية بمقدار ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ سهم بعد أن قدمنا قروضا قدرها ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه و ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه على التوالى ٠

وعرض على الشركة الانجليزية الامريكية ، وعلى الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية وعلى شركة تشانجا وعلى شركة روكانا شراء ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ سهم من أسهم شركة بانكروفت العادية وامتد العرض حتى ٣١ مارس ١٩٦٣ ٠ وفى ديسمبر ١٩٦١ عرض ١ر٠٠٠ر٠٠٠ سهم حصلت الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية منها على ٤٠٠ر٠٠٠ سهم ٠

ويبلغ رأس مال الشركة الروديسية الانجليزية الامريكية ٧ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه كما بلغ صافى أرباحها فى السنة المنتهية فى آخر يونيو سنة ١٩٦١ ٢٠ر٥٩٠ر٧٨٣ جنيه بعد استنزال ١١ر٥٤١ر٤٧٥ جنيه دفعت بصفة ضرائب وقد امتصت أرباح الاسهم ٥ر٤٠٣ر٥٣٥ جنيه ٠

ان هذه المصالح المتشابكة تشكل أهمية خاصة لشعب زامبيا وشعب روديسيا حيث تتحكم هذه المصالح فى وجودهم وفى مصائرهم ٠ ولم يقم مستر

هارى أوبنهيمر بتوسيع نطاق أعماله عن طريق تبـــادل الاسهم بين الشركة الانجليزية وبين شركة جنوب أفريقيـا البريطانية لوجه الله ، وانما لأن الشركة تعتبر فرعا من فروع شركة جنوب أفريقيا البريطانية ـ وهو فرع سيســيل هولدنج • وعن طريق هذا الاجراء سيكون لشركة جنوب أفريقيـا البريطانيـة نصيبا أوسع فى نشاط الشركة الانجليزية الامريكية عن طريق انشاء المجلس الروديسى المحلى برئاسة سير فردريك كروفورد •

ويشغل سير فردريك كروفورد فى الوقت الحـاضر منصب مدير الشركة المقيم فى روديسيا ، وكحاكم سابق لأوغنده استغل تجاربه فى حكم الوطنيين ، كما يعمل ك•ب•س• ألين مديرا محليا فى زامبيـا ، وحتى عهد قريب كان الوكيل الدائم لرئيس الوزراء ، وهـكذا يكافأ عمـلاء الاســتعمار على خدماتهم لاسيادهم الحقيقيين •

وقـد عـارض ب• ف• امريس ايفـــانز رئيس شركة جنـوب أفريقيـا البريطانيــة فى انشـــاء المجلس المحلى بحجـة أنه سـيؤدى الى تمتـع الادارة المحلية بدرجة كبيرة من الاستقلال الذاتى ، كما أنه سيقوى تمثيل الشركة فى زامبيا ، ومستر أمريس ايفـانز هو نفســه مدير الشركة الانجليزية الامريكية ومدير شركة ريوتنتو للزنك ، كذلك يرعى مستر أمريس ايفانز مصـالح بنك باركليز فى الدومنيون والمستعمرات وما وراء البحـار عن طريق تولى منصب المدير لذلك البنك ، وحماية لتنمية روديسيا يكفلها مقعده فى مجلس ادارة سكة حديد روديسيا ليمتد والاخير هو فرع من شركة جنوب أفريقيـا البريطانية ، ويؤكد علاقاته بامبراطورية أوبنهيمر عضويته فى لجنة لندن المتفرعة من شركة راندا المختـارة ، وقـد أدت وفاة لورد روبنز الى أن يرتفع من منصـب نائب الرئيس الى منصب رئيس مجلس ادارة شركة جنوب أفريقيا البريطانية ومن بين زملائه فى المجلس المرحوم سير هامبرو وهـارى أوبنهيمر وديرلانجيــــه والقنصل السابق الفيكونت مالفرن الذى يباركه بنك أفريقيا الوسطى التجارى وشركة التمويل الروديسية الاسكتلندية وبنك ستاندرد بجنوب أفريقيا •

وقد كرس مستر امريس ايفانز جزءا كبيرا من تقريره السنوى لعام ١٩٦٣ لنقد سياسة المجموعه لتحويل جزء كبير من الاموال خارج البلاد وعدم الاستعداد لزيادة استثماراتهم فيها . وقال ان محاولة دفع هذه التهمة بالقول بأنه تم استغلال ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ جنيه فى البلاد فى مدى العشر سنوات الماضية أى بمعدل ٠٠٠ر٠٠٠ر١ جنيه فى كل عام لا تقنع أفريقيى روديسيا الذين كانوا يعرفون جيدا أن الشركة قد حصلت كدخل لها من نحاس روديسيا الشمالية وحده فى العام ١٩٦٢/١٩٦١ على مبلغ ٠٠٠ر٩٠٠ر١٠ جنيه ، كما يعرفون أن الضرائب تذهب الى المملكة المتحدة والى جنوب أفريقيا وكما تذهب كذلك أرباح الاسهم التى امتصت فى عام ١٩٦٠/١٩٥٩ مبلغ ٨٦٣ر١٢٨ر٤ جنيه من صافى الارباح البالغة ٢٤٥ر١٤٨ر٨ جنيه بعد خصم ٠٠٠ر٠٠٠ر١ جنيه نظير هبوط قيمة الاستثمارات و ٠٠٠ر٤٠٠ر٥ للضرائب .

لقد توثقت الحلقات التى كانت تربط راند بمناجم كمبرلى أكثر وأقوى مما كان يتصور رودس عن طريق آلاف المصالح التى نشأت فى روديسيا وزامبيا ولو أن هذا كان أملة ومطمحه .

ان هذا النسيج المتشابك هو الذى يصنع حبل الجلاد الذى يحاول أن يخنق به الاستقلال الافريقى ووحدة آفريقيا السياسية .

الفصل الثانى عشر

الشركات والاتحادات

اذا أردنا أن نرسم صورة كاملة عن شبكة الشركات الاجنبية المعقدة التى تتحكم فى الوقت الحاضر فى معظم حياة القارة الافريقية الاقتصادية استحال علينا أن نفعل ذلك فى نطاق مجلد واحد ٠ ولكن الضرورة تقضى أن نشير الى أهم هذه الشركات وأن نبين ذلك فى أحوال كثيرة بالرسم ، فخلف هذا القناع الزائف من الانفصال والاستقلال نجد حلقات قوية تربط هذه الشركات الضخمة بعضها ببعض ٠

ففى أفريقيا الشرقية نجد أن امتيازات تنجانيقا تعتبر من أقوى الشركات والاسم نفسه مضلل ، لان هذه الشركة سجلت أول ما سجلت فى لندن فى أواخر يناير من عام ١٨٩٩ ٠ وتدار الشركة الآن من سالزبورى بروديسيا حيث انتقلت فى الجزء الأخير من عام ١٩٥٠ ، وبالرغم من أن العمليات فى تنجانيقا تشمل منجمين هامين للذهب وتشمل شركة تعدين وتشمل بعض التنقيب الا أنها لم يتم نموها حتى الآن ٠ وللشركة أهمية أكبر فى زامبيا حيث حصلت من شركة جنوب أفريقيا البريطانية على امتياز فى مساحة كبيرة من الارض مع بعض الحقوق للتنقيب ، ومن زامبيا انتقل نشاطها الى الكونغو حيث لها امتياز تعدين فى قطعة من الارض مساحتها ٦٠٫٠٠٠ ميل مربع حصلت عليها من لجنه كاتنجا الخاصة (بلجيكا) ٠ وفى مقابل منح امتيازات تنجانيقا حقوقا فى هذه الارض

الكونغولية الشاسعة تحصل لجنة كاتنجا على نصيب قدره ٦٠٪ من الاتاوة التى يدفعها اتحاد المناجم

ولا يجب مطلقا أن نقع فى الخطأ فنظن أن شركة امتيازات تنجانيقا قد سمحت لنفسها أن تستغلها اللجنة الخاصة ، فقد أصبحت الشركة عضوا فى اللجنة ، وكما يفعل رجال المال الحريصون الذين لا يضعون « كل البيض فى سلة واحدة » أنشئت مؤسسة جديدة لترعى هذا الامتياز الذى يعمل فى مساحة من الارض تبلغ ثلاثة أخماس مساحة غانا • هذه المؤسسة هى « اتحاد مناجم كاتنجا العليا » المعروفالذى ذاع صيته نتيجة استغلاله للكونغو هذا الاستغلال الذى لا رحمة فيه ولا هوادة •

ومن بين مصالح امتيازات تنجانيقا الاستراتيجية هذا الخط الحديدى الذى يجرى من لوبيتو باى بأنجولا حتى الحدود الفاصلة بين أنجولا والكونغو ، والذى تشغله شركة سكة حديد بنجويلا ، التى هى من خلق امتيازات تنجانيقا التى تمتلك ما قيمته ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ جنيه من أسهمها أو ما يعادل ٩٠٪ من هذه الاسهم (التى قيمة السهم الواحد ٢ جنيه) • وفى أثناء عام ١٩٦١ مدت شركة سكك حديد بنجويلا خطا فرعيا من مدينة روبرت وليمز الى اقليم المناجم فى جويما ، وقد افتتح الخط فى أغسطس ١٩٦٢ ، كذلك تمتلك امتيازات تنجانيقا ٦٠٪ من شركة صناعات الكومنولث للخشب وهى شركة ضخمة تشتغل فى الاعمال الخاصة بالغابات وفى الخشب •

ثم هناك شركة نوفوبورد (المملكة المتحدة) وهى الفرع الانجليزى لشركة أخشاب الكومنولث ، وقد استطاعت بمعاونة الشركات الافريقية بناء مصنع لشق الخشب ومصنع آخر لعمل البانوهات الخشبية وكانت طاقة المصنع الاخير ٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ قدم مربع فى البانوهات فى السنة وكان رأس المال المستغل هو ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه •

وعندما كانت امتيازات تنجانيقا على وشك أن تغير مقرها من لنـــدن الى سالزبورى أعطت تعهدا الى الخزانة البريطانية ، وكان لهذا علاقة بسياسة الحكومة البريطانية المترددة اثر انهيار اتحاد أفريقيا الوسطى • كذلك يلون هذا التعهد سلوكها تجاه الكونغو وتجاه الحكم البرتغالى فى أفريقيا ، وينص التعهد على أنه فى مدة لا تقل عن عشر سنوات لا تقوم امتيازات تنجانيقا ــ دون موافقة الخزانة البريطانية ــ ببيع أو رهن أى مصلحة لها أو جزء من مصلحة فى اتحاد مناجم كاتنجا العليا أو سكك حديد أنجولا فيما عدا حالة بيع سكك حديد أنجولا الى الحكومة البرتغالية طبقا لشروط اتفاقية الامتيازات •

ولم ينته هذا التحديد بنهاية مدة العشر سنوات اذ أضيفت مادة أخرى تنص على أنه لا يتم بيع هذه المصالح أو جزء منهــا قبــل عرض بيعهــا أولا على الخزانة البريطانية بنفس السعر ونفس الشروط المعروضة على الطرف الثالث •

ولقد كانت هذه النصوص مصدر قلق مباشر للحكومة البريطانية فى عمليات امتيازات تنجانيقا واتحاد المنــاجم وسكك حديد بنجويلا مما لابد أن يؤثر على سلوكها بالنسبة للنضال الذى تقوم به أفريقيا الجنوبية وأفريقيا الوسطى من أجل الحصول على الاســتقلال ، كذلك يؤثر ذلك بصفــة خــاصة فى العــلاقات الخاصة التى كانت قائمة بين بريطــانيا العظمى وأقــدام حلفائهــا البرتغــال • أما من وجهة نظر الشركات نفسها فان هذا من شأنه أن يشجعها نتيجة لاهتمام الحكومة البريطانيــة الخاص بالاحتفــاظ بمركزها الاستراتيجى عبر هــذا الحزام الافريقى الاوسط العظيم •

وتشترك امتيازات تنجانيقا اما اشتراكا مباشرا أو عن طريق تنجانيقــا هولدنجز فى شركة روديسيا كاتنجا التى استطاعت بمعاونتها ومعاونة شركة زامبزيا للتنقيب أن تحصل على مصالح فى منجم ذهب كاكايجا بكينيــا ، وقد حولت هذه المصالح الى مناطق الذهب بكنتــان حيث لشركة روديســيا كاتنجا ممتلكات ضخمة • وشركة روديســيا كاتنجــا مدينــة لشركة جنوب أفريقيــا البريطانية بسبب حقوق التعدين الدائمة التى منحتها لهــا الاخيرة ، ويشمل

ذلك كل المعادن بما فيها الفحم ولكنها لا تتضمن الماس أو الاحجار الكريمة ، وذلك في مساحة قدرها ٢٥٠٠ ميل مربع من زامبيا • كذلك لها حق تعدين الفحم في عشرين منطقة ـ ٣٠٠ فدان ـ في مقابل فائدة لشركة جنوب أفريقيا البريطانية قدرها ١٥٪ •

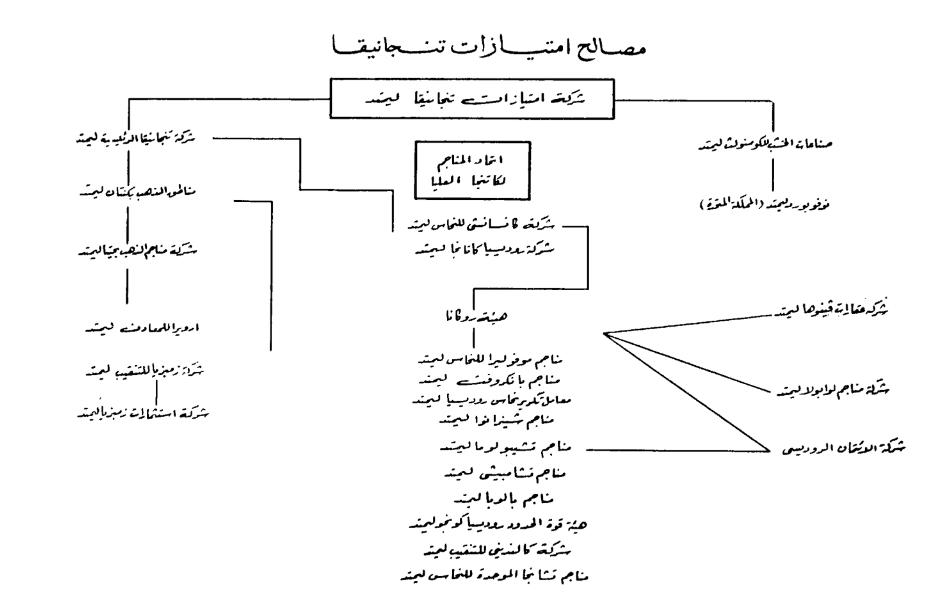
ولتكملة صورة فروع امتيازات تنجانيقا هناك شركة عقارات تنجانيقا (روديسيا) التى تمتلكها امتيازات تنجانيقا ملكية تامة وهى مسجلة بسالزبورى بروديسيا • وهى خاصة بتوفير المكاتب ومكان سكنى الموظفين وغير ذلك من الخدمات • كما أنها تقوم ببعض الاستثمارات المعينة •

وبلغت أرباح امتيازات تنجانيقا فى العام الذى انتهى فى ٣١ يوليو عام ١٩٦١ مبلغ ٣٢٥ر٢٩٦ر٣ جنيه منجملة الايرادات البالغ مقدارها ٦٦٧ر٦٢ر٤٦٢ر٤ جنيه ، وأصولها الجارية هى : ١٦٣ر٣٨٠ر٥ جنيه فى أسهم وقرض لشركة أخشاب الكومنولث و ٧٩٣ر٣١٧ر١ جنيه فى تنجانيقا هولدنجز و ٦٢٩ر١٠٩ر٤ جنيه فى اتحاد المناجم وسوف نتكلم عن فروع هذا الاتحاد فى فصل تال •

ويبين الشكل التالى ـ صفحة ١٩٩ ـ شبكة شركة امتيازات تنجانيقا المعقدة المتشعبة •

بعد ذلك نأتى الى شركة أفريقيا الجنوبية الغربية فنجد أن الشركة الانجليزية وشركة مناجم الذهب المتحدة قد كونتا اتحادا لاستغلال جزء كبير من ثروة جنوبى أفريقيا •

وقد سجلت شركة أفريقيا الجنوبية الغربية فى لندن يوم ١٨ أغسطس سنة ١٨٩٢ ومنحت حق التنقيب والتعدين فى أرض مساحتها ٣٠٠٠ ميل مربع فى أفريقيا الجنوبية الغربية لمدة خمس سنوات تبدأ من ٢ يناير سنة ١٩٤٢ ويتجدد هذا الحق حتى ٢ يناير سنة ١٩٦٧ • وتمتلك الشركة كذلك أراضى أخرى للتعدين فى جهات متفرقة من أفريقيا الجنوبية الغربية • وهى تنتج القصدير والزنك والرصاص المركز •


مصالح امتيازات تنجانيقا
شركة امتيازات تنجانيقا ليمتد
صناعات الخشب للكومنولث ليمتد
فوفو بور ليمتد (المملكة المتحدة)
اتحاد المناجم لكاتنجا العليا
شركة تنجانيقا الزئبقية ليمتد
مناطق الذهب بكنتان ليمتد
شركة مناجم الذهب بجيا ليمتد
اوروبا للمعادن ليمتد
شركة زمبزيا للتنقيب ليمتد
شركة استثمارات زمبزيا ليمتد
شركة كانسانشي للنحاس ليمتد
شركة روديسيا كاتانجا ليمتد
هيئة روكانا
مناجم موفوليرا للنحاس ليمتد
مناجم بانكروفت ليمتد
معامل تكرير نحاس روديسيا ليمتد
مناجم شيزا نوا ليمتد
مناجم تشيبولوما ليمتد
مناجم تشامبيشي ليمتد
مناجم بالوبا ليمتد
هيئة قوة الحدود روديسيا كونجو ليمتد
شركة كالنديي للتنقيب ليمتد
مناجم تشانجا الموحدة للنحاس ليمتد
شركة حفارة فينوها ليمتد
شركة مناجم لوابولا ليمتد
شركة الاتحاد الروديسي

ولكن مساحات كبيرة مثل هذه التى تمتلكها شركة أفريقيا الجنوبية الغربية يلزمها رأس مال ضخم لاستغلالها ولتشجيع التحالف بينها وبين المجموعات الراغبة فى السيطرة على الانتاج والتوزيع وبعد ذلك فى السيطرة على أسعار المواد الخام ، ولا يقتصر الامر على ذلك بل أنه يسهل التقريب بين عمليات المؤسسات المتحدة ·

ولتحقيق هذه السياسة قامت شركة أفريقيا الجنوبية الغربية بتوقيع اتفاقية مع شركة مناجم الذهب الانجليزية الامريكية المتحدة منحتها بمقتضاها ايجارا من الباطن لبعض حقوقها بشأن التنقيب والاستغلال فى جزء من أراضيها ·

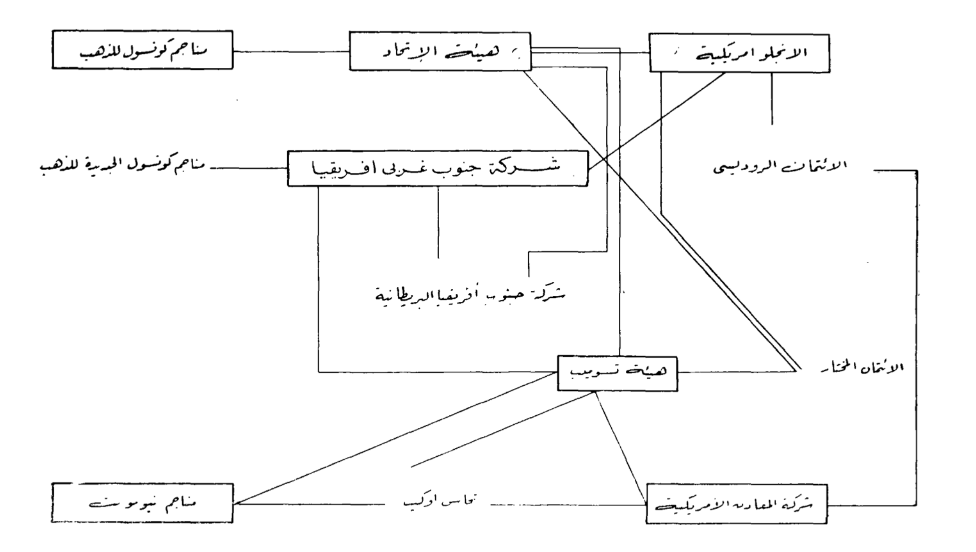
أنظر الرسم فى صفحة ٢٠١ :

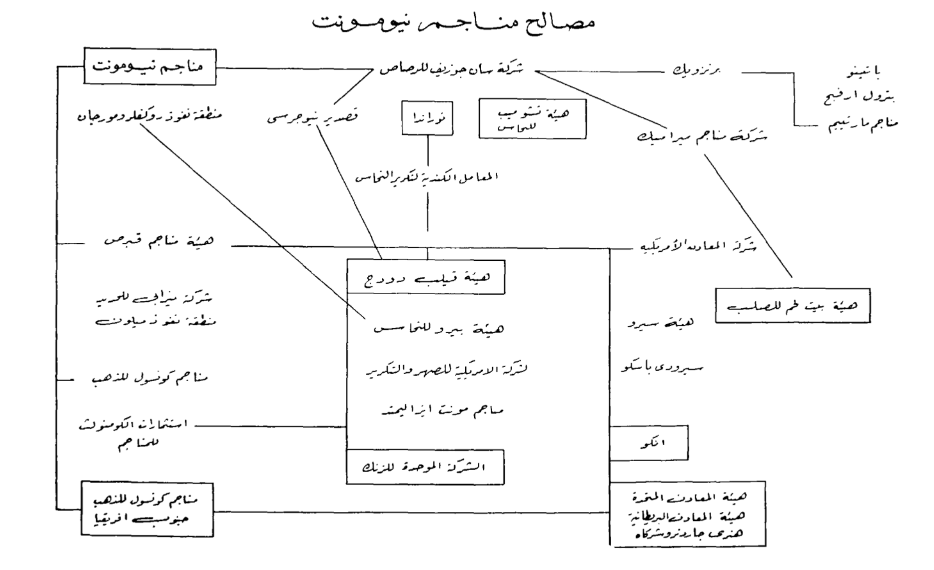
أما شركة نيومونت للتعدين فقد تكونت فى ديلاوير بالولايات المتحدة فى ٢ مايو سنة ١٩٢١ ، وكان هدف الشركة هو الحصول على عقارات للتعدين وتحويلها وتشغيلها ، ولهذا الغرض رخص لها برأس مال (على شكل أسهم) قدره ٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ، وصدرت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦١ ما قيمته ٢٫٨٢٤٫٥١٨ سهم من جملة الاسهم المرخص لها بها وقدرها ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ سهم قيمة كل سهم عشرة دولارات · ويقوم بعمليتى التنقيب والتعدين شركة نيومونت للتنقيب ليمتد (ديلاوير) وشركة نيومونت للتعدين بكندا وشركة نيومونت بجنوب أفريقيا ·

ويبين الرسم الموضح فى صفحة ٢٠٢ مدى تشعب مصالحها ·

ولقد صادفنا حتى الآن بعض شركات ريوتنتو فى زامبيا وفى روديسيا كما مسسنا بعض الشركات الاخرى المتصلة بالجمعية العامة لبلجيكا المتصلة بدورها بمؤسسات شمال أفريقيا المالية والصناعية ·

ان شبكة ريوتنتو لا يمكن أن يغفلها انسان عند محاولة شرح تشعب مؤسسات عالم التعدين الدولى ؛ انها تمتد من المملكة المتحدة عبر أسبانيا الى أفريقيا وفوق المحيط الاطلسى الى كندا والولايات المتحدة ولها فروع فى ألمانيا وبلجيكا والنمسا واستراليا وغيرها ·


مصالح شركة جنوب غربي أفريقيا
الانجلو امريكية
هيئة الإتحاد
مناجم كونسول للذهب
شركة جنوب غربي افريقيا
مناجم كونسول الجديدة للذهب
الائتمان الروديسي
شركة جنوب أفريقيا البريطانية
الائتمان المختار
هيئة تسويب
مناجم نيوموسنت
نحاس اوكيب
شركة المعادن الأمريكية



مصالح مناجم نيومونت
مناجم نيومونت
شركة سان جوزيف للرصاص
برنزويك
باتينو
بترول ارفنج
مناجم مارنيم
منطقة نفوذ روكفلر ومورجان
تصدير نيوجرسى
نورانda
هيئة تشوميب للنحاس
شركة مناجم سيراميك
المعامل الكندية لتكرير النحاس
هيئة مناجم قبرص
شركة المعادن الأمريكية
هيئة فيلبس دودج
هيئة بيت لحم للصلب
شركة ميزابى للحديد
منطقة نفوذ ميلون
هيئة بيرو للنحاس
هيئة سيرو
الشركة الامريكية للصهر والتكرير
سيرودى باسكو
مناجم كونسول للذهب
مناجم مونت ايزاليمت
استثمارات الكومنولث للمناجم
انكو
الشركة الموحدة للزنك
مناجم كونسول للذهب جنوب افريقيا
هيئة المعادن المتحدة
هيئة المعادن البريطانية
هنرى جاردنر وشركاه

ونجد أيدى الشركة الانجليزية الامريكيــة وشركة الزنك المتحــدة ومجموعات الالومنيوم التى تحيط بالعالم ــ نجد هذه الايدى جميعها متشابكة داخلهــا كما نجد فى مقاعد مديريها ممثلين لاتحادات الشركات بالكونغو ، انها تحمل أســماء ارستقراطية مثل روتشيلد وكافنديس بنتنك .

وبالرغم من أن عملها الاصلى كان تعدين الكبريتور الطبيعى فى اسبانيــا الا أن شركة ريوتنتو تسجلت فى لندن عام ١٨٧٣ ، وحتىتساير الزمن وتساير الاتجاهات الســائدة نحو تكوين الاتحــادات والاحتكارات فقــد مرت الشركة بتعديلات وتغييرات معينة . فكان مديروها من أشد المتحمسين المؤيدين للجنرال فرانكو فى أثناء الحرب الاسبانية الاهلية . وهذا الولاء لقضية اسبانيا هيأ لها الرخاء هى والشركات المرتبطة بها فى المجــال المالى الاوســع بحيث أمكنهــا أن تمد أذرعهــا عن طريق صناعة الزنك وصناعة الالومنيوم الى صناعة المعــادن النفيسة والى ميدان المعادن العامة .

وفى عــام ١٩٥٤ حولت شركة ريوتنتو أصولهــا فى اســبانيا الى شركة كونتها فى أسبانيا برأس مال قدره ١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ بست باســم الشركة الاسبانية لمناجم ريوتنتو ــ شركة مساهمة Companhia Espanola de Minas de Rio Tinto S. A. ومكافأة لها على وطنيتها الاسبانية منحت مبلغ ٣٦ر٦٦٦ر٨٣٠ بست عند حساب الارباح المتراكمة حتى أول يناير ســنة ١٩٥٤ كما منحت كل الاسهم حرف « ب » وعددها ٣٣٣ر٣٣٣ ســهم سعر كل منهــا ١٠٠٠ بست . وبالاضافة الى ذلك كوفئت بمبلغ ٧ر٦٦٦ر٦٦٥ جنيه استرلينى وما زالت شركة ريوتنتو تتقاضى أتعابا نظير تقديم خدمات فنية وتجــارية فى لندن للشركة الاسبانية التى ما زالت ملكيتها لكل أسهمها حرف « ب » تعطيها فائدة مباشرة .

وتعتبر شركة ريوتنتو شركة استثمارات جعلتها عملياتها المالية تقفز الى مقدمة شركات المقاولات الصناعية ، وتعتبر أفريقيا أحد مجــالات نشــاطهــا ، ونجد أن معظم ممتلكاتها فى هذه القارة موجودة فى شركة روكانا وشركة مناجم

نحاس تشانجا حيث نراها مرتبطة مع شركة جنوب أفريقيا البريطانية والشركة الانجليزية الامريكية وشركة الاتحاد (يونيون) وامتيـازات تنجانيقا واتحـاد المناجم وشركة راند المختـارة ـ وذلك فى مشروعات التعـدين والمشروعات الصناعية فى روديسيا وفى جنوب افريقيا ٠

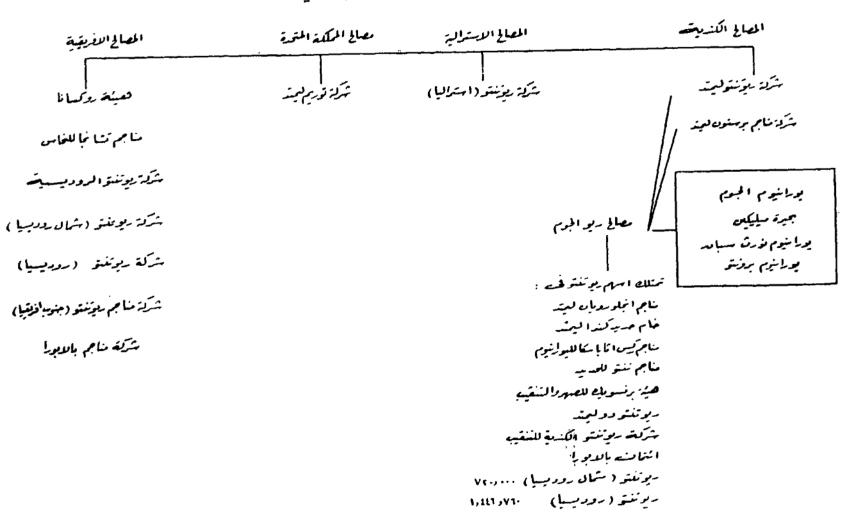
ان الحلقات التى تربط مجموعات الشركات التى تقوم باستغـلال موارد القارة الافريقية بمجموعات الشركات التى تستهدف الثراء فى أركان العـالم الاخرى ملتوية وملتفة ومتسعة لدرجة أننا لا ندهش أن نجد شركة ريوتنتو فى أفريقيا عن طريق مصالحها المـالية الامريكية والبريطانية القوية تكون شركة ريوتنتو فى كندا ٠

ومن بين ما تقوم به الشركات الاحتكارية أنها تحول بين الجماعات المتنافسة وبين الدخول الى المناطق الجديدة أو المناطق التى لم تكتشف بعد ، فاذا رأت أن هذا مصيره الفشل أو أنه مستحيل عمدت الى التعاون مع هذه الشركات المنافسة وسوف نرى فى فصل قادم كيف أجبرت شركة الدورادو الكندية اتحاد المناجم الى خفض أسعار اليورانيوم ثم كيف تتقابل مصالحهما عند تمثيل مناجم سوج فى مجلس ادارة الشركة الاولى ٠ ففى عالم المشروعات الغربيـة الحرة تنعـدم المنافسة عن طريق الدور الذى يلعبه الاحتكار ، دور المغامر الوحيد ٠

وهكذا تؤدى الثـروات الافريقيـة الى تشعب رأس المال الدولى ٠ فبين الجمعية العامة وبين ريوتنتو توجد عصابة ضخمة ذات قوى متشابكة تتسـلل خفية عبر العالم ٠

ويوضح الشـكل التـالى صفحة ٢٠٥ تشعبات شركة ريوتنتو وحلقاتهـا المتداخلة ٠

وعندما أرادت شركة ريوتنتو اقتحـام عالم الالومنيوم كونت اتحـادا مع شركة الزنك المتحـدة ، وقد يبدو ظاهريا أن هـذا الاتحاد يجمع بين مجموعتين قويتين لا تجمعهما روابط مشتركة ، ولكن مظهر الانفصال الشكلى هذا لا يضلل


شركة ريوتنتو ليمتد
المصالح الكندية
المصالح الاسترالية
مصالح المملكة المتحدة
المصالح الافريقية
شركة ريوتنتو ليمتد
شركة مناجم برسنون ليمتد
يورانيوم الجوم
بحيرة ميليكين
يورانيوم نورث سبان
يورانيوم بروتنتو
مصالح ريو الجوم
تمتلك اسهم ريوتنتو في :
مناجم انجلو روديان ليمتد
خام حديد كندا ليمتد
مناجم كيس اتا باسكا لليورانيوم
مناجم تنتو للحديد
هيئة برنسويك للصهر والتنقيب
ريوتنتو دو ليمتد
شركة ريوتنتو الكندية للتنقيب
ائتمانات بالابورا
ريوتنتو (شمال روديسيا) ٧٢٠،٠٠٠
ريوتنتو (روديسيا) ١،٤٤٦،٧٦٠
شركة ريوتنتو (استراليا)
شركة توريم ليمتد
تصفية روكسانا
مناجم تشانجا للنحاس
شركة ريوتنتو الروديسية
شركة ريوتنتو (شمال روديسيا)
شركة ريوتنتو (روديسيا)
شركة مناجم ريوتنتو (جنوب افريقيا)
شركة مناجم بالابورا

الا الجاهل ، وتنجلى هذه الخدعة أثر نظرة واحدة الى ادارتها المرتبطة التى توضح لنا فى الحال ارتباطاتها مع التعدين ومع المصـالح الماليـة فى جنوب أفريقيـا ، فنجد أن امريس ايفانز هو عضو بارز وأن لورد بايليو هو نائب رئيس مجلس الادارة لشركة التعـدين والاستثمـارات المركزية ، والاخـيرة هى أحد بيوتات الاستثمار الماليـة البارزة الذى يدخـل ضمن مجموعـة الشركات الانجـليزية الامريكية التى يديرها مستر هارى أوبنهيمر ومستر انجلهارد ، ومستر أمريس ايفانز يحتل مكانة هامة حيث يشغل منصب نائب رئيس شركة جنوب أفريقيا البريطانية ومنصب مدير الشركة الانجليزية الامريكية ٠

ومع ذلك فالروابط تمتد الى أبعد من ذلك ٠ فبمقتضى اتفاقية بتـاريخ ٧ ديسمبر سنة ١٩٦٠ اكتتبت شركة ممتلكات جنوب أفريقيا البريطانية وبعض الشركات المتصلة بها بمبلغ ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فى شركة الزنك المتحدة على شكل قرض بفائدة ٥½٪ فى مقابل الحصول على ٢٫٢٨٥٫٧١٤ سـهم عـادى قيمة السهم الاسمية هى جنيه واحد من شركة الزنك المتحدة بسعر ٨٧ شـلنا و ٦ بنس للسهم الواحد ٠ وهنا ندخل فى متاهة سياسـات الالومنيوم المالية المتشابكة التى كونتها شركة الزنك المتحدة باتحادها مع شركة كايزر للالومنيوم والشركة الكيماوية وشركة ألومنيوم الكومنولث المعروفة باسم كوماكلو Comalco والعرض الذى حصلت عليه شركة ممتلكات جنوب أفريقيا البريطانية يمكن أن يدخل فى حيز التنفيذ فى أى وقت بين أول يونيو ١٩٦٦ وبين أول يوليو ١٩٦٨ أو التاريخ الذى تنتج فيه شركة الكومنولث أو توابعهـا ما جملته ٢٠٠٫٠٠٠ طن طولى من سبائك الالومنيوم فى مصنع التكرير الجـديد الذى تقيمـه شركة كومالكو ـ أى التاريخين أبعد ٠

وتقع مصـانع كايزر للالومنيوم الاسـاسية فى شركة كايزر كلبولسيت بجامايكا التى هى ملك الشركة الاولى ، وبالاضافة الى نشاط كايزر فى مجـال التعدين فهى تقوم بعمليات التنقيب وبالمصانع الكيماوية فى الولايات المتحـدة وفى كندا كما أن لها استثمارات فى الالومنيوم والتعدين وفى تسويق المصنوعات

فى المملكة المتحدة وأمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا • وهى تعمل عن طريق فرعين لها هما : شركة كايزر للالومنيوم والمبيعات الكيماوية وشركة كايزر الدولية للالومنيوم • وكما فعلت شركة رينولدز للمعادن اقتحمت شركة كايزر للالومنيوم ميدان صناعة الالومنيوم فى الولايات المتحدة تحت ضغط مطالب الحرب للحصول على ألومنيوم الطائرات ، وقبل الحرب العالمية الثانية كانت شركة أمريكا للالومنيوم ـ الكوا ALCOA ـ هى المنتج المحلى الوحيد للالومنيوم

ولشركة الزنك المتحدة ـ التى يبلغ رأس المال المصرح لها به ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ـ مصالح واسعة تجعلها تسيطر سيطرة قوية على عدد من المعادن الهامة والمنتجات الكيماوية • ولقد تأسست منذ أقل من خمس عشرة سنة ـ فى فبراير ١٩٤٩ ـ وكانت أغراضها النهوض وتوسيع وتنفيذ وتمويل ـ سواء بنفسها أو عن طريق فروعها أو الشركات المتصلة بها ـ وتنمية وتوسيع وتنفيذ تعدين الرصاص والزنك أو غيرهما وكذلك الصناعات المتصلة بانتاج المواد الاولية وأيضا عمليات السباكة والتكرير والصناعات المتصلة بها فى جميع أنحاء العالم وخاصة فى الكومنولث •

ويبدو أن هذا كله لا صلة له بأفريقيا • ولكن نظرة واحدة الى بعض الادارات تكشف لنا فى الحال الحلقات الوثيقة التى تربطها بشبكة أوبنهيمر والجماعات المالية المتصلة بالاخيرة •

هذه هى مصالح الذهب الضخمة الموجودة خلف اتحاد شركتى الزنك المتحدة وريوتنتو • وقد تم انشاء الشركة الجديدة اثر عملية مالية أعطت حامل أسهم شركة الزنك المتحدة ٥٨ سهما عادية ـ قيمة كل سهم ١٠ شلنات ـ من أسهم الشركة الجديدة فى مقابل ٢٠ سهما ـ قيمة كل سهم جنيه ـ من أسهم شركة الزنك المتحدة • كما حصل حاملو أسهم ريوتنتو على ٤١ سهم ـ قيمة كل سهم ١٠ شلنات ـ من أسهم الشركة الجديدة فى مقابل الحصول على ٢٠ سهما ـ قيمة كل سهم ١٠ شلنات ـ من أسهم شركة ريوتنتو • كذلك تبادل حاملو الاسهم الممتازة فى كل من الشركتين أسهمها الممتازة بأسهم ممتازة فى الشركة الجديدة •

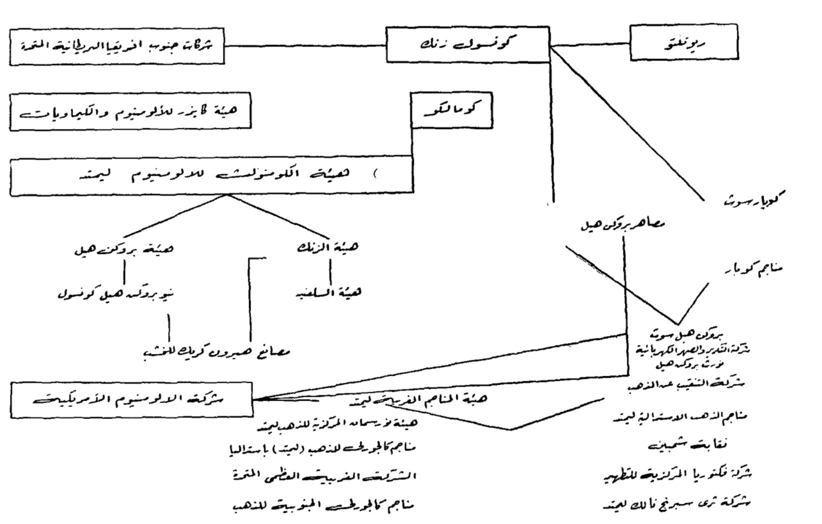
وقد أسفر توحيد الشركتين عن تصدر شركة ريوتنتو للزنك لميدان الالومنيوم وتقوية مركزها فى مجالات الزنك والرصاص والمعادن غير الحديدية . كذلك كان من نتيجة هذا التوحيد دخول شركة الزنك المتحدة الى ميدان التنقيب عن المعادن فى أفريقيا بسبب ملكية ريوتنتو لبعض الشركات الرئيسية التى تعمل فى جنوب أفريقيا وفى روديسيا وغيرهما ٠ وتتضح الصلات التى تربطها بالمصالح الامريكية والكندية والاسترالية ـ الصناعية والمالية ـ من العرض الموجز السابق ٠ وعن طريق هذه المصالح تمتلك الشركة الموحدة ـ ريوتنتو / زنك ـ خيوطا تربطها مرة أخرى باالقارة الافريقية ٠

ويوضح الرسم التالى شبكة شركة الزنك المتحدة وما يتفرع منها من شركات وميادين عملياتها المتنوعة المتشعبة :

وهناك بعض المواد النادرة التى تستخدم فى الصناعات الاساسية والصناعات الثانوية ، ومن بين هذه المواد الاسبستوس والياقوت (أوكسيد الالومنيوم البلورى) والمايكا والفيرميكيوليت وصخور الفوسفات وسلفات الكلس والصباغات المعدنية وفلوريد الجير والسيليكا ٠ وأهم هذه كلها الاسبستوس ، وهو يوجد فى ألياف رئيسية ثلاثة : الكريزوليت والكروسيدوليت أو الاسبستوس الازرق والاموزيت ، وهذه الالياف الثلاثة لها خصائص مشتركة ، فكلها غير قابلة للاشتعال وغير موصلة للحرارة والكهرباء ولا تذوب فى الاحماض ويمكن نسجها لصناعة المنسوجات ٠

ان الفروق الطفيفة التى بين خصائص هذه الانواع هى التى تحدد فوائدها المختلفة ٠ فالكريزوليت هو أشدها مقاومة للنار ثم ان طبيعته القوية المرنة تجعله صالحا كل الصلاحية لعمل المنسوجات الاسبستوس ولصنع تيل الفرامل والمواد العازلة ، كذلك يستعمل لصنع ألواح الاسبستوس ومنتجات أسمنت الاسبستوس ، ويتميز الاسبستوس الازرق بقوة الشد وطاقة المرونة وبالرغم من أنه لا يقاوم النار كثيرا الا أنه يتحمل الاحماض ومياه البحر ، وأهم ما يستخدم،

شـركات الـزنك المتـحدة

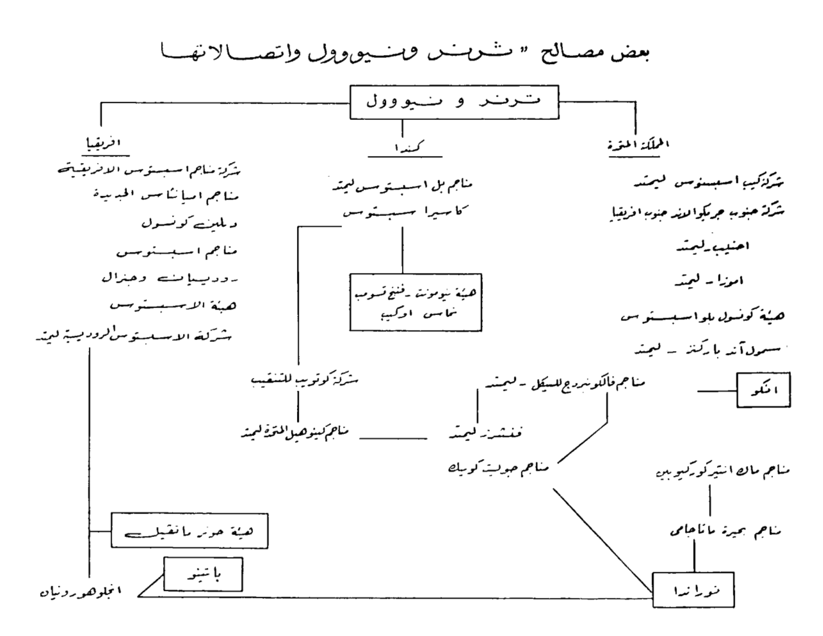


فيه صنع قماش الفلترات والغلايات والمواد العازلة ومنتجات أسمنت الاسبستوس ، ويتميز الاموزيت بطول التيلة ـ من ٣ الى ٦ بوصات ـ وهو أشد مقاومة للحرارة من الكريزوليت وأشد مقاومة لمياه البحر من الاسبستوس الازرق ، وهذه الخصائص تجعله صالحا بصفة خاصة للمواد المنسوجة وللطيران ، وتعتبر جنوب أفريقيا فى الوقت الحاضر المكان الوحيد الذى يوجد فيه كل من الاسبستوس الازرق والاموزيت ، أما كندا فتعتبر أكبر منتج للكريزوليت ، وتعتبر جنوب أفريقيا وروديسيا أقلها انتاجا للصنف الاخير ٠

وتوجد هذه المواد أكثر ما توجد فى سوازيلاند وفى الترانسفال الشرقية وتسيطر عليها فعليا الشركة البريطانية المسماة تريز ونيودول المسجلة عام ١٩٢٠ والتى تمتلك ٩٠٪ من تجارة الاسبستوس البريطانية ، وقد أتاحت لها هذه الظاهرة أن تعقد مع الاتحاد السوفييتى اتفاقية فى عام ١٩٣٠ بشأن تنظيم الكميات المرسلة الى أسواق القارة ، وقد توقف الاتحاد السوفييتى ـ الذى يعتبر أهم منتج للكريزوليت من النوع العالى ـ عن تصدير هذا الصنف عقب الحرب العالمية الثانية ٠

ويرأس مجلس ادارة شركة ترنر وينووول مستر رونالد سكوتهيل القوى الصلة بعالم التأمين ، فهو مدير شركة ليفربول وجلوب للتأمين ومدير شركة رويال للتأمين ، كما أنه متصل بعالم المال حيث أنه مدير بنك دستريكت ، ويبلغ رأس مال الشركة المرخص به ٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه دفع منه مبلغ ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ٠ وكان رأس المال الاصلى ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه وتدل الزيادة الضخمة التى طرأت على رأس المال على نمو سيطرة الشركة وتحكمها فى تعدين الاسبستوس وغيره ٠

وتتضح أهمية دلالة ارتفاع رأس المال اذا نظرنا الى الشركة فى ضوء المملكة التى تسيطر عليها ، هذه المملكة ذات الجذور العميقة فى أفريقيا وكندا ، ولها شبكة كبرى من الفروع فى جميع انحاء العالم لبيع الاسبستوس والمانيزيا وغيرهما من المنتجات ٠



بعض مصالح " ترنر ونيوول واتصالاتها
ترنر و نيوول
المملكة المتحدة
كندا
افريقيا
شركة كيب اسبستوس ليمتد
شركة جنوب جريكوالاند جنوب افريقيا
اجنيب ليمتد
اموزا - ليمتد
هيئة كونسول بلو اسبستوس
سمول آند باركنز - ليمتد
اتكو
مناجم بل اسبستوس ليمتد
كاسيرا اسبستوس
هيئة نيومونت - فنيج تسوب نحاس اوكيب
شركة كوتويب للتنقيب
مناجم كينو هيل المتحدة ليمتد
مناجم فالكونبردج للنيكل - ليمتد
فنشرز ليمتد
مناجم جوليت كويك
مناجم مال انستير كوركيوبين
مناجم بحيرة ماناجامي
نورانادا
شركة مناجم اسبستوس الافريقية
مناجم امياناس الجديدة
دبلين كونسول
مناجم اسبستوس
روديسيان وجنرال
هيئة الاسبستوس
شركة الاسبستوس الروديسية ليمتد
هيئة جونز مانفيل
باتينو
انجلو هوروتيان

وقد أسفر بحث أجرى حديثا على أن ٦٠ ـ ٧٠٪ من جملة تجارة العالم يسيطر على نشاطها أقل من ٢٪ من عدد شركات العالم ٠ وأضخم مثل لذلك هو شركة يونيليفر ذات السيطرة الاحتكارية العليا ٠

ولا تعرف ملايين ربات البيوت شيئا اسمه يونيليفر ، ولكنهن يجدن أنفسهن يخترن اما ليفبوى أو لكس ، اما بسودنت أو جيبس، أو أومو أو سيرف أو يشترين شاى لبتون ، أو يشترين سجق والز أو يشترين أغذية بيردز آى المحفوظة أو فلاى توكس أو زبدة ستورك أو أدوات تجميل هاريت هابر آير ٠ أما من وجهة نظر دافع الضرائب فانه لا ينظر الى يونيليفر على أنها وحدة واحدة ولكنه ينظر اليها على أنها شركتان منفصلتان ، هما شركة يونيليفر ليمتد ـ الشركة البريطانية ، وشركة يونيليفر الشركة الهولندية ، ولها فروع منتشرة فى أوروبا : بلجيكا والنمسا والدنمرك وألمانيا وفنلندة وايطاليا والسويد وسويسرا ، وفى كل هذه الدول تقوم الشركة بالسيطرة أو التحكم فى الشوربات والاطعمة المجمدة والصابون والزبد والمبيدات الحشرية وأدوات التجميل وزيوت الطعام ٠ كذلك تتمتع الشركة بامتيازات قوية فى أمريكا اللاتينية وفى غرب ووسط وجنوب أفريقيا وفى الهند وسيلان وملايزياوترنداد وتايلاند والفلبين ٠

ومن أهم الشركات المتفرعة من شركة يونيليفر وأقواها شركة أفريقيا المتحدة التى تعرف باسم «الملك غير المتوج لافريقيا الغربية» وتعتبر شركة أفريقيا المتحدة من أوسع الشركات التجارية العالمية ، وعلى خلاف الاعتقاد السائد بأن تحرر المستعمرات وحصولها على حريتها سيؤدى تلقائيا الى القضاء على سيطرة واحتكار رأس المال ، فاننا نجد الواقع يثبت أن امبراطورية يونيليفر ما زالت مستمرة فى ازدهارها ، وما هذا الا لانها عرفت كيف تكيف سياستها حتى تساير تحديات الزمن ، وعلى هذا قامت شركة يونيليفر بتطبيق أهدافها الخاصة بتحقيق الارباح على قطاعات أكثر مناسبة ، فسارت بالانسحاب من تجارة الانتاج بغرب أفريقيا وركزت جهودها على السيارات وعلى تجارة الادوات

الهندسية والمواد الكيماوية ، ولا يقتصر هدف الاستعمار الجديد على تصدير رأس المال بل يتعدى ذلك الى السيطرة على الاسواق فيما وراء البحار ولذلك تبذل المجهودات بحذق على منع الدول النامية من اتخاذ خطوات حاسمة نحو التصنيع، حيث أن استغلال الاسواق الوطنية أصبح الهدف الاول للاستعمار الجديد ، واذا ما باءت هذه المجهودات الخاصة بمنع التصنيع بالفشل تعمد الشركة الى أن تشترك بأى ثمن فى المشروعات التى لم تستطع منعها ، وعن طريق هذا الاشتراك تعمل على اعاقة تحقيق أى تقدم عن طريق ما تدفعه بانتظام على صورة أتاوات ومعونة فنية وغيرها من الخدمات وكذلك تعطى أولوية لعمليات التغليف والتجميع التى تتم تحت ستار أنها عمليات تقوم بها شركات وطنية ، ولم يكن اهتمام شركة يونيليفر فى الوقت الحاضر بالصناعات الخاصة بالتغليف هو نتيجة الصدفة المحضة ٠

وتعتمد الشركات الحديثة على بعض بنود فى اتفاقياتها أكثر من اعتمادها على أرباح الاسهم ، لان هذه البنود تستهدف وضع رأس المال الوطنى تحت سيطرة رأس المال المحتكر وتجعله معتمدا عليه عند تجديد العقود وعند رصد المبالغ ٠ ومما هو جدير بالملاحظة أن نقرأ فى العدد الحديث من صحيفة «نيوكومنولث» أنها تشير الى شركة أفريقيا المتحدة على أنها « عملاق رقيق »٠ وقد أصبحت أساليب الاحتكار فى الوقت الحاضر أكثر احتيالا ومكرا مماكانت عليه فى الماضى ، ولكن ما زال التصريح المعروف الذى صرحت به شركة ليفر قائما كحقيقة واقعة : « وان ننسى فلا ننسى أننا نعمل جميعا من أجل مصلحة بريطانيا الدائمة ٠ »

الفصل الثالث عشر

عمالقة القصدير والألمنيوم والنيكل

ان امبراطورية باتينو للتصدير بكندا وما يتصل بها من شركات تنتشر من أمريكا الجنوبية الى المملكة المتحدة وأمريكا الشمالية ثم عبر أفريقيا الى المحيط الهادى وآسيا ، ويبلغ رأس مالها ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ دولار وقد أصدرت ٨٣٩ر٩٧١ر١ سهم قيمة كل سهم دولاران . ويمتلك ٢ر٤٧٪ منها بيت من بيوت بنما المالية التى تدخل ضمن مجموعة باتينو وهو Compania de Bonos Accions y Negocios Industriales أو بالاختصار COBANISA وبشراء باتينو لاسهم شركة استثمارات التصدير العامة فى عام ١٩٦٢ تكون قد دخلت فى عالم تعدين القصدير الذى تقوم به المملكة المتحدة . وتمتلك شركة استثمارات التصدير العامة أسهما فى التعدين والتمويل وفى الشركات الصناعية ، وأهم ما تعمل فيه هو صناعة القصدير ، وهى تقوم بعمليات التمويل عن طريق فرعها الذى تمتلكه ملكية تامة : تأمينات المعادن العامة (لندن) ، ويرأس أ. باتينو مجلس ادارة الشركتين ، ومن بين زملائه كونت ج. دى بواسبوفراى وأورتيز لينار و أ.ر.أ كارتر ، والاخير هو رئيس شركة برنزويك للتعدين والسباكة ورئيس عدة شركات أخرى لها صلة بمجموعة باتينو ، وتقع برنزويك فى مجال نفوذ مورجان عن طريق شركة سان جوزيف للرصاص ،

ونحن نعرف أن مناجم سوجمينز لها استمثارات فى مناجم برنزويك الجديدة ٠ ان الصلات التى تربط شركات الجمعية البلجيكية الأفريقية العامة بكل الشركات الاحتكارية المالية فى جميع أنحاء العالم آخذة فى التزايد ٠

وتغطى ،ستثمارات باتينو المباشرة فى كندا ممتلكات ضخمة فى مناجم تشيبوجاما للنحاس التابعة لشركة راند وفى مناجم ادفوكيت وفى شركة برنزويك للتعدين ، وعن طريق الحيل المالية أمكن توحيد شركات المجموعة الكندية الرئيسية فى عام ١٩٦٠ ، وقد تم هذا بواسطة عقد اتفاقية بين شركة راند للنحاس ومناجم بنيسنج ومناجم تشيبوجاما جاكيوليه ومناجم جزيرة بورتاج وشركة باتينو بكندا وبانكومنت وشركاه ـ والاخيرة هى أحد البيوت المالية ، والنحاس هو أهم المعادن المنتجة وان كان الذهب والفضة يدخلان فى الانتاج أيضا ، وتغطى الاراضى التى تعمل فيها شركة راند للنحاس مساحة قدرها ١٠ر٠٠٠ فدان وتتمتع الشركة بأربعة امتيازات ، أما جزيرة بورتاج فهى شركة من شركات راند للنحاس وتعمل فى النحاس والذهب فى حين أن منجم جاكيوليه ينتج النحاس فقط ٠

أما نبيسنج فهى تدخل فى الصورة بمساهمتها المالية فى تنمية ممتلكات جزيرة بورتاج ، وهى تمتلك عددا من حقوق التعدين فى كويبك كما تمتلك أيضا أسهما متنوعة ٠ وتتفرع عملياتها لتصل الى الولايات المتحدة عن طريق فرعها الذى تمتلكه ملكية تامة : شركة ابالاشيان سلفيدز ، وللاخيرة حق تعدين الخام فى ولايتى فيرمونت ونورث كارولينا ، وقد دخلت بيبسنج ميدان شركة برنزويك للتعدين عندما حصلت من أحد فروع باتينو ـ الشركة المتحدة لمناجم باتينو والمشروعات ـ على ١٤٣ر١٣٧ سهم وما قيمته ٤٢٩ر٥٣٧ دولار من سندات برنزويك ذات الـ ٥٪ بينما أعطت باتينو ١٤٥ر٠٦١ر١ سهم من أسهم نبيسنج وكان من نتيجة ممتلكات باتينو تشيبوجاما وصلتها بشركة التعدين البحرية وشركة أرفنج للبترول أن امتدت امبراطورية باتينو الى ميادين أخرى غير ميدان القصدير ٠

وقد استطاعت شركات باتينو القوية للتعدين والتمويل ، هذه الشركات الامريكية والبلجيكية ، أن تتصل بشركة باتينو بكندا للقيام بالتنقيب عن المعادن فى مساحة قدرها ٧٥٠ ميلا مربعا على الساحل الشمالى الشرقى لنيوفوندلاند طبقا لحق ممنوع لشركة ادفوكيت ، وفى نهاية عام ١٩٦٠ ثبت وجود احتياطى خام يقدر بـ ٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠ طنا ، وتقوم شركة ادفوكيت بانتاج الاسبستوس طبقا لمشروع تضطلع به شركة باتينو بكندا متعاونة مع شركة جون مانفيل الكندية وشركة أميت والشركة المالية البلجيكية للاسبستوس والاسمنت ، وقد وافق المساهمون على تزويد شركة ادفوكيت بمبلغ ١٧٫٩٠٠٫٠٠٠ دولار ٠ فساهمت شركة جون مانفيل الكندية بـ ٤٩٫٦٢٪ وساهمت باتينو بـ ١٧٫٣٪ وساهمت أميت وفينانسيير بلج بـ ١٦٫٥٤٪ لكل منهما ٠ وبلغ رأس مال شركة ادفوكيت ٢٣٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وتساهم الاطراف المشتركة فى الاتفاقية فى رأس المال بنسبة المبالغ التى ساهمت بها ٠

وشركة جون مانفيل الكندية المرتبطة بالبنك الامبراطورى التجارى — الذى هو أكبر بنوك كندا والذى يتولى جون مانفيل منصب مديره — هى فرع تمتلكه شركة جون مانفيل بالولايات المتحدة ملكية تامة ٠ وأهم ما تهتم به هو الاسبستوس الذى يستخدم فى مواد البناء والمواد الصناعية ، وهى التى تتولى ادارة شركة ادفوكيت ولها معظم المصالح وكذا السيطرة على ادارة شركة كوالنجا للاسبستوس بكاليفورنيا بالولايات المتحدة ، والشركة الأخيرة هى شركة يشترك فى ملكيتها شركة كيرى كونتى لاند ، وتقوم شركة جون مانفيل الام بأمريكا بصناعة المنتجات من الاسبستوس والمانيزيا وبرليت كما أن لها مصانع فى أمريكا وكندا وغيرهما ٠

وقد قدمت شركة ادفوكيت بعض المال لشركة التعدين البحرية التى لها علاقة وثيقة بباتينو عن طريق شراء ممتلكات سان جوزيف للرصاص فى شركة برنزويك للتعدين ، ويبلغ نصيب شركة التعدين البحرية فى هذه العملية ٤٦٪ أى ٤٫٨٤٠٫٠٠٠ دولار ٠ وتعمل الشركة البحرية فى النحاس فى ممتلكات

نيوبرنزويك بكندا وممتلكات نيوفوندلاند التى تمتلكها ـ ملكية مباشرة أو غير مباشرة ـ عن طريق فرعها ـ مناجم بحيرة جل ـ التى تمتلك عن طريقها اسهما فى مناجم جلبردج • ولها صلة بمناجم فولكنبروج للنيكل بأن أعطت الاخيرة الحق فى المساهمة بمقدار الثلث فى أى مشروع تقوم به الشركة البحرية ، ويتولى ادارة كل من الشركة البحرية وشركة باتينو الكندية مستر و• ف• جيمس الذى يجلس أيضا ضمن مجلس ادارة شركة فولكونبردج •

وهناك أيضا شركة كويبك المعدنية التى لها مصالح واسعة داخل كندا وخارجها ، ومن بين هذه المصالح ملكية عقارات فى شركة الترانسفال بجنوب أفريقيا وملكية منجم فى البرازيل ومصالح للنيكل والكوبالت فى نيوكاليدونيا ـ والاخيرة تتصل عن طريق باتينو بشركة النيكل

ومن سوء حظ باتينو أن بعض موجودات الشركة فى بوليفيا قد فقدت نتيجة برنامج للتأميم •

لقد قامت المصالح الاجنبية فى مدى سنوات طويلة باستنزاف موارد بوليفيا المعدنية ـ خاصة القصدير ـ وكذلك موارد الفضة والرصاص والزنك والانتيمون والنحاس، وكانت كمية البترول من الكثرة بحيث اجتذبتشركة روكفلر ستاندرد للبترول بينما قام اخوان ججنهيم بأمريكا الى جانب البريطانيين والفرنسيين وغيرهم بالعمل فى ميدان القصدير والنحاس لفترة طويلة وكانوا يدفعون للعامل الهندى حوالى ستة بنسات كأجرة يومية •

وقد قامت الحكومة البوليفية فى ٣١ أكتوبر ١٩٥٢ بتأميم ممتلكات شركة باتينو للمناجم والمشروعات المتحدة (ديلاوير) وادمجت فى مؤسسة حكومية شركة مناجم بوليفيا كوميبول ، وكانت ممتلكات باتينو هذه تشمل حقوقا للتعدين وحقوقا للمياه ومصانع لقطع الأخشاب ومصانع للقوى الكهربائية ، كما تشمل سككا حديدية تصل المناجم بالخط الرئيسى التابع لشركة سكك حديد انتوفاجا ستار بوليفيا ، وكونت مناجم باتينو فرعا آخر لديلادير فى عام ١٩٥٩ تحت اسم : شركة مشروعات باتينو •

وكان مستر ا٠ باتينو ـ بصفته أحد كبار مقاولى صناعة القصدير ـ يشغل مقعدا فى الشركات المتحدة التى ترعى مصالح من يعملون فى هذا الميدان مثل كونت بوازبوفراى وأورتيز لينير ، وكان هؤلاء الثلاثة أعضاء فى مجلس ادارة شركة استثمارات القصدير البريطانية وهى شركة تكونت فى المملكة المتحدة فى عام ١٩٣٢ لتأخذ مكان شركة القصدير البريطانية الامريكية ، وتمتلك شركة القصدير البريطانية مع فروعها شركة القصدير الصناعية المالية وشركة B. T. I. C. فيما وراء البحار عددا ضخما من أسهم صناعة تعدين القصدير بالملايو كما تملك استثمارات فى شركات تنتج معادن أخرى ٠

وتمتلك شركة استثمارات القصدير العامة ٥٥٪ من شركة السباكة الشرقية التى تمتلك مصانع للسباكة فى بنانج بالملايو ، ولشركة القصدير المتحدة فرع ـ هو وليم هارفى وشركاه ـ يمتلك ٧٥٪ من رأس مال الاسهم الصادرة من شركة ماكرى للسباكة التى أنشئت فى نيجيريا عام ١٩١٦ ٠ وقد أنشأ ماكرى مسبكا فى هضبة جوس بشمال نيجيريا بدأ انتاجه فى ديسمبر عام ١٩٦١ ، وقد كانت شركة فيفيان ونيجر وبوند ليمتد وكلاء البيع الوحيدين لشركة القصدير المتحدة فى نيجيريا ٠

ولا يضم مجلس ادارة شركة لندن للقصدير أى مدير من مديرى باتينو ، ولكن الصلة التى تربطها بمصالح باتينو صلة مستقرة واضحة عندما نعرف أن من بين أعضاء مجلس ادارتها مستر ك٠ هوايت رئيس مجلس ادارة ومدير مسابك القصدير المتحدة وفروعها ـ وليم هارفى وشركاه ومدير شركة استثمارات القصدير البريطانية وشركة استثمارات القصدير العامة ، كذلك يجلس مستر هوايت فى مجالس ادارة فروع شركة القصدير المتحدة : شركة لسباكة القصدير ، شركة السباكة الشرقية وشركة وليم سيمنجتون وولده (تجار مطاط) وشركة فيفيان ، نيجر وبوند ـ الوكلاء الموزعون ٠

وبصفته مديرا لشركة كنتا الجنوبية وشركة جنوب الملايو للقصدير وشركة كامونتنج للقصدير وشركة الملايو للقصدير يمثل مستر هوايت فى هذه المجالس

مصالح شركة القصدير المتحدة (وتشمل كذلك مصالح باتينو)٠ وبصفته مديرا للتشارترد بنك وبصفته عضوا فى مجلس ادارة شركة تأمين البحرية الاجنبية بلندن فهو يمثل المصالح المالية التى لهذه الشركات ، ويؤيد هذا الاستنتاج وجود مستر فرانسيس تشارلزورث كمدير لشركة القصدير البريطانية ورئيس مجلس ادارة شركة القصدير بالملايو وشركة القصدير بالملايو الجنوبى ، ويشغل مستر تشارلزورث كذلك منصب مدير لبعض شركات القصدير التى تعمل فى منطقة الملايو وهى شركة كرامات بولاى ليمتد وشركة أكام للقصدير ليمتد وشركة آير هيتام للقصدير ٠ وفوق ذلك فهو عضو فى مجلس ادارة ممتلكات لوكانا المعدنيه ليمتد التى يشرفها وجود سليل الامبراطورية النمسوية المجرية فى مجلس ادارتها وهو الارشيدوق روبرت تشارلز من النمسا ٠

وتعتبر شركة لوكانا شركة للاستثمارات والعقارات ، وهى متصلة اتصالا وثيقا بصناعة التعدين الكندية ، ومستر تشارلزورث هو الحلقة المباشرة بعالم تعدين القصدير وتجارته عن طريق صلته بشركة القصدير البريطانية ومصالحها فى الملايو ، ويجلس مع مستر تشارلزورث فى مجلس ادارة شركة لوكانا مستر كند هيد ويكس ومستر كيك ٠ وكلاهما يجلسان فى مجالس ادارة شركات جنوب أفريقيا وروديسيا ٠

ويشغل مستر كيك منصب رئيس مجلس ادارة شركة شيكاغو جايكا للتنمية ، وهى شركة أسست سنة ١٨٩٧ ولها سبعة عشر منجما للذهب فى منطقة سباكوى فى ميتابيليلاند بروديسيا ، وكانت فى وقت من الاوقات خاصة لشركة جنوب أفريقيا البريطانية ، ويتصل مستر كيك كذلك بشركة التعدين والاراضى اللندنية الروديسية ولها ٣٨٤ امتيازا مباشرا لتعدين الذهب كما أن لها امتيازات لتعدين المعادن الرخيصة ولها أراض مساحتها ٧٥٧ر٠٠٠ فدانا فى روديسيا ٠ وبعض هذه الاراضى مؤجرة للغير نظير أتاوات ٠

ومن بين فروع الشركة اللندنية الروديسية شركة مناجم مازو المتحدة وشركة لونرو للتعدين وشركة الاستثمارات الافريقية التى استولت على كل

استثمارات الشركة فى عام ١٩٥٨ فيما عدا اسهم الفروع وأسهم الاستثمارات التجارية ، ومن بين الشركات المتصلة بها مناجم أركتورس ليمتد وشركة هومستيك لتعدين الذهب ليمتد وشركة كورونيشن سندكيت ليمتد وشركة نورث تشارترلاند للتعدين (١٩٣٧) ليمتد ، ومن بين المصالح الاخرى التى تمتلكها الشركة اللندنية الروديسية فى عام ١٩٦١ : ٩٠٪ من شركة الممتلكات المتحدة ليمتد، ١٠٠٪ من مناجم ما شابا للذهب التى تدير منجم ذهب الامبراطورة فى ماشابا بالقرب من قلعة فكتوريا بروديسيا ، ٣٦٫٦٢٪ من مناجم ذهب كانيمبا، ٥١٪ من شركة خطوط أنابيب أوفرلاند بروديسيا ، وذلك فى مقابل ١٫٠٥٠٫٠٠٠ سهم من أسهم الشركة اللندنية والروديسية مضافا اليها ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ سهم أخرى ٠

ومما لا يقبل أى شك أن الشركة اللندنية الروديسية تقع ضمن مصالح مجموعة أوبنهيمر بالرغم من مظهر الانفصال الزائف ٠ فنجد أن مستر ج٠ - أبدينور وهو مدير مناجم أركتورس ومدير كوردنيشن سندكيت ومدير هومستيك ومدير كنيمبا ومدير مازو هو نفسه عضو فى مجالس ادارات مناجم كالكون (بروديسيا الشمالية ، شركة سباروتر لتعدين الذهب وشركة سباروتر الغربية ، وكذلك مستر س٠ف رنش الذى يشغل رئيس مجلس ادارة شركة سباروتر الغربية وشركة كوردنيشن سندكيت وشركة كانيمبا وشركة سباروتر للذهب ، وفى نفس الوقت نجد أن ممتلكات هندرسون بالترانسفال - التى يتولى مستر دنش ادارتها - تدخل فى نطاق مجموعة أوبنهيمر الخاصة بالاستثمارات الافريقية التى يجلس مستر كيك ضمن مجلس ادارتها ، وهى فى الواقع المالكة لشركة التنقيب الافريقية التى تسدى معونات خاصة بأعمال السكرتارية لشركتى سباروتر الغربية وكورونيشن سندكيت٠

ومن الجدير بالملاحظة أن شركة هندرسون - عقارات ترانسفال تمتلك فرعا ملكية كاملة ، وهو شركة هندرسون المتحدة ٠ وهذا الفرع له فرع خاص به

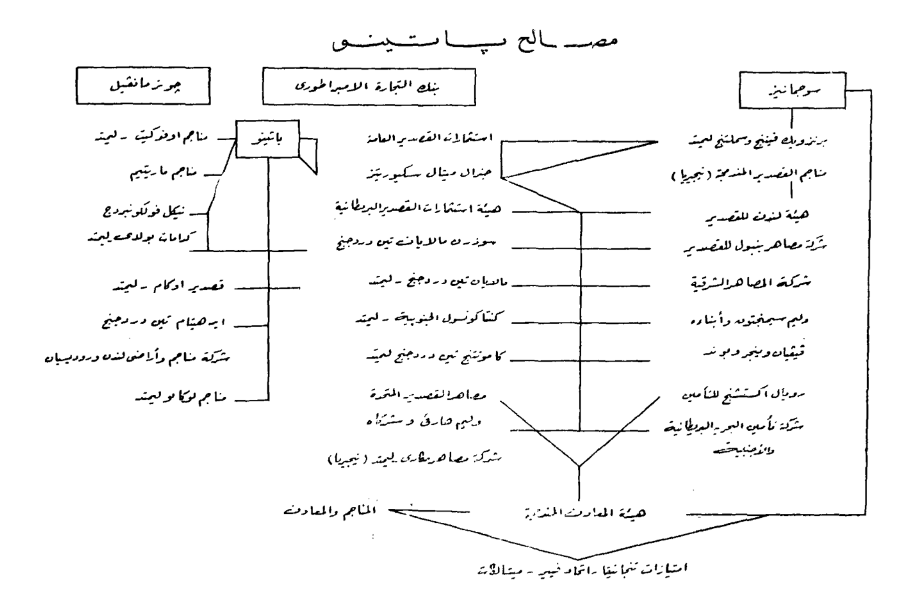
هو الممتلكات المعدنية ليمتد ، ويمتلك الاخير أراضى فى الترانسفال وفى ولاية أورانج الحرة تبلغ مساحتها ٣٫٧٠٦ فدان ، كما يملك حقوقا للتعدين فى أراضى تزيد مساحتها على ٦٨٩٫٣٨٠ فدان • وبالاضافة الى ذلك يمتلك امتيازين للتعدين فى سوازيلاند تبلغ مساحتهما ٨٤٫٠١٩ فدان •

وهناك فرع آخر لشركة هندرسون تمتلكه الشركة ملكية مباشرة وهـذا هو شركة الاستثمارات المعدنية ليمتد التى تمتلك ٧٢٠٫٠٠٠ سهم من أسـهم منـاجم ذهب لرلى ليمتد ، ٢٠٠٫٠٠٠ سهم من أسـهم منـاجم براكن ليمتد • وينتمى كل منهما الى مجموعة شركة الاتحاد Union التابعة لامبراطورية أوبنهيمر • وقد حصل كل من المنجمين على قرض قدره مليون جنيه من الشركة الوطنية المالية بجنوب أفريقيا حيث للشركة الانجليزية الامريكية وللمجموعات والمؤسسات المتصلة بها مصالح ضخمة •

ويشغل مستر ج• ن• كيك وظيفـة مدير شركة سكك حـديد روديسيا وشركتين أخريين من شركات أوبنهيمر المالية وهما شركة ديلوبى المتحدة وشركة ديلوبى أيول للاستثمارات ويشغل مستر ن• ك• كندهيد ويكس ـ زميل مستر كيكس ـ منصب مدير عدة شركات هامة من شركات أوبنهيمر مثل مناجم وانكى (المتصلة بامتيازات تنجانيقا واتحاد المناجم) ، ومناجم تشبيبولوما ، ومنـاجم تشيزانجوا ، ومناجم تشـامبيشى وشركة تشـارترلاند للتنقيب ـ وكلهـا فى روديسيا ، وقد حصلت الشركة الاخيرة من شركة جنوب أفريقيا البريطانية على حقوق التنقيب الكاملة فى مساحة تبلغ ١١٨٫٠٠٠ ميل مربع فى زامبيا •

ويبين الشكل المرسوم فى الصفحة الآتية شبكة باتينو التى تسيطر على صناعة الالومنيوم •

أما من جهة الشركات المتحكمة فى صنـاعة الالومنيوم فنجـد أولا شركة الالومنيوم الامريكية ـ الكوا ALCOA ـ كما نجـد امبراطورية الالومنيوم التابعـة لميلون ، وتعـدن هذه الشركة البوكسيت فى أركنساس ولها فروع



مصالح باتينو
سوجمانيز
بنك التجارة الامبراطورى
جوز مانفيل
باتينو
برنزويك فينيج وسملتنج لميتد
مناجم القصدير المندمجة (نيجيريا)
هيئة لندن للقصدير
شركة مصاهر بنبول للقصدير
شركة المصاهر الشرقية
وليم سيمجتون وأبناؤه
فيفيان وينجر وبوند
رويال اكستشنج للتأمين
شركة تأمين البحرية البريطانية والأجنبية
استثمارات القصدير العامة
جنرال ميتال سكيوريتيز
هيئة استثمارات القصدير البريطانية
سوزرن مالايان تين دردجنج
مالايان تين دردجنج - لميتد
كنتاكونسول الجنوبية - لميتد
كاموتنج تين دردجنج لميتد
مصاهر القصدير المتحدة
وليم هارفى وشركاه
شركة مصاهر بطارى ليمتد (نيجيريا)
مناجم اوفوكيت - لميتد
مناجم ماريتيم
نيكل فوكلونبردج
كامات بولادم ليمتد
قصدير اوكام - لميتد
ايبهيام تين دردجنج
شركة مناجم وأراضى لندن وروديسيا
مناجم لوكاو ليمتد
هيئة المعادن المتحدة
المناجم والمعادن
امتيازات تنجانيقا - اتحاد نيير - ميتالات

لاستخراج الخام من أماكن متعددة لتغذية مصانع السباكة فى الولايات المتحدة. ومعظم هذه المصانع موجودة فى الولايات الجنوبية ، ولو أنه توجد بعض مصانع فى مسينا بنيويورك . وتوجد المصانع فى اثنتى عشرة ولاية أمريكية بينما تعمل الفروع فى التنقيب عن المواد الخام فى أوروبا وفى أمريكا الوسطى وفى أمريكا الجنوبية وفى البحر الكاريبى وفى استراليا وفى أفريقيا .

والفرع الرئيسى لانتاج الخام هو شركة سورينام للالومنيوم . وهو يعدن البوكسيت فى أراضى سورينام الهولندية - وهى جزء من غيانا وتمتد الى الركن الشمالى الشرقى لقارة أمريكا الجنوبية الواقع شمال نهر الامازون وجنوبى نهر الاورينوكو . وقد حصلت شركة سورينام للالومينوم طبقا لاتفاقية على امتياز لتعدين البوكسيت مدته ٧٥ عاما ، وهى تقوم ببناء محطة للقوى الكهربائية كما أنها سوف تبنى مسبكا للالومنيوم طاقته ٩٠٫٠٠٠ طن . وطبقا لما جاء فى دعايات الشركة فانها تزمع انشاء مصنع لتكرير البوكسيت لاستخدام الخام المحلى ، وهناك فرع آخر لتعدين البوكسيت فى جمهورية الدومينكان وقد حصل على حقوق التعدين فى مايو عام ١٩٦٠ فى مساحة قدرها ٣٠٫٠٠٠ فدان من جمايكا .

ويبين الرسم فى الصفحة التالية مدى امتداد مصالح الكوا الاجنبية :

وليست هناك علاقة مباشرة بين ألكوا وبين شركة الالومنيوم ليمتد ، ولكن يملك كلاهما نفس مجموعة ميلون - دافيز بالولايات المتحدة ، وكان يتولى منصب الرئيس فى الشركتين لعدة سنوات شقيقان هما : آرثر دافيز (للشركة الاولى) وادوارد دافيز (للشركة الثانية) ، وعندما توفى الثانى عام ١٩٤٧ خلفه ولده ناتانيل دافيز ، ويبلغ نصيب دافيز من الاسهم فى شركات ميلون للالومنيوم ثلث ما يملكه ميلون ، وفى عام ١٩٥٧ نشرت مجلة « فورتشون » أن آرثر دافيز هو أحد أشخاص سبعة يملكون ثروة تتراوح بين ٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار و ٧٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار . ومن بين الستة الباقين كان أربعة من أسرة ميلون . ويشغل مستر دافيز - من شركة الالومينيوم ليمتد - منصب مدير بنك ميلون .

مصالح الكوا العالمية

الكان (الفرع الكندي)

- صناعات الكان - ليمتد
- سي ابوكسيت ، الومين دي برقانس
- سانكو ناي شبينج - ليمتد
- نيوفوند لاند فلوروسبا - ليمتد

الكوا (الولايات المتحدة)

- شركة سورينام الومنيوم
- هيئة فنزويلا للالومنيوم
- شركة توركاوا الومنيوم - ليمتد
- شركة الالومنيوم الامبراطورية ليمتد
- ناباس دي انقاهاس - جنوب افريقيا
- الوكون - جنوب افريقيا
- هيئة روم تبيل

الومنيوم - ليمتد

- شركة ديوك بايس باور
- سانكو ناي باور
- شركة ديمارارا بوكسيت - ليمتد
- الومنيا جامايكا - ليمتد
- شركة الالومنيوم الهندية - ليمتد
- سيانان بوكسيت - ليمتد
- بوكسيت جنوب شرقي اسيا - ليمتد
- الومنيو دي برازيل - جنوب افريقيا
- الومنيو منياس جيريه - جنوب افريقيا
- شركة الومنيوم جنوب افريقيا

وللمملكة المتحدة فرع هو صناعات ألكان ليمتد ، كما أن لفرنسا فرعا آخر حيث تستثمر شركة لالومنيـــوم ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ دولار • وقـد انتجت مناجمها في عام ١٩٦٠ ٠٠٠ر٣٠٠ طن من البوكسيت يستخرج منه الالومينا ، وحتى تحرز استقلالها في مجال النقل أنشأت شركة ألكان شركة ساكونياى للسفن تمولها تمويلا كاملا وتستخدم بواسطتها أسطولا من السفن لنقل ما يخص المجموعة من البوكسيت والالومينا والسبائك •

وبالرغم من أن شركة كايزر وشركة رينولدز أسستا شركات للالومنيوم كمحاولة منهما للاستقلال عن أمبراطورية ميلون الا أن رينولدز لم تجد أن في استطاعتهـا أن تكون بعيـدة عن مخالب ميـلون ، وقد تكونت شركة رينولدز للمعادن في منتصف عام ١٩٢٨ ، ثم انشأت في عام ١٩٤٠ فرعا لها هو شركة رينولدز للتعدين وعملها هو استخراج البوكسيت من مسـاحة قـدرها ١٠٠ر٦ فدان حصلت عليهـا في أركنساس وكذلك لتعدين فلوريد الجـير في المكسيك وينقل بالسفن من هناك الى مصانع الشركة بالولايات المتحدة •

وتمتلك شركة رينـولدز في الخـارج مناجم بوكسيت وأراضي للتنقيب في الجزء الشمالي الشرقي من غيـانا البريطانية ، وكذلك في تاهيتي وفي جمايكا ، ويشحن الخام الجاف الى المصـانع في ماسـاشوستس وديلاوير وأركنســاس وتكساس بالولايات المتحـــدة ، وفي خـلال عـام ١٩٦١ استخرجت أكثر من ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ طن ، ولهـا فروع أخرى تعمـل في برمودا وفنزويلا والفلبـين والمكسيك وكندا واستراليا وأفريقيا وكولمبيا وغيرها من أنحاء العالم الاخرى • وقد حصلت شركة مناجم رينولدز بجمايكا في عام ١٩٥٧ من حكومة جمايكا على حق تعدين البوكسيت لمدة ٩٩ عاما في كل الاراضي التى تملكها في ذلك الوقت في مقابل أتاوات أو ضرائب ، وقد بلغت مساحة هذه الارض ٠٠٠ر٧٤ فدان • كما حصلت بالايجار على حق التعدين في ٥٨٢٢ فدان •

ويوجد الطرف الآخر من نشـاط شركة رينولدز للالومينوم فى المملـكة المتحدة على شكل شركة الالومينوم البريطانية • وقد بدا فى وقت من الاوقات كما لو كان ميلون هو الذى سيستولى على الشركة البريطانية ، ولكن أدى الاتحاد الذى تم بين شركة تيوب للاستثمارات وشركة رينولدز الى أنهما حصلا على ٩٦ ٪ من شركة الالومنيوم البريطانية ، فحصلت شركة الاستثمارات على ٤٩٪ وحصلت شركة رينولدز على ٤٧ ٪ ، ويدخل ضمن نطاق نشاط الشركة دول الكومنولث وأوروبا وآسيا وأفريقيا وتتحكم فروع الشركة فى موارد القوى وفى عقـارات البوكسيت ومصانع التنقيب ، وحتى تمتلك فندقا كبيرا Grand Hotel ، وكلها تدخل ضمن مصالح شركة تيوب للاستثمارات بصفتها الشركة الام •

وفى منتصف عام ١٩٦١ استولت شركة الألومنيوم البريطانية على شركة رينولدز الخاصة بالاستثمارات التى كانت تمتلك شركة الاستثمارات منها ٥١ ٪ بينمـــا تمتلك رينولدز ٤٩٪ ، ويجـلس فى مجلس ادارة شركة الألومنيـــوم البريطانية أعضاء من أسرة رينولدز ، كما يجلس فيه أيضا و•ب•ك• بريكوست مدير شركة غانا للبوكيست ـ والاخيرة فرع تمتلـكه الشركة ملـكية تامة وقد سجل فى لندن عام ١٩٣٣ ، ويمثل المصالح الافريقية الاخرى أ• ف• جاسكوان رئيس مجلس ادارة تنجانيقـا هولدنجز وشركة منـاطق ذهب كنتـان وشركة زامبيزيا للتنقيب وشركة زامبيزيا للاستثمارات، وكلها تدخل فى نطاق امتيازات تنجانيقا ، ويمثل اتجاه الصحافة البريطانية فى مجلس ادارة شركة الالومنيوم البريطانية سير جيوفرى كروثر الذى كان فى يوم من الايام محرر «الايكونومست» والذى يشغل حاليـــا منصب نائب رئيس مجلس ادارتها ، ومن بين الشركات التى يتولى سير جيوفرى ادارتها شركة اليونيون التجارية للتأمين ، ويشترك معه فى ادارتها لورد بلدوين •

ومن بين مصالح شركة الالومنيوم البريطانية الكبرى فى أفريقيا شركة فريا ـ الشركة العالمية لانتاج الاومنيوم بغينيا FRIA التى تمتلك ١٠ ٪ من

أسهمها ٠ وبرنامجا يقضى بانتاج ٤٨٠٫٠٠٠ طنا من الالومينوم فىالعام تحصل شركة الالومينوم البريطانية على ١٠ ٪ منه ٠

وكان آل ميلون هم أهم من يعملون مباشرة فى استغلال موارد البوكسيت بغانا ٠ ولكنهم عجزوا عن مواصلة ضغطهم على الدولة الافريقية التى حصلت على استقلالها حديثا ولذلك اضطروا الى الانسحاب بعد أن أنفقوا دون ما ثمرة حوالى ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات طبقا لحسابهم ٠ ومن بين الشركاء الآخرين فى شركة FRIA :

شركة أولين ماثيسون الكيماوية	٤٨٫٥٪
شركة بيشينى أوجين ـ فرنسا	٢٦٫٥٪
شركة اكتنجسلشافت لصناعات الالومينوم ـ سويسرا	١٠٪
مصانع فيرنجت للالومينوم ـ ألمانيا	٥٪

وتدخل شركة ماثيسون ضمن مجال نفوذ روكفلر ٠ ويمثلها فى مجلس ادارة الشركة الكيماوية لورنس روكفلر الذى يمثل الاسرة فى ألوان النشاط الخارجة عن مجال البترول ٠ ويشارك آل مورجان فى عملية السيطرة ، وهكذا نرى أن مجموعة ميلون قد تنازلت عن نفوذها لمجموعة من المصالح أكثر منها قوة وتختفى خلف واجهة اسمها أولين مايثسون ٠

ويأتى فى المرتبة الثانية بعد ذلك مجموعة شركات بيشينى وأوجين ٠ وكلمة بيشينى هى اختصار للاسم (شركة المنتجات الكيماوية والالكترونية Compogrie des Prodinto Chimique et Electromet Alluigiques ومن بين مديرى الشركة بول جيليه وهو المدير الشرقى للجمعية البلجيكية العامة ورئيس مجلس ادارة اتحاد المناجم وهو عضو فى كثير من الشركات المهمة التى تقوم باستغلال موارد أفريقيا ، ورئيس مجلس ادارة الشركة هو بول دى فترى وهو مدير بنك باريس والبلدان المنخفضة ، ويعمل هذا البنك ـ الذى كان

يديره هنرى لافولد ـ فى الكونغو وجنوب آفريقيا أيضـا ، وهو يعمل بكل امكانياته فى المشروعات الجديدة فى القارة الافريقية وخاصة فى الدول الجديدة الواقعة على حافة الصحراء الكبرى ٠

وشركة بيشينى التى سجلت فى باريس فى مستهل عام ١٨٩٦ ما هى الا امتداد لشركة كانت قد تكونت منذ مائة سنة ـ أى فى عام ١٨٥٥ ـ وكغيرها من شركات التعدين الفرنسية الكبرى كان لها صلات وروابط بمصارف البلاد الكبرى ، وامتداد اختصاصاتها وتكاثرها يسير فى اتجاهـات متعـددة تغطى عمليات انتاج البوكسيت وطينـة مونوكسيد البايوم والاخشاب والصناعات الكيماوية واستخراج الالومينوم وغيره من المعادن والمنتجات الكهربائية المعدنية٠ وهى تصنع كل شىء من البلاستيك الى سبائك الحديد الى منتجات الجرافيت الى المعادن الجديدة الى المنتجات النووية ، وهى تملك فى فرنسا وفى غيرها من دول أوروبا وفى أفريقيـا وفى غيرها شركات كاملة أو أجزاء من شركات ، وتمتـد عملياتها الخاصة بالتعدين من شمال فرنسا الى جنوبها ثم الى أفريقيا ٠

والى جانب مسئولية بيشينى عن أربعـة أخماس منتجـات فرنسـا من الالومينوم فهى مسئولة فى ميدان تجارة المعادن عن ٦٠ ٪ من عائدها ، والمنافس الكبير الوحيد لشركة بيشينى هو شركة أوجين التى تتعاون مع شركة بيشينى فى السياسة الاستثمارية ـ كما أشرنا من قبل ـ كما تشترك معها فى الفرع الخاص بالمبيعـات واسـمه « الالومنيوم الفرنسى Aluminuim Français ٠ وتسير الشركتان بخطى واسعة وسريعة فى طريق التوسع وعمليات بيشينى تضارع فى انتشارها عمليات شركات الالومينوم البريطانية والامريكية وان كان انتاج الشركات الاخـيرة أوفر ، ويتوقعون أن يصل انتاج بيشينى وأوجين فى عام ١٩٦٣ الى ٣٠٠ر٠٠٠ طن ٠ وتستخدم شركة بيشينى ١٥ ٪ من جـلة قوة الانتاج الفرنسى ولذلك أدى اكتشاف الغاز الطبيعى فى « لاك » ـ بجنوب غربى فرنسا ـ الى مساهمة فعالة فى عملية التوسع ، لقد رفع ذلك صادرات قطاع الالومينوم بمقدار ٣٧٪ ٠ وهم يتوقعون خفض تكاليف الانتاج باستخدام عملية

جديدة لاستخلاص الالومنيوم من البوكسيت ، وقد تم انشاء مصنع جديد وسوف يساعد خاصة شركة بيشينى على التوسع فى صناعات الالومنيوم الجديدة .

وعن طريق بنك باريس - الذى يعتبر أكبر مساهم فى الشركة الفرنسية النرويجية الكيماوية - نورسك هيدرو Norsk Hydro - التى تشرف عليها الحكومة النرويجية - تتصل شركة بيشينى بهذا المشروع ، ويتوق النرويجيون الى زيادة انتاجهم عن مستواه الحالى - ٢٠٠ر٠٠٠ طن - الى ٦٠٠ر٠٠٠ طن فى عام ١٩٧٠ وتشترك شركة بيشينى فى الوقت الحاضر مع شركات أخرى فى اليونان وأسبانيا والارجنتين ، كما أن لها ممتلكات فى مشروعات السنغال ومدغشقر ، ولا يكاد يوجد اتحاد شركات فى الوقت الحاضر فى أفريقيا - وخاصة فى المغرب - دون أن يكون لشركة بيشينى ضلع فيه . ومما لاشك فيه أن عينيها مفتوحتان نحو اكتشافات الغاز الطبيعى بكميات كبيرة فى الصحراء الكبرى التى لا تبعد كثيرا عن حقولها من البوكسيت فى مالى .

ويربط مجال التنكيل الدولى مجموعة مختارة من شركات التنقيب والتمويل ، فيلتف حول شركة التنكيل العالمية بكندا - INCO - شركات فولكنبردج ومناجم شيريت جوردون بكندا ومناجم فاراداى لليورانيوم وشركة فبريبورت للكبريت بالولايات المتحدة ، واذا تمعنا فى أعمالها نجدها متغلغلة فى أفريقيا وغيرها من أنحاء العالم الاخرى .

وتبدو بوضوح علاقة انكو مع مصالح أوبنهيمر التعدينية فى أفريقيا من مناصب الادارة التى يتولاها سير رونالد برين وسير أوتونيمير ، وسوف نرى كذلك كيف أن مصالحها فى بعض المناجم تتصل اتصالا غير مباشر بمجموعات لها صلات مؤكدة مع عمليات استغلال موارد القارة الافريقية المعدنية .

أننا حين نجد المصالح المالية التى خلفها نعرف بالتأكيد أن عملية بسط النفوذ مستمرة .

ان اسم موند Mond يذكرنا بالنيكل وبالمواد المتفجرة والمواد الكيماوية والاسلحة • كذلك نجده مرتبطا بأقوى مؤسسات النيكل العالمية تحت اسم شركة النيكل العالمية (موند) ليمتد Internateınal Nickel Co. (Mnd) Ltd. ولقد كان هو الذىأسس شركة برانر موند وشركاه ليمتد وشركة لدويجموند وكان هو الذى ابتكر عملية صودا الامونيا وأوجد طريقة الحصول على مصدر رخيص من القوة من قطع الفحم الصغيرة كما أنه اكتشف طريقة استخراج النيكل من الخامات ذاتالنوع الردىء ، وأدىهذا الى اكتشاف ، والى الحصول على ، والنهوض بالمناجم فى كندا ـ التى تعتبر أهم مصدر للنيكل فى العالم فى الوقت الحاضر ـ والتى تأتى اليها المواد الخام من منطقة سادبرى باونتاريو ، وقد اندمجتشركة برنر موند مع شركة صناعات نوفل مع شركة الكالى المتحدة (والاخيرة تضم ٤٨ منجما) وشركة الصباغة البريطانيــة فى ديسمبر وكونت فيمـا بينهـا شركة الكيماويات الامبراطورية •

وقد تكونت شركة موند للنيكل فى عام ١٩١٤ لاستغلال المنجم المجـاور لاملاك شركة أنــكو فى سادبرى ، وانضمت مصالح الشركتين فى عام ١٩٢٨ ، وتغير الاسم القديم الى الاسم الحالى فى فبراير ١٩٦١ ، وتعتبر الشركة فرعـا لشركة التعدين والتكرير الانجليزية الكندية التى تمتلك ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ سهم من بين الـ ١١٫٠٠٠٫٠٠٠ سهم المرخص بها لتغطية رأس مال قدره ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه • كما أن الشركة الانجليزية الكندية بدورها هى احد فروع أنكو •

ومن بين الممتلكات والمصانع الضخمة التى تمتلكها شركة موند العالميــة للنيكل فى المملكة المتحدة مصنع للتكرير فى جنوب ويلز ومعمل تكريرللمعادن الثمينة فى المنطقة الصناعية بلندن ، كما أن لها عـددا من المصانع فى أجزاء متفرقة من بريطانيا ، فضلا عن أنها تمتلك كل أسهم رأس مال هنرى ويجين وشركاه ليمتد الذين يصنعون النيكل وسبائك النيكل وغيرها •

هذا هو الجانب البريطانى من شركة أنكو التى قامت بتعيين مجلس الادارة الذى يمثلها والتى ضمت حسابات المملكة المتحدة الى حساباتها •

وحتى تجعل مصانعها تعمل بأقصى طاقاتها عمدت شركة انكو الى اجراء تنظيمات مع فروعها بشأن منتجاتها • فمثلا فائض النيكل المركز يرسل الى مناجم شيريت جوردون ، كما أن هناك اتفاقية مع شركة خليج تكساس للكبريت بشأن عملية اقامة مصنع لبحث عمليات استخلاص الكبريت من المواد الاولية • ومن شأن هذه الاتفاقيات توحيد مصالح الشركات التى قد تبدو فى الظاهر على أنها متنافسة •

ولاتبدو مصالح أنكو المسيطرة واضحة بسبب عدم وجود شركة أمأمريكية بالرغم من أن رأس المال المسيطر هو رأس مال أمريكى ، فشركة أنكو تمتلك جميع سندات رأس مال شركة النيكل العالمية التى تمتلك كل الاصول العاملة فى الولايات المتحدة ، كما تمتلك سندات رأس مال شركة هوايتهيد لانتاج المعادن وهم الذين يقومون بتوزيع المعادن غير الحديدية ، ويجلس فى مجلس ادارة شركة أنكو الامريكية مستر لورنس روكفلر ، أما رئيس مجلس ادارة الشركة الكندية فهو هـ•س• وينجيت مدير البنك الامريكى ـ مورجان وشركاه ـ ومدير شركة سكك حديد الباسفيك الكندية •

ويتولى مستر وليم بولنييس ـ وهو أحد مديرى انكو ـ منصب مدير عدة شركات من شركات بيل للتليفون ، كما يتولى منصب مدير شركة الائتمانات بنيويورك التى يسطر عليها آل مورجان ، ومن بين مديرى شركة أنكو مستر ر• س• ماكلاجلين حيث يتولى منصب مدير شركة جنرال موترز وعضوية بنك تورنتو دومينون المتصل بمصالح ديبونت ، والاخير يقع تحت نفوذ مورجانمباشرة ، ويتولى دونالد منصب رئيس شركة الائتمان الامريكية التى لها ثلاثة مديرين متصلة ببنوك وشركات تامين مورجان ، كذلك يتولى رئاسة مجلس ادارة شركة هومستيك للتعدين والاخيرة متصلة عن طريق شركة ايدارادو للتعدين بشركة نيومونت للتعدين التى تدخل ضمن نطاق نفوذ مورجان ، ويمتلك سيرودى باسكو ـ أحد مديرى ماكلاجلين ـ عددا من الشركات التى تعمل فى التعدين

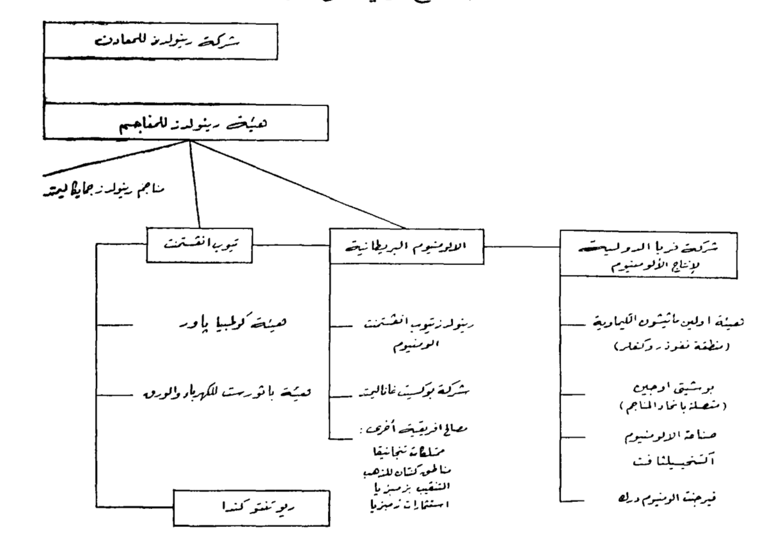
وفى التنقيب عن البترول فى بيرو ، ولشركة نيومونت للتعدين مصالح ضخمة فى سيرو دى باسكو •

ويتولى ثيودور جيلز مونتاج ـ وهو أحد أعضاء مجلس ادارة انكو ـ منصب رئيس مجلس ادارة شركة بوردين وهو محافظ بنك نيويورك ومدير شركة تكرير السكر الامريكية ، ويتحكم آل روكفلر فى هذه الشركات الثلاث ويمثل جون فيرفيلد تومبسون مصالح الولايات المتحدة فى مجلس ادارة أنكو ، وهو كذلك يمثل نفس المصالح فى مؤسسات التوزيع الامريكية التابعة لشركة أنكو مثل شركة هوايتهيد للمنتجات المعدنية ، وهو يشكل حلقة الاتصال بشركة خليج تكساس للكبريت التى تقع تحت نفوذ مورجان ستاندرد أويل ، ويكشف ج• تومبسون عن المصالح الافريقية لهذه المجموعات بتوليه مناصب الادارة بشركة كليماكس الامريكية للمعادن وفروعها البريطانية : شركة المعادن المتحدة ، وهنرى جاردنر وشركاه وهؤلاء متصلون بدورهم بمصالح القصدير والنيكل الفرنسية •

هذه هى بعض الاتحادات الضخمة التى تعمل فى القصدير والالومنيوم والنيكل والتى تعمل على استنزاف الموارد المعدنية فى أفريقيا •

وفيما يلى رسم يبين شبكة مصالح رينولدز المتشابكة المعقدة •

مصالح رينولدز



الفصل الرابع عشر

اتحاد المناجم بكاتنجا العليا

ليس هناك فى العالم مؤسسة صناعية نالت من الدعاية الواسعة فى السنوات الخمس الاخيرة مثل ما نال اتحاد المناجم ، وذلك بسبب الادوار المتناقضة التى لعبها فى موضوع استقلال الكونغو وتوحيده ، لقد كانت هذه الشركة الكبرى منذ استقلال الكنغو موضوع الخلاف بين الحكومة الكنغولية وبين مقاطعة كاتنجا المطالبة بالانفصال ، وهذه الشركة التى يملكها صغار حملة الاسهم يتحكم فيها رجال الاعمال والمال البلجيكيون والبريطانيون .

والنصيب الاكبر من أسهم هذه الشركة ــ أى ما يعادل ١٤ ٪ من جملة الاسهم البالغ عددها ٠٠٠ر٢٤٢ر١ سهم ــ كانت تملكها الادارة البلجيكية الاستعمارية وانتقلت بعد الاستقلال الى الحكومة الكنغولية ، وان كانت فى يد الحكومة بصفة مؤقتة حتى تسوية المشاكل السياسية ، وقد قام مويس تشومبى فى نوفمبر ١٩٦٤ بعد عودته من المنفى وتوليه منصب رئيس وزراء الكنغو باصدار مرسوم بتحويل التحكم والسيطرة على اتحاد المناجم من المصارف البلجيكية الى الحكومة الكنغولية دون ما تعويض ، وبمقتضى هذا المرسوم استولت الحكومة الكنغولية على ٦٧٥ر٣١٥ سهم من أسهم اتحاد المناجم التى كانت تملكها لجنة كاتنجا الخاصة ، وهى شركة تملك الحكومة الكنغولية ثلثيها وتملك المصالح البلجيكية الثلث الباقى .

وكانت الحكومة البلجيكية تعتبر أن ١٢٣ر٧٢٥ سهم من هذه الاسهم ملك لشركة كانتجـــا التى هى فرع من الجمعيـة البلجيكيـة العـامة . وكانت نتيجة هـذا المرسـوم خفض قوة تصـويت الجمعية العامة وتابعتهـا امتيازات تنجانيقا فى اتحاد المناجم من ٤٠ ٪ الى أقل من ٢٩ ٪ ، بينما ارتفعت قوة تصويت الحكومة الكنغولية من ٢٤ ٪ تقريبا الى ما يقرب من ٣٦ ٪ . وهذا يعنى أنه اذا حدث نزاع على السياسة كان على البلجيكيين أن يجمعوا تأييد صغار حملة الاسهم الذين كانوا يمثلون حوالى ٣٦ ٪ .

واستمرت المحادثات دائرة عدة أسابيع بين الحكومة البلجيكية والحـكومة الكنغولية لتنظيم اجتماعات لمناقشة الموقف ، وكان بيد كل منهما ورقة رابحة ، فالحكومة البلجيكية تستند على أنها الضامن للبورتفوليو بينما تكمن قوة الحكومة الكنغولية فى أن مدة اتحاد المناجم تنتهى فى عام ١٩٩٠ .

ووصل تشومبى الى بروكسل فى ٢٨ يناير ١٩٦٥ لاجـراء محادثات مع وزير خارجية بلجيكا ـ سباك ـ فطالب تشومبى أن تسلم له فى الحـال أسهـم البوتفوليو التى تقـدر قيمتها بمبلغ ١٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه . وتشمل هـذه ٢١ ٪ من حقوق التصويت فى اتحاد المناجم ، وطالب البلجيكيون بدورهم بتعويض عن الممتلكات البلجيكية التى أتلفتها الاضطرابات فى الكونغو ، كما طالبوا بتعويض للشركات التى فقدت امتيازاتها الخاصة بالتعدين نتيجة لمرسوم نوفمبر ، كذلك أصر البلجيكيون على أن تتضمن الاتفاقية الفوائد الواجب دفعهـا على سندات الكنغو المحتلة .

وبعـد أيام فى المساومات الشاقة أحرز تشومبى ما كان يبـدو كأنه نصر عظيم . فحصل على ١٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه هى قيمة أسهم البورتفوليو ، كمـا تسلم شيـكا من اتحاد المناجم بمبلغ ٦٦٠ر٠٠٠ جنيه تمثـل الأتاوة والفوائد المستحقة على ٢١٠ر٤٥٠ سهم كانت تملكها الحكومة الكنغولية فى اتحاد المناجم مما كان يعطيهـا ٢٤٪ من حقـوق التصويت فى الشركة ، بمثـل هـذا النصر

الدبلوماسى عاد تشومبى الى ليوبولدفيل بعد أن قوى ذراعه ليعالج المشاكل السياسية والعسكرية التى كانت تواجهه فى بلاده ، ومنذ ذلك الوقت وهو يتساءل عن مدى ما أحرزه من نصر .

وفى خطابى الذى القيته أمام مجلس الأمة بغانا فى ٢٢ مارس ١٩٦٥ تكلمت بتفصيل عن الموقف فى الكنغو ، فقلت :

« فى السنوات الخمس التى سبقت الاستقلال بلغت قيمة رأس المال الذى تسرب الى بلجيكا وحدها ٤٦٤ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيها .

وعندما تولى لومومبا الحكم كان قد تسرب جزء كبير من رأس المال لدرجة أنه كان هناك عجز قدره ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه .

وهم يقولون الآن لتشومبى أن على الكنغو دينا خارجياقدره ٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار ، وهذا الرقم تقريبى ، والحقيقة أن المفروض أن الكونغو مدين للشركات الاحتكارية فى الولايات المتحدة وبلجيكا بمبلغ ٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار ، ولكن بعد أن اغتصبت هاتان الدولتان من الكنغو ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ من الجنيهات ، ٤٦٤ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه ، ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه . فلنتصور وتصوروا ما كان يمكن أن تفعله هذه المبالغ لرخاء الكونغو ورفاهيته !..

ولكن ما زالت الملهاة المحزنة أو المأساة المضحكة مستمرة .. فكى تساند الشركات الاحتكارية تشومبى قررت أن هذا الدين المبتكر ــ ٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ــ سيدفع منه مبلغ ٢٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار فقط . فهل هناك كرم أكثر من هذا الكرم ! ..

أما السندات التى كانت تقدر فى عام ١٩٥٩ بمبلغ ٢٦٧ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه والتى كانت تمثل الثروة المستخرجة من الكونغو فكان الاتفاق يقضى بعودتها الى الكونغو بعد أن اعتمدها البرلمان . ولكن كانت الشركات الاحتكارية قد قررت أن

القيمة الحالية لهذه السندات هى ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٧ جنيه ، وعلى ذلك يكون صافى ربح الشركات الاحتكارية منها هو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٦٠ جنيه ٠

وبعد ذلك أعلنت الشركات الاحتكارية برنامجا زائفا لتصفية ما أسموه الدين الخارجى للكونغو وقدره ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ جنيه ٠ وعندما أعلنو ذلك أعلنوا أيضا أن على الكونغو دينا داخليا آخر قدره ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ جنيه ٠

وبعبارة واضحة أنهم يحرمون الشعب الكنغولى من مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ جنيه أخرى ٠ ثم يسمون هذا اكراما ! ٠٠

ونعرف كذلك أن الشركات الاحتكارية قد فرضت عبئا آخر على شعب الكونغو البائس ، وهو عبارة عن دين داخلى قدره ٢٠٠ مليون جنيه كان على الكونغو أن تدفع بسببه تعويضا قدره ٠٠٠ر٥٠٠ر١٢ جنيه للشركات البلجيكية الخاصة ٠

وبالاضافة الى ما تقدم تكونت مؤسسة كونغولية بلجيكية مشتركة قامت بسحب السندات القديمة واحلال أخرى مكانها مدتها ٤٠ سنة وقيمتها ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ جنيه ، وتدفع هذه فوائد سنوية قدرها ٣ ½ ٪ ٠

ولاحظوا هنا ما يأتى : لما كانت السندات القديمة عديمة القيمة كان على المؤسسة الجديدة أن تدفع فائدة كاملة على السنوات القديمة فى المدة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٥ للشركات الاحتكارية ، كما كان الامر يتطلب أن يحصل حامل السند القديم عديم القيمة على سند من السندات الجديدة ، وبالاختصار كانت هذه المؤسسة اداة لأن تحصل على المزيد ولتحصل على الثراء للشركات الاحتكارية بينما تخدع الشعب الكنغولى البائس ٠

وكان تشومبى قد تعهد بألا يقوم بتأميم الاستثمارات التى كانت تقدر قيمتها بمبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥٠ جنيه ، كما تعهد أيضا بأن يستبقى ٨٠٠٠

بلجيكى كانوا موجودين بالكونغـــو ، وأنشأ بنك الاستثمارات ليتـــولى ادارة البورتفوليات ، وكانت بمبلغ ٢٤٠ مليونا من الجنيهـــات وكان البلجيكيون هم المتحكمون فيها ٠

وقد حقق اتحاد المناجم فى عام واحد ربحا قدره ٢٧٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه ٠ ولكن بالرغم من زيادة الانتاج القومى فى الكنغو فى المـدة من ١٩٥٠ الى ١٩٥٧ بمقدار ٦٠ ٪ الا أن القوة الشرائية الافريقية انخفضت بمقدار ١٣ ٪ ٠٠٠ ثم فرض بعـد ذلك على الكنغوليين أن يدفعوا بصفة ضرائب مبلغ ٢٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك مرتبات للموظفين الاوروبيين ، ٤٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك لاغراض بلجيكية أخرى ، ١٫٣٢٩٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك للجيش ٠

لقد فرضت عليهم الضرائب أيضا لتغطية نفقات معرض بروكسل ٠

وبالرغم من استقلال الكنغو السياسى فما زال ضحية للامبريالية والاستعمار الجديد ، ولكن لا تقتصر السيطرة الاقتصادية والمالية بواسطة المصالح الاجنبية على الكونغو وحدها ، بل ان كل الدول النامية الافريقية عرضة لهذا النفوذ الخبيث بصورة أو بأخرى ٠

واذا كانت هذه العبارة تحتوى كثـيرا من التفاصيـل فواجب على شعوب الدول التى استقلت حديثا وعلى زعمائها أن يضعوا فى اعتبـارهم الاول هـذه التفاصيـل ، فان مثل هذه الأشياء تشكل الواقع للعالم الذى نحاول أن نعيش فيه ، والذى تحاول فيه أفريقيا أن تتبوأ مكانها ٠

ويمكننا أن ندرك عظم الدور الذى يلعبه اتحاد المناجم فى شئون الكنغو اذا فحصنا المصالح التى تتضمنها هذه الشركة العاتية ، فكل المشروعات التى تعمل لاستغـلال موارد الثروة فى الكنغو تدخل فى نطاقهـا المباشر أولها علاقات غير مباشرة بها ، ومع ذلك فهى لا تعطى صـورة كاملة عن مدى ارتبطات الشركة ، وتبين القائمة الآتية علاقات اتحاد المناجم بكبريات الشركات الخاصـة بالتأمين

والشركات المالية والبيوت الصناعية فى أوروبا وفى الولايات المتحدة ، كما تبين نفس القائمة علاقاتها بحزام روديسيا الخاص بشركات النحاس :

شركة فونسييه دى كاتنجا
الشركة العامة للقوى الهيدرو كهربائية ـ سوجفور SOGEFOR
الشركة الافريقية العامة للكهرباء SOGELEC
الشركة الصناعية والكيماوية العامة بشادوتفيل SOGECHIM
شركة كاتنجا للمعادن METALKAT
مناجم كاتنجا
شركة بحوث التعدين بجنوب كاتنجا SUDKAT
الاسمنت المعدنى بشادوتفيل C.M.J.
فحم دى لا لوينا
شركة سلك حديد كاتنجا ـ ديلولو ـ ليوبولدفيل K.D.L.
الشركة الافريقية للمواد المتفجرة AFRIDEX
الشركة البحرية الكنغولية
شركة تنقيب المناجم بجنوب كاتنجا MINSUDKAT
جميع الروافع لا لويلو ELVALVLU
شركة تأمين ما وراء البحار
شركة البحث والتنقيب عن البوكسيت بالكنغو BAUXICONGO
شركة الغابات بكاساى
مركز استعلامات الكوبالت
الشركة العامة للمعادن بهوبوكين
الشركة المساهمة البلجيكية للطيران الجوى SABENA
الشركة العامة للمشروعات الثابتة S.E.I.
الشركة البلجيكية لصناعة الالومنيوم COBEAL
الشركة البلجيكية للتأمينات البحرية BELGAMAR

الشركة الفرعية للاتحاد الاستعمارى البلجيكى الملكى S.A.R.U.C.
مناجم وانكى ليمتد
البنك البلجيكى الامريكى وشركة الائتمان نيويورك
الشركة المصرفية البلجيكية الامريكية - نيويورك
الشركة الكهربائية العامة - باريس
شركةتريفيلرز وليمنوار - باريس
الشركة البلجيكية للصناعات النووية BELCO NUCLEAIRE

وتعتبر امتيازات تنجانيقا احدى الشركات الام لاتحاد مناجم كتانجا العليا والشركة الام الاخرى هى لجنة كاتنجا الخاصة ، وقد تكون اتحاد المناجم بغرض تقريب مصالح المؤسستين فى مجال اكتشافات المعادن التى قامت بها امتيازات تنجانيقا طبقا للحق الذى منح لها بواسطة اللجنة فى مقاطعة كاتنجا ، ويغطى هذا الحق مساحة قدرها ٧٧٠٠ ميل مربع تحتوى على كميات وافرة من النحاس والزنك والكوبالت والكاديم والجرمانيم والراديوم والذهب والفضة وخام الحديد وحجر الجير . وتتضمن هذه المنطقة أيضا مساحة قدرها ٥٤٠٠ ميل مربع بها قصدير .

والخامات المستخرجة تمر فىعدد من المصانع خلال مراحل الصهر والتكثيف، وتأتى الطاقة الكهربائية من أربع محطات للقوى رئيسية احداهما قام بانشائها أحد فروع اتحاد المناجم وهو الشركة العامة للقوى الهيدرو كهربائية . أما الثلاث الاخرى فتتبع اتحاد المناجم نفسه ، وتتصل هذه المحطات الثلاث بشبكة توزيع ، يخصص جزء منها لمد حزام النحاس بروديسيا الشمالية بالقوة الكهربائية بمعدل ٦٠٠ مليون كيلو وات فى السنة ، وتمتلك جزءا من هذه الشبكة الشركة الافريقية العامة للكهرباء SOGELEC التى يمتلك اتحاد المناجم فيها مصلحة كبرى . ولقد استهلكت مصانع الشركة فى اليزابيثفيل وجادوتفيل وكولويزى وكبوشى ٧٥ مليون كيلو وات فى عام ١٩٦٢ . وقد أمكن فى هذا العام اصلاح الاضرار التى كانت لحقت بالمنشآت فى ديسمبر عام ١٩٦١ .

ومعظم شركات اتحاد المناجم تعينها الشركة البلجيكية العامة ٠ ولمعظمها أيضـا علاقات بالشركة الانجليـزية الامريكيـة اما بطريق مباشر أو عن طريق امتيازات تنجانيقا أو اتحاد المناجم أو فروعه ٠ وتمتلك الشركة العامة ٥٧ر٣٥٨ سهم من بين ٠٠٠ر٢٤٢ر١ سهم ـ غير ذات قيمة اسمية ـ هي عبارة عن الاسهم المرخص بها لرأس مال اتحاد المناجم البالغ قدره ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٨ فرنك ٠ ومن بين حملة الاسهم أيضا لجنة كاتنجا الخاصة وامتيازات تنجانيقا ، والاتاوة التى تدفع نظير الامتياز تدفع الى لجنة كاتنجا وهى عبارة عن مبلغ يساوى ١٠ ٪ من أى ربح للأسهم يوزع ويكون أكثر من ٠٠٠ر١٥٠ر٩٣ فرنك فى السـنة ، وتشترك امتيازات تنجانيقا طبقا لاتفاقية معقودة مع اللجنة بمعدل ٤٠ ٪ ٠ وبالرغم من أن الشركة تأسست أصلا فى الكنغو الا أنها نقلت ادارتها ونقلت اعتماداتهـا الى بلجيكا خلال عام ١٩٦٠ عندما كانت الكنغو تحاول الحصول على استقلالها وكانت فى أشد الحاجة الى مؤازرة أولئك الذين ابتزوا منها أموالا طائلة على مر السنين ٠

وتمتد رعاية الشركة الخاصة الى اتحاد المناجم ، وهنـاك الى جانب لجنـة كاتنجا الخاصة نجد شركة كاتنجا متصلة بها ، وتدخل شركة كاتنجا ضمن مجموعة شركة الكنغو للتجارة والصناعة C. C C. I. التى تأسست عام ١٨٨٦ عندما كان ليوبولد الثانى يقوم بانشاء امبراطوريته الشخصية فى الكونغو ، ولقد كان الفضل لأحد اتباع ليوبولد ـ كابتن ثيس ـ ان أصبحت شركةالكنغو للتجارة والصناعة أول مشروع بلجيكى قيم فى قلب القارة الافريقية ، ويرتبط اسـمه فضلا عن محطة الاصلاحات الخاصة بأول سكة حديد تمتد من ماتادى الى ليوبولدفيل، وتعتبر مدينة ثيسفيل ملتقى هام للسكك الحديدية ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت شركة الكونغو للتجـارة والصنـاعة ـ طبقـا لتصريح رئيس مجـلس الشركة العامة ـ متصلة اتصالا مباشرا أو عن طريق فروعها بكل قطـاعات النشـاط الاقتصادى فى الـكونغو ، بمشروعات النقـل والصناعات الزراعيـة ومصـانع الاسمنت وشركات البناء والتعمير والشركاتالعقارية وصناعات الاطعمة والشركات التجارية ، ويؤكد رئيس مجلس الادارة كلامه بقوله : لقد كان من نتيجة اسـهام الشركةفىالكونغو أن أصبحت الأخيرةفىالصفوف الأولى للدول الأفريقية السوداء .

وكثير من المشروعات السابقة تدخل ضمن قائمة مصالح اتحاد المناجم التى كثيرا ما ترتبط بمصالح الشركة العامة • وهكذا نجد أن شركة المعادن العامة بهوبوكين ـ التى تمتلك الشركة العامة ٥٠٫٠٠٠ سهم من أسهمها ـ تقوم باستخراج منتجات شبه جاهزة من مناجم اتحاد المناجم ، وبالتعاون مع شركة فانستيل للمعادن قامت شركة هوبوكين بانشاء فرع مشترك ـ فانستيل هوبوكين ـ فى ديسمبر ١٩٦٢ برأس مال قدره ٣٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك • وتنتج هذه الشركة المعادن وخاصة الطنطلوم والكولمبيوم والتنجستين والموليبينم بأشكالها المختلفة •

وتمثل شركة مناجم وانكى مساهمة اتحاد المناجم فى مناجم الفحم بروديسيا الجنوبية • وبالرغم من أن أسهمها هامة الا أن الشركة الانجليزية الامريكية هى المسيطرة وتقوم بعمل السكرتارية والاستشارة الهندسية لشركة وانكى ، ويبلغ مقدار رأس المال المرخص لها به ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه غطى منه مبلغ ٥٫٢٧٧٫٨١٠ جنيه ، وتمتلك الشركة حقوقا للتعدين للبحث عن الفحم فى مساحة قدرها ١٢٫٠٠٠ فدان كما أن لها حقوقا أخرى فى مساحة قدرها ٢٩٫٠٠٠ فدان فى منطقة وانكى بروديسيا الجنوبية • وان الوسائل التى تسيطر بها مصالح التعدين على الحكومة الخاصة بالمستوطنين عديدة ، ولكن الطريقة التى تعطى بها الادارة الحكومية للمشترين الذين يقومون بتأجيرها توضح بما لا يدعو الى الشك الطرق المخجلة التى يلجئون اليها • فمثلا حصلت مناجم وانكى بمقتضى اتفاقية عقدتها مع حكومة روديسيا على حق استغلال مساحة أخرى من الارض تبلغ ٦٢٫٠٠٠ فدان وفى مقابل ذلك تفضلت مناجم وانكى وسمحت للحكومة بتأجير ٤٠٠ فدان من أرضها•

ويعتبر م• فان دينبرج حلقة الاتصال بين مناجم وانكى وبين شركة معادن كتانجا METALKAT والاخيرة هى فرع من اتحاد المناجم أسس فى بلجيكا عام ١٩٤٨ فى نفس الوقت الذى ارتبطت فيه مع شركة مناجم الزنك بفييل مونتاج لبناء مصنع فى كولويزى يستطيع انتاج ٥٠٫٠٠٠ طن من الزنك سنويا ـ من النوع الالكتروليتى ـ وذلك من مركز الخام المستخرج من منجم ليوبولد التابع لاتحاد المناجم ، وينتج مصنع ميتالكات الزنك والكاديم والنحاس المكرر ، وقد

حققت الشركة برأسمالها الذى يبلغ ٧٥٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك و ١٥٠،٠٠٠ سهم ربحا خالصا قدره ١٦٠،٨٣١،٣٩٣ فرنك في عام ١٩٦١ بعد دفع جميع التزاماتها ومنها فوائد الاسهم البالغ مقدارها ١٢٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك (تقريبا ثلاثة أرباع الربح الخالص) وبعد دفع النسب المئوية الخاصة بالمديرين ومقدارها٥١٧ر٨٥٧ر٧ فرنك .

وتعتبر شركة فييل مونتاج ـ شريكة ميتالكات ـ من أكبر شركات التعدين الاوروبية التى تنتج الزنك والرصاص والفضة ، وكانت قد تأسست فى عام ١٨٣٧ ، ولها عقارات خاصة بالفضة والرصاص والزنك في بلجيكا وفرنسا والجزائر وتونس والمانيا والسويد كما أن لها مصانع للمعادن فى بلجيكا وفرنسا المانيا ، ومن بين أسهمها وعددها ٤٠٥،٠٠٠ سهم التى تشكل رأس المال البالغ قدره ١،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك تمتلك الشركة العامة ٤٠،٧٥٦ سهم . وقد بينت حساباتها فى العام المنتهى آخر ديسمبر ١٩٦١ أنها حققت ربحا قدره ١٣٤،٢٨٧،٥٠٦ فرنك بعد خصم المصروفات الاخرى مثل اعتماد اعادة تزويدها بالمعدات الامر الذى تكلف ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك ، وقد استغرقت أرباح الاسهم مبلغ ١٠١،٢٥٠،٠٠٠ فرنك كما استغرقت الضرائب ٢٧،٧٠٠،٠٠٠ فرنك وأخذت النسب المئوية الخاصة بالادارة والمديرين مبلغ ١٤،٣٢٧،٧٦٠ فرنك ، وبلغ الاحتياطى ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك فى عام ١٩٦١ .

وقد اشتركت شركة كاتنجا ـ المتصلة بلجنة كاتنجا الخاصة ـ مع اتحاد المناجم فى انشاء شركة البحوث المعدنية بجنوب كاتنجا ـ سودكات SUDKAT ولقد كان لكل من شركة كاتنجا واتحاد المناجم مصالح فى مساحة واسعة مجاورة لعقارات الأخيرة ، فقررت الاثنتان توحيد هذه المصالح ، وعند استقلال الكونغو انتقلت السيطرة على سودكات وعلى اعتماداتها الى بلجيكا ، أما منتجاتها من النحاس فى موسوشى ولوبمبى ومن الزنك والرصاص فى كنجيرى ولوبمبى فقد انتقلت الى شركة استغلال مناجم جنوب كاتنجا MINSUDKAT التى تأسست فى الكنغو فى شهر يونيو من عام ١٩٥٥ برأس مال قدره ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك كونجولى .

وتمتلك شركة سودكات مصالح فى شركة الفحم بووكامبيك الخاصة بتعدين الفحم وكذلك فى شركتى يوكسيكونجو وميتالكات ، وقد أنشأت شركة ميتالكات شركة محلية فى عام ١٩٦٢ باسم الشركة المعدنية بكاتنجا برأس مال قدره ٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك أو ١٥٠٫٠٠٠ سهم . وتقوم شركة ميتالكات بانتاج سبائك الزنك .

ومن أهم ميادين استثمارات شركة سودكات شركة سوجمينز ليمتد ، فبالرغم من أن هذه الشركة مسجلة فى مونتريال وبالرغم من أنها تقوم بعملياتها فى كندا الا أنها وثيقة الصلة بالشركة العامة لدرجة أنها تضم فى مجلس ادارتها ستة من مديرى الشركة العامة ، ومن بين هؤلاء الستة اثنان يعملون كمديرين فى اتحاد المناجم ، وتغطى استثمارات الشركة العامة فى شركة سوجمينز ٢٥٩٫٢٥٠من أسهمها الممتازة (قيمة كل منها ١٠ دولارات) وكذلك٢٨١٫٢٥٠٫١ من أسهمها العادية (قيمة كل منها دولار واحد) وهذا يمثل أكثر من خمس رأس مال الشركة الكندية ، وللشركة فرع تمتلكه ملكية تامة هو شركة سوجمينز للتنمية الذى يقوم بعملية التنقيب فى أجزاء مختلفة من كندا وله مصالح صغيرة فى مشروعات تعدين أخرى ، وشركة سوجمينز هى شركة استثمارية تشترك فى أعمال التعدين والبترول والمشروعات الصناعية ويقول ل. ك. بارك و ف. و. بارك فى كتابهما « تحليل وتشريح الاعمال التجارية الكبرى » ان علاقاتها مع رأس المال الكندى ورأس المال البلجيكى أساسها الاحلاف التى تعمل فى بلجيكا أو الكنغو وتلك التى تعمل فى كندا » . (ص ١٥٧) .

وتخصص الشركة العامة ـ وهى الشركة الأم بالنسبة لسوجمينز ـ جانبا كبيرا من تقريرها السنوى لعمليات شركة سوجمينز . وأهم الشركات المتصلة بها هى شركة بتروفينا الكندية . وقد ضربت الشركة الاخيرة فى عام ١٩٦١ رقما قياسيا فى الارباح اذ حققت ربحا قدره ٥٫٥١٦٫٩٢٦ دولار . وشركة بتروفينا الكندية هى شركة بترول بلجيكية لها اتصالات دولية وخاصة بالدول الافريقية الجديدة سواء داخل صناعة البترول أو خارجها ، ولا تقتصر علاقاتها مع الشركة

العامة على ملكية الاسهم ووظائف الادارة · فلها صلات مع عدة مصارف كبرى من بينها البنك البلجيكي وبنك الاتحاد الفرنسي وبنك الكريدى فونسيه البلجيكى وبنك باريس والبلاد المنخفضة وعدد من شركات التأمين ·

وقد تناولتها بعض التنظيمات المالية فى عام ١٩٦٢ بدافع من الشركة العامة وبعض فروعهامثل الشركة الكيميائيةلمشتقات البترول ـ بتروشين PETROCHIN عندما انتقلت اليها بعض أصولها ، وقد انتهزت الشركة العامة الفرصة فساهمت بمبلغ ٢٩٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك فى رأس مال الشركة حيث تمتلك شركات أخرى مصالح فيها ، وتمتلك الشركة العامة فيها ٥٨٫٠٠٠ سهم ، وتكون شركة كوبنام ـ وهى شركة يشترك فيها شركتا بتروشين ويونيون كاربيد ـ حلقة اتصال بين مصالح الشركة العامة المصرفية وبين المصالح المتصلة بالشركة الكيماوية الامريكية الكبرى وهى شركة التأمين العالمية وبين بنك هانوفرالمتصل بالشركة الانجليزية الامريكية وبين اتحاد المصارف الذى يشترك فى المشروعات الافريقية الجديدة ، وهناك بعض النفوذ لروكفلر على بنك هانوفر ، كما أن الاخير متصل بشركة فور الامريكية وهى شركة رئيسية للتأمين ضد الحريق والحوادث·

وتعمل شركة يونيون كاربيد والكربون فى صناعة اليورانيوم ، وقد أصبحت بفضل نفوذ نصيرها المباشر ـ بنك هانوفر ـ واتصالاتها غير المباشرة بمجموعة روكفلر وميلون أهم شركة مقاولات لمصانع الطاقة الذرية التى تمتلكها الحكومة فى أوك بردج وتنيسى وبادوكا وكنتكى، ولهذا الغرض أنشىء قسم مستقل جديد هو شركة يونيون كاربيد النووية التى تدير مناجم لليورانيوم والفانيديوم فى كولورادو ومنجما للتنجستين (وهو عنصر معدنى تصنع منه خيوط المصابيح الكهربائية) فى كاليفورنيا ، ويعتبر مدى مصالح شركة يونيون كاربيد فى عالم الكيمياء واسعا حيث أنها تمتلك قسما خاصا للمواد التركيبية ، وهناك فرع كندى لليونيون كاربيد هو شركة شادنجان للكيماويات وتمتلك شركة كاربيد نصفها كما تمتلك النصف الآخر شركة موتسانتو الكيماوية وشركة كيماويات روزتس الكندية · وهناك فرع آخر تمتلكه شركة البترول البريطانية

الأمريكية وهو شركة ب.أ. شاونجان والشركة الأخيرة متصلة ببنك مونتريال وبميلون ، ولشركة شادنجان للكيماويات عدة فروع تسيطر عليها شركات الولايات المتحدة ، وللشركة العامة شركة نووية هى الشركة البلجيكية للصناعات النووية – BELGO NUCLEAIRE – التى أشرنا الى مصلحة اتحاد المناجم فيها .

ان ماذكرناه ماهو الا لمحة بسيطة عن الشبكة المعقدة التى تربط بين المصالح المصرفية فى أوروبا وأمريكا وبين المشروعات الصناعية فى أفريقيا وغيرها من أجزاء العالم ، وهى ترسم صورة مجردة لطبيعة هذه المصالح المطاطة .

ولا تقتصر أعمال الشركة العامة فى موضوع البترول على شركة بتروفينا وفروعها . ولشركة بتروبلج PETROBELGE – وهى شركة أخرى تقوم بعمليات التنقيب فى شمال بلجيكا – فرع يعمل فى فنزويلا وهذا الفرع هو شركة بتروبلج دى فنزويلا ، وتتصل شركة بتروبلج بشركة بتروفينا وبمكتب البحوث فى أعمال التنقيب فى المغرب ، وستتم المراحل الاولى لهذا الاتصال فى عام ١٩٦٣ ، وتعتبر ايطاليا مسرحا آخر لنشاط بتروبلج ، فهى بالتعاون مع الشركة الايطالية « أوسونيا للمعادن » ومع المؤسسة الفرنسية بتروبار – تقوم باستخراج الهيدروكربونات فى أراضى أوسونيا ، وبالاضافة الى ما تقدم تتصل شركة بتروبلج باتحاد الشركات الايطالية الفرنسية الالمانية فى مشروعات بأقاليم الزلازل على ساحل البحر الادرياتى . وتقوم كل من بتروبلج وبتروفينا مع الشركة الاسبانية « سبسا » بالتنقيب عن الهيدروكربونات فى داخل امتياز تمتلكه « سبسا » .

وتربط شركة بودريرى المتحدة البلجيكية بين برنامج بلجيكا العسكرى (وبالتالى بين برنامج حلف الاطلنطى) وبين هذه المصالح برباط مباشر ، وقد زيد رأس مال شركة بودريرى من ٢٠٣٫٩٠٠٫٠٠٠ فرنك الى ٢٢٦٫٧٠٠٫٠٠٠ فرنك

فى خلال عام ١٩٦٢ ، وفى أوائل هـذا العام امتص المصنع الوطنى للمنتجات الكيماوية والمفرقعات فى بونسيل ببلجيكا الذى اقتضى شراؤه المساهمة فى رأس مال شركة أرندوتك ، وقـد أضيفت مؤسسة البيع الخاصـة بالشركة الاخـيرة الى مجـال نشـاط الشركة المـدنى ، وتتصـل هـذه الشركات البلجيكيـة بشركة المفرقعات الافريقية APRIDEX التى يمتلك اتحـاد المنـاجم بعض المصالح فيها ويؤكد هذا التغلغل العسـكرى والنووى تأكيدا خاصـا انتـاج اليورانيوم من مناجم اتحاد المناجم الذى رفع من شأن الاقتصاد البلجيكى وأدى الى اعادة صقل معداته ، فخرجت من الكونغو الاسلاب التى ساعدت على زيادة استغلال البلاد والتى زادت من نسبة انتاج هذه المنطقة التى خربتهـا الحـرب واحتلها النازى ٠ وحتى قبل نشوب الحرب العالمية الثانية كان اليورانيوم يجعل من منجم شنكولويوى أصلا من الاصول الثابتة الهامة لاتحاد المناجم وللحكومة البلجيكية ٠ وقد عبر أحد الكتاب عن ذلك بقوله :

« لقد نال اتحاد المناجم شهرة سيئة فى السنوات العشرينية والثلاثينية عنـدما أرغم المشـترين أن يدفعوا ٧٠٫٠٠٠ دولار لجرام الراديوم حتى جاءت منافسة شركة الدورادو الكندية فخفضت السعر الى ٢٠٫٠٠٠ دولار للجرام ، وفى كلا المستويين حققت الشركتان ربحا ، وقد قدر الخبراء أرباح اتحاد المناجم بمبلغ ٣٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك فى السـنة أو ٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار بالعملة الامريكية أو أكثر من ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى ٠

وبالرغم من اضطراب المـوقف فى كاتنجا وبالرغم من احتجـاج الشركة بشأن تدهور تجارتها فقد دل بيان حساب اتحاد المناجم فى العام الذى ينتهى فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٠ على أن صافى الأرباح بلغ ٢٫٣٦٥٫٢٨٠٫٥٦٣ فرنك . وامتصت أرباح الاسهم مالا يقل عن ١٫٨٦٣٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك أى أكثر من نصف صافى الارباح كما دخلت خزينة الحكومة البلجيكية على شكل ضرائب ٣٨١٫٥٧٨٫٣١٣ فرنك ، وامتصت مكافآت المـديرين والمحاسـبين والموظفين الاوروبيين ٨٤٫٦٠٩٫٣٣٣ فرنك ٠ بينما تلقى أعضاء اللجنة الدائمة ٧٫١١١٫٥٦٧ فرنك ٠

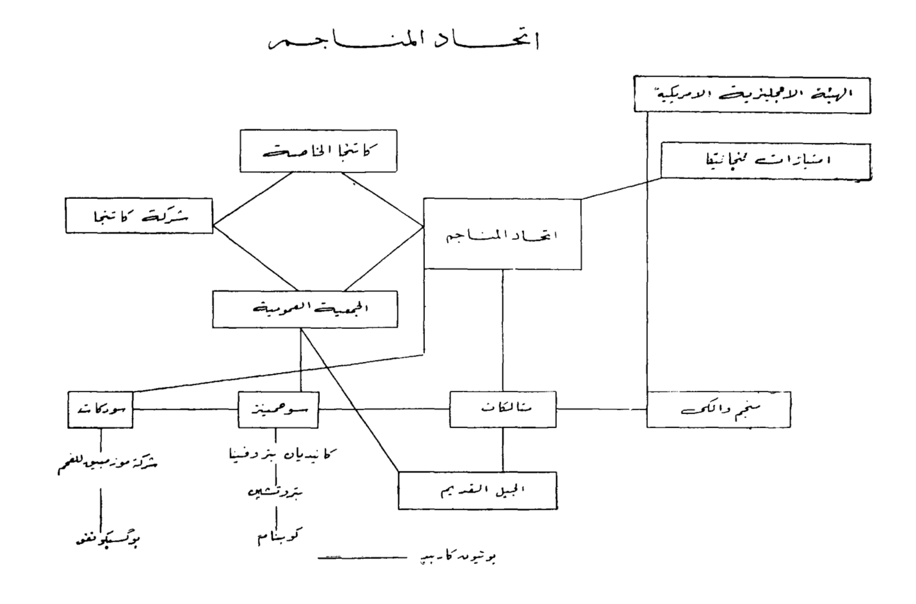
وليست شركة الدورادو للتعدين والتكرير مستقلة عن المصالح المالية التى تسيطر على صناعة كندا والتى تتصل بأفريقيا وغيرها من مناطق العالم غير المتقدمة ، ولذا يجلس فى مجلس ادارتها السكرتير الخاص لوزير سابق ويتصل هذا المجلس بشركة الالومنيوم الكندية التى يجلس فى ادارتها حاكم عام سابق لكندا . وسوف نرى كيف تقوم هذه الصلات بين المالية الدولية وبين كبار الشخصيات العامة على خلق ارتباطات خفية تعمل على تحقيق مصالحها الخاصة التى لا ترتبط مطلقا بالمصلحة العامة التى يتظاهرون بتحقيقها، وسوف نجد أن البنك الملكى بكندا ـ والذى يمثله فى مجلس ادارة شركة الدورادو ف.ج بنيت له اتصالات بالشركة العامة واتحاد المناجم عن طريق سوجمينز وجماعات المصارف وشركات التأمين .

وتعطينا شركة مناجم وانكى مستر م. فان وانيبرج ـ مدير اتحاد المناجم وميتالكات والشركة العامة ، ويتولى بعض زملائه ادارة شركة سوجمينز ، ورئيس مجلس ادارة الشركة الاخيرة هو مستر و.هـ. هوارد وهو فى نفس الوقت نائب رئيس البنك الملكى ورئيس مجلس ادارة شركة ائتمان مونتريال وهو كذلك متصل بمجموعة روزرمير ـ أصحاب الصحف ـ فى بريطانيا وهو أيضا مدير شركة الجوما للصلب التى تمتلك أربعة مناجم للفحم فى غرب فيرجينا ويمتلك معدن الدولوميت فى ولاية متشيجان ، وقد قامت شركة الجوما بتوفير الصلب اللازم لبناء مصنع تكلف ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار فى سولت ستى مارسى بادنتاريو لشركةماينسمان تيوب ، والاخيرة هى فرع من فروع شركة ماينسمان للصلب التى تعتبر عضوا بارزا من أعضاء صناعة الروهر بغرب ألمانيا ، ويقال ان شركة ماينسمان تزيد من تغلغلها فى الصناعة الكندية بخطوات سريعة ومن بين أعضاء مجلس ادارتها ممثلون للبنك الالمانى وبنك درسدنر وواضح أن كليهما يقوما ن بعمليات فى أفريقيا وهما متصلان بالشركة الانجليزية الامريكية . ويرأس مجلس ادارة مايسمان منذ عام ١٩٣٤ و. زانجر وهو عضو سابق فى حزب النازى ، ولقد كان واحدا من جماعة كبيرة من رجال الصناعة الالمان الذين عاونوا النازيين بالمال كى يصلوا الى الحكم كما مدوا جهاز

الحرب النازى بالاسلحة ، وقامت شركةماينسمان فى أيام الغزو النازى للاتحاد السوفييتى بانشاء فروع لفترة قصيرة فى كييف ودنيبر وبتروفسك .

هذه هى القوى التى تربط شخصيات التعدين والصناعة البارزة فىجنوب أفريقيا وروديسيا وانجولا والكونغو وموزمبيق ، ونحن نراهم يشتركون فى مشروعات التنمية فى كثير من الدول الافريقية الجديدة متسترين وراء الوكالات الحكومية والدولية ولكن تنكشف طبيعتهم الحقيقية اذا ما فحصنا أعمالهم بعناية. ان هذه الشخصيات هم المدبرون الحقيقيون للاستعمار الجديد .

وفيما يلى رسم يبين شبكة اتحاد المناجم وما يتفرع منها من شركات ومصالح متنوعة :



اتحاد المناجم
الهيئة الانجليزية الامريكية
امتيازات تنجانيقا
كاتنجا الخاصة
شركة كاتنجا
اتحاد المناجم
الجمعية العمومية
سودكاث
سوجمينز
شالكات
سنجم دالكي
شركة موزمبيق للفحم
بوكسيكو نفو
كانيديان بتروفينا
بتروتشيم
كوبنام
الجيل القديم
بوتيوند كابيي

الفصل الخامس عشر

الضغوط الاقتصادية على جمهورية الكونغو

حدث في ٣٠ يونيو ١٩٦٠ – عندما استقلت الكونغو – أن بدأ ما يمكن أن ينظر اليه المؤرخون على أنه أكثر صفحات تاريخ الكونغو – بل وتاريخ أفريقيا – تعقيدا ، ففي مدى أسابيع قليلة أفلت زمام القانون وزمام النظام عندما قامت جنود « القوة العامة » بامتشاق السلاح والقاء القبض على الضباط البيض ثم التظاهر على شكل عصابات متمردة عندما انتابتهم نوبة من خيبة الامل لان الاستقلال لم يسفر عن تحسين مباشر لمركزهم . وفي هذا الوقت قام مويس تشومبي – بمعاونة مستشاريه من البلجيكيين – باجراءات أدت الى انفصال اقليم كاتنجا . لقد أدى فساد النظام وانتشار الاضطراب الى أن أصيبت جمهورية الكونغو التي حصلت على استقلالها حديثا بالشلل .

أما قصة تدخل الامم المتحدة واغتيال لومومبا فهي قصة معروفة ، وكذلك الاحداث السياسية التي أعقبت ذلك ، وأما المظاهر الاقتصادية المتشابكة في مأساة الكونغو فلم يكشف الستار عنها لاسباب غير خافية . ولكن هذه المظاهر الاقتصادية هي التي تفوق أهميتها أهمية غيرها حيث أن المسيطر عليها هي المصالح الاجنبية التي لا تستهدف الا النفع الشخصي الخاص .

لم يكن هناك استثمار أمريكى كبير فى الكونغو قبل عام ١٩٦٠ وما كان موجودا كان من النوع غير المباشر عن طريق امتيازات تنجانيقا واتحاد المناجم والشركة الانجليزية الامريكية التى كانت تتحكم فيها جماعة أوبنهيمر والتى أساسها مجموعة روكفلر ، وكانت هذه الجماعة تساهم فى شركة النسيج الكبرى ـ شركة الغزل والنسيج الافريقية ـ التى أنشأها اتحاد القطن والشركة العامة فى عام ١٩٤٦ ، وتمتلك أسرة روكفلر فيها ٦٠٠٠ر٦٠ سهم منها ٣٠٠٠ر٣ يمتلكها نلسون روكفلر ويمتلك لورنس روكفلر ٤٣٨ر٢٦ ، ويمتلك الاخير كذلك بعض المصالح الصغيرة فى شركتين أخريين من شركات « الشركة العامة » هما الشركة العامة للسيارات والطائرات بالكونغو وشركة الكونغو للاسمنت ، كما يمتلك حوالى ١٤٪ من رأس مال الشركة التى تقوم بصناعة الصناديق المعدنية وغيرها ويمتلك نفس النسبة فى شركة الكونغو التى تعمل فى تجارة الاناناس أنا كونجو ANACONGO وقد قام كل من لورنس روكفلر ودافيد روكفلر فى عام ١٩٥٢ بالمساهمة للحصول على ٣٠٪ من السنديك الخاص بالدراسات الجيولوجية والمعدنية بالكونغو وما زالت كل المنتجات البترولية المستخدمة فى الكونغو تستورد من الخارج ومن شركة روكفلر العملاقة ـ اسو ستاندرد ـ التى أنشأت لها فرعا للتوزيع فى الكونغو باسم « اسو الكونغولى البلجيكى » ثم تغير اسمه فى عام ١٩٦٠ الى « اسو أفريقيا الوسطى » • وهناك فرع آخر هو شركة بترول سوكونى فاكوم وشركة بترول تكساس يساهمان مساهمة محدودة فى الشركة البترولية للمنتجات البترولية •

وهناك بعض شركات خشب الابلكاش الامريكية مثل شركة الولايات المتحدة لخشب الابلكاش وشركة أجريفور وشركة كورينا كونجو ، وقد عقدت شركة الصناعات الخشبية اتفاقية مع شركة كومنير بمقتضاها تكونت الشركة الكونغولية البلجيكية الامريكية لاخشاب الكونغو « سوكو بيلام » وقد اشتركت شركة صناعات أولين مايشسون ـ التى لها بعض المصالح فى شركة بودريه المتحدة البلجيكية ـ مع اتحاد المناجم وعدد آخر من شركات « الشركة العامة » فى انشاء « شركة المفرقعات الافريقية » أو أفريدكس ، وتمتلك شركة أولين مايشسون خمس رأس المال ، ومن بين الشركات الاخرى التى تقوم بالاستثمار

هناك : الشركة الصناعية الاستثمارية ، وشركة نيويورك ، وشركة أرامكو للصلب ، وشركة تليفون بل ، وشركة جنرال موترز ، وشركة مصاعد أوتيس ٠

وقد حصل بنك أمريكا منذ عام ١٩٦٠ على ٢٠٪ من مجموعة بنك لامبرت ـ سوكو بانك ـ وقام فورد بتأسيس شركة فورد موترز بالكونغو ، وساهم اتحاد كابيه مساهمة متحكمة في شركة سوميلو ، وقام في عام ١٩٦٠ باستغلال منجم الكلور الحرارى ٠ ويحتوى هذا المعدن على مادة النيوبيم وهى مادة نادرة تدخل فى صناعة بعض أنواع خاصة من الصلب ٠

وقد قام دافيد روكفلر بجولة فى الكونغو فى عام ١٩٥٩ لجمع المعلومات قامت جماعته بعدها بشراء ١٠٣٠ سهما من أسهم شركة البحوث والتنقيب عن البوكسيت فى الكونغو ـ بوكسيكونجو ـ وفى يونيو عام ١٩٦٠ أعلن عن عزمه على شراء ٨٪ من رأس المال البالغ ٦٥ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار الخاص بشركة الكونغو للتجارة والصناعة ٠

وقد أنشأ ديلون ريد وشركاه مع هوينى وشركاه ـ مصارف فى نيويورك ـ شركة استثمارية لبحث امكان القيام بعمليات استثمارية أمريكية فى الكونغو ٠ هذه هى شركة يور افريكان الامريكية ٠

والى جانب هذا التغلغل الامريكى فى الكونغو ، فهناك ما هو أهم منه وهو التحكم المستمر من جانب بلجيكا فى شئون الكونغو الاقتصادية ، ويرسم بيير جوى ، روزين لويد فى كتابهما عن « شركات الكونغو » صورة واضحة المعالم عن الأحداث التى وقعت قبل وعقب الاستقلال ٠

وطبقا لما جاء فى كتابهما كانت دولة الكونغو المستقلة تمتلك جزءا كبيرا من رأس مال الشركات الاصلية والشركات الاخرى والمشروعات الخاصة ، أيام ليوبولد الثانى ، وبعد أن تولت الحكومة البلجيكية ادارة الكونغو ازدادت هذه المساهمة بطرق مختلفة : عن طريق التدخل فى انشاء الاجهزة الجديدة ذات الطابع الشبه الحكومى ، وعن طريق الاستيلاء على بعض الحقوق كتعويض لها عن الامتيازات التى تركتها وعن طريق ممارسة حق الاكتتاب بغرض زيادة رأس المال فى الشركات التى كانت دولة الكونغو تمتلك أسهما فيها ٠

وكانت نتيجة ذلك أن حصلت الكونغو البلجيكية على استثمارات ضخمة كانت تقدر بمبلغ ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك على الاقل ٠ وبالاضافة الى ذلك كانت تمتلك عدة امتيازات مثل حق التصويت وحق ترشيح ممثلى مجالس الادارات وذلك فى سلسلة من المشروعات التى كانت لا تساهم فى رءوس أموالها ، وكان هذا الاتفاق يتضمن المساهمة فى :

١ ـ المشروعات ذات الطابع شبه الحكومى مثل : البنك المركزىالكونغولى البلجيكى ، شركة الكريديه أو كولونا ، شركة توزيع المياه والكهرباء ٠

٢ ـ الشركات القانونية : اللجنة الخاصة لكاتنجا C.S.K ، اللجنـة الوطنية لكيفو C.N.Ki ، شركة سكك حديد البحيرات الكبرى ٠

٣ ـ شركات الاستثمار مثلأوناترا وشركة كاتنجا Cie du Katanga ٠

٤ ـ شركة التعدين مثل فورمينير ، مناجم الذهب فى كيلو موتو ٠

٥ ـ مشروعات النقل مثل سيسكيونجو ، النقل فيما بين ليوبولدفيل وسكك حديد K D.L ، سابينا ٠٠ الخ

٦ ـ الانتاج والتوزيع : مثـل القوى الكهـربائية (قوى الغرب وقوى الكونغو السفلى) ٠

٧ ـ المشروعات الخاصة التى تمتلك الكونغو فيها قلة من المصالح ٠

وقد أتاح امتلاك مثل هذا البورتفوليو للسلطات العامة ـ من حيث المبدأ ـ فرصة بسط النفوذ على اقتصاد الكونغو والسيطرة على قطاعات هامة معينـة سيطرة كاملة ، وفضلا عن ذلك فقد كانت هذه التصريحات الرسمية تبرر هذه المساهمة وتعلن أنها تسمح للدولة أن تلعب دورها « كوصية على الصالح العام وكرائدة للوطنيين » ٠

وأوضح مثل لذلك شركة C.S.K ، فقد استطاع ليوبولد الثانى أن يتحكم فى هذه المؤسسة شبه العامة بأن خص الدولة بحق ترشيح أربعة من أعضاء ادارتها الستة ، ولكن بعد أن استولت بلجيكا على الكونغو أصبحت هذه الشركة الاداة الطيعة لاتحاد المناجم ، وكانت هذه الشركة تمتلك غالبية أسهم اتحاد المناجم ، وقد خلعت عليها القوانين الصادرة فى عام ١٩٠٦ حقوقا هامة فى اتحاد المناجم من بينها تعيين المجلس الادارى وتعيين عدد من المديرين ، ولكن لم يحدث قط أن مارست الشركة هذه الحقوق ولكنها على العكس من ذلك كانت تعتمد فى تمثيلها على أبرز قادة رأس المال الخاص .

وكانت سيطرة الشركات على ادارة الكونغو شاملة وخاصة بعد أن تمكنت الشركات الكبرى من أن تضمن مزايا مادية ضخمة لممثلى الدولة الذين دخلوا تحت امرتها .

وقبل يونيو ١٩٦٠ عجلت الشركات بمناوراتها حتى تمنع الشعب الكونغولى من أن يضع يده على ميراثه ، وعند انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة كانت الصحافة المعنية بشئون المال تصر وتؤكد على الحكومة البلجيكية أن تحصل على ضمانات من حكومة الكونغو الجمهورية المستقلة ، « فأول كل شىء كان من الضرورى حماية المشروعات من التأميم المحتوم » ، وكانت الاحزاب الوطنية فى الكونغو مجمعة على معارضة قيام الشركات المالية البلجيكية بفرض حماية اقتصادية على الكونغو بعد ٣٠ يونيو ١٩٦٠ .

ونتيجة لذلك أصرت هذه الاحزاب على وجوب انتقال البورتفوليو كله وبدون شرط الى الجمهورية الفتية التى سوف تتمكن من استخدام حقوقها طبقا له فى تعيين ممثليها فى المؤسسات شبه الحكومية وفى الشركات الكونغولية الخاصة وكان هذا هو الذى بعث الخوف فى نفوس الدوائر البلجيكية المالية ، أى رؤية حكومة جمهورية الكونغو وهى تستخدم حقها الذى لا يعارضها فيه أحد نتيجة لانتقال البورتفوليو الكونغولى اليها .

ولتجنب وقوع هذا قام رايموند شايفين بمحاولته الفاشلة التى سرعان ما كشفها زعماء الكونغو ، لقد اقترح أن يوفر حاجيات الكونغو المالية عن طريق

انشاء « شركة استثمارات مختلطة » تخلع عليها الكونغو ادارة البورتفوليو الخاص بها ، وتقوم بلجيكا من جانبهـا بتقديم معونة سنوية مقـدارها بليون فرنك ، وفشل هذه المحاولة كان من حسن حظ الحكومة البلجيكية من ناحية الشركات المرخص بها حيث أن حلها فى آخر الامر سـيتم قبل ٣٠ يونيو ، كذلك قررت حل شركتى C.S.K و C.N Ki (اللجنة الوطنية لكيفو) قبل أن تحصل الكونغو على استقلالها ·

وانتهز شايفين فرصة مؤتمر المائدة المستديرة وأجرى محادثات مع بعض مندوبى الكونغو ، وحاول أن يقنعهم أنه من الأفضل أن تتقدم الحكومة البلجيكية بهذا الاجراء قبل ٣٠ يونيو ، وجعلهم يؤمنون أنه من المستحسن أن يتم ذلك ، لانه اذا قامت الحكومة الكونغولية بهذا الامر بعد ذلك فان هذا من شأنه أن يخلق جوا فاسدا فى الخارج ويعطى فكرة أن الكونغوليين يقفون ضد الشركات الخاصة ·

وكانت هذه المناورة بارعة ، لانه كان من اليســير اقنــاع المنـدوبين الكونغوليين حيث أن أغلبهم كانوا لا يثقون ثقة تامة فى الشركات المرخص بها ، وقد نادت بعض الاحزاب الكونغوليـة بحل الشركات ونقل حقوقهـا الى الدولة الكونغولية ·

وكان البلجيكيون الرسميون المنوط بهم تنوير المشتركين فى مؤتمر المائدة المستديرة من الناحية الفنية حريصون على الاشارة بأن جمهورية الكونغو سوف تعوض الاستعمـاريين عن طريق استخدامهـا ـ باسم الشـعب الكونغـولى ـ امتيازاتها فى الشركات التى ستئول الى الدولة ·

وفى ٢٧ يونيو ١٩٦٠ ـ أى قبل اعلان الاسـتقلال بثلاثة أيام ـ صـدر مرسوم عاجل بالموافقة على حل شركة C.S.K وتقسيم أصولهـا بين الكونغو وبين شركة كاتنجـا · وبضربة واحدة خسرت جمهورية الكونغو احتمـال استفادتها من أدوات السيطرة القوية التى كان يمكن أن تستخدمها اذا ما استولت على شركة C.S.K والتى كانت تمكنها بالاحتفاظ بامتيازات اتحاد المناجم ·

وعن طريق شركة C.S.K التى كانت ستصبح مؤسسة كونغولية شبه حكومية كان فى امكان جمهورية الكونغو أن تحصل على حقها الشرعى فى تعيين رئيس شركة كاتنجا وتعيين عدد من المديرين فى مجلس ادارتها ، كما كان يمكن للحكومة الكونغولية أن تعبر عن وجهات نظرها فى اجتماعات اتحاد المناجم العامة عن طريق شركة C.S.K التى كانت تمتلك أغلب أسهم اتحاد المناجم ـ وذلك باستخدام حق الشفعة ٠

ولم تقتصر نتيجة حل شركة .C.S.K على أن خسارة جمهورية الكونغو احتمال الاستفادة من امتيازات هذه المؤسسة ، بل ان مرسوم ٢٧ يونيو ١٩٦٠ خلع على شركة كاتنجا فوائد ومزايا اضافية ضخمة ، فاستولت على ثلث الاراضى التى استصلحتها شركة C.N.Ki واستولت على عقاراتها وأموالها فى المصارف كما استولت على حق حصولها على ثلث الايجارات التى كان ينتظر أن تحصل عليها شركة .C.S.K من امتيازات التعدين فى المستقبل ٠

واذا حدث أن عادت حقوق الارض وحقوق التعدين الى الكونغو فان استعادة الكونغو للاراضى الكونغولية والامتيازات التعدينية بها لن يتم دون تعويض ، حيث أن المرسوم نص على أن تقوم جمهورية الكونغو بدفع تعويض الى شركة كاتنجا قدره ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ فرنك ٠

وكانت شركة C N.Ki (اللجنة الوطنية لكيفو) قد تكونت لمدة تنتهى فى ٣١ ديسمبر عام ٢٠١١ ، وهنا كان يمكن أن تكتفى الحكومة الكونغولية باستخدام حقوقها التى خولها لها المرسوم لتمارس نفوذها فى هذه المؤسسة شبه الحكومية ولكن السلطات البلجيكية قامت بعقد اتفاق مع المسئولين فى شركة C.N.Ki يتم بمقتضاه انسحاب الكونغو البلجيكية كشريك فى الامتياز ويتنازل عن حقه فى المؤسسة فى نفس الوقت ٠

وصدر فى ٣٠ مايو ١٩٦٠ مرسوم وافق على هذا الاتفاق وبجرة قلم فقدت شركة C.N.Ki وضعها كمؤسسة شبه حكومية ، وفى ٢١ يونيو ١٩٦٠

قرر حملة أسهمهـا تحويلهـا الى شركة مســـاهمة عامـة اسمهـا شركة كيفر البلجيكية الافريقية ـ سوباكي ـ وقد احتفظت هذه الشركة لنفسهـــا بحـق استغلال مناجم C N.Ki كمـا احتفظت بكل عقارات هـذا البورتفوليو ، واذا حدث أن قامت السلطات العامة بالاستيلاء على ادارة أراضي التاج فقد نص هذا المرسوم على اعطاء حملة أسهم شركة Sobaki تعويضا مجزيا •

وحتى يعطوا هذه الاتفاقيات الصبغة القانونية قامممثلو الحكومة البلجيكية باعلان أنهم انما يتصرفون وفق الرغبات التى سبق أن عبر عنها المؤتمر المـالى الاقتصادى الاجتماعى الذى عقد فى بروكسل فى شهرى أبريل ومايو ١٩٦٠ والحقيقة أن قيام السلطات البلجيكية باعلان حل شركتى .C.S.K و C.N.Ki كان تعبيرا عن رغبة الســلطات البلجيكيـــة بوضع عمل تم فعـــلا أمام الدولة الكونغولية •

وحتى تســتطيع الشركات البلجيكيـــة أن تثبت أنه لا يمكن للكونغو أن تستغنى عن عون بلجيكا المالى عمدت الى سحب مبالغ ضخمة من رءوس الاموال مع دفع تصدير المنتجات الكونغولية الى الحد الاقصى وتحديد الواردات الى الحد الادنى ، وكانت النتيجة أن اختل ميزان التجارة الكونغولى بفائض قدره ١٣٫٤١٧ مليون فرنك • والحقيقة أن نسبة كبيرة من المبالغ التى كان ينتظر أن تحصلها البلاد من بيع المنتجات الكونغولية لم ترجع الى المستعمرة ، وفى أثنـــاء ذلك خرج من الكونغو أكثر من ٧ بليون فرنك من رأس المال الخاص •

لقد كلفت هذه المناورات الدولة الافريقية الفتية غاليا وقربتها من حافة الهاوية ، بل ولم يفعلوا شيئا لحل هذه المشــكلة الاساسية التى كان مستقبل الكونغو يواجهها ـ كيف يمكن أن تشفى البلاد من مرض التخلف •

الفصل السادس عشر

المناطق المالية والمصارف الأجنبية

لقد وضعت لجنة الامم المتحدة الاقتصادية الخاصة بأفريقيا تقريرا يفيد أن القارة الافريقية تجد نفسها فى مأزق نتيجة نظم تجارية مختلفة ونظم مدفوعات مختلفة أيضا تساندها فى أغلب الحالات قيود وارتباطات اقتصادية بدول أو بجماعات من دول خارج نطاق القارة الافريقية، ومن أقوى الطرق التى اتبعتها بريطانيا وفرنسا للاحتفاظ بصلاتها الاقتصادية مع مستعمراتها السابقة العمل لضمان بقاء الدول الجديدة داخل النطاق المالى المتركز فى لندن وباريس .

وهناك سبع جماعات كبرى للنقد فى أفريقيا : منطقة الفرنك الفرنسى ، ومنطقة الاسترلينى ومنطقة الفرنك البلجيكى ومنطقة البزيتا الاسبانية ومنطقة الاسكودو البرتغالية ومنطقة راند بجنوب أفريقيا ودول لها وحدات نقد مستقلة مثل الجمهورية العربية المتحدة والكونغو (ليوبولدفيل) والسواد الاعظم من تجارة أفريقيا يدخل فى نطاق الجنيه الاسترلينى والفرنك الفرنسى .

وكانت منطقة الجنيه الاسترلينى أقل احكاما من كتلة الفرنك الفرنسى ، فمثلا أنشأت كل من نيجيريا وغانا نقدا خاصا بها وأنشأت بنوكها المركزية ، وان كانت ما تزال تحتفظ باحتياطيها الدولى على شكل جنيهات استرلينية ، وعندما قمت بافتتاح بنك غانا فى أواخر شهر يوليو من عام ١٩٥٩ تكلمت عن الدور الحاسم الذى يلعبه البنك المركزى فى حياة البلاد الاقتصادية فقلت « سوف

لا يكون لاستقلالنا السياسى أى معنى ما لم نستخدمه للحصــول على استقلالنا الاقتصادى والمالى • وحتى نستطيع الحصول على هذا الاستقلال الاخير كان أهم ما يجب على الحكومة أن تقوم به هو انشاء بنك مركزى » • وعندما قمنا بانشاء بنك غانا حصلنا على مساعدة بنك انجلترا ، ولكن كان بنكنا يتبع دائما سياسة من شأنها الاحتفاظ باستقلالنا الاقتصادى وتغذية تنمية البلاد تنمية عامة •

ان بنك غانا لا يعتمد على احتياطى التبادل الاجنبى فى انجلترا ولكنــه يسيطر سيطرة كاملة على تجارته الخارجية •

ان مجلس ادارة النقد فى أفريقيا الشرقية هو المؤسسة المالية التى تضم عدة دول فى منطقة الجنيه الاسترلينى ، وهو يشمل كينيا وتنزانيا وأوغنده فى أفريقيا وعدن خارجها ، ولهذه الدول عملة يمكن تحويلها بحرية بسعر ثابت الى جنيهات استرلينية ، وليس للدول الاعضاء فى ادارة النقد سيطرة على أموالها المحلية ، بل تتحكم فيها مستويات من الصادرات والواردات واستثمارات أجنبية وسياسة للاقراض من بنوك لندن ، وطبقا لهذا التنظيم يؤدى النمو الموجه فى الغالب الى نقص فى العملة ، الشىء الذى يعوق أى توسع •

ونجد أن « البنوك الخمس العظمى » هى تسمية تستخدم كثيرا فى بريطانيا، وهذه البنوك بمواردها الضخمة متصلة اتصالا وثيقــا برجال الصناعة مكونة مجموعة صغيرة ولكنها فى غاية القوة ولها مصالح منتشرة فى جميع أنحاء العالم• ففى عام ١٩٥١ كان هناك ١٤٧ مديرا من مديرى البنوك الخمسة العظمى يشغلون فيما بينهم ١٠٠٨ منصبا من مناصب الادارة منها ٢٩٩ فى مؤسسات مالية أخرى مثل البنوك وشركات التأمين وشركات الاســتثمار ، وهنــاك كثير من كبريات الشركات لها مديرين فى مجالس ادارة أكثر من بنك من البنوك الكبرى ، وكلما ازداد التشابك كلما صعب علينا أن نقول أن هذا رجل أعمال أو رجل مال ، وكل ما يمكن قوله أن هناك جماعة من الرأسماليين يسيطرون على عالمى المال والصناعة•

وأخطار هذه الروابط الوثيقة بالبنوك الاجنبية واضحة ، ولكن يمكننا أن ندرك مدى اسهام البنوك الاجنبية فى البنوك الافريقية من الجدول الآتى :

جمهورية الكونغو : يعتبر بنك الكريدى كونجوليــه فرعا من فروع بنك باركليز لما وراء البحار عن طريق فرعه فى أنتورب : البنك التجارى ٠

ويعتبر البنك الدولى للتجارة والصناعة فرعا من فروع بنك B.N.C.I. بباريس عن طريق فرعه B.N.C.I. الافريقى ٠

ويعتبر البنك التجارى الكونغولى فرعا لبنك الكريدى ليونيه ٠

وتتكون الجمعية العامة لبنوك الكونغو من بنك بايريش فيرنز ٥٪ ٠

جمعية باريس العامة ٥١٪ ، بنك العمل الوطنى ، بنك الاتحاد الباريسى والشركة الدولية للبنوك ٠

الكونغو (ليوبولدفيل) : البنك الدولى للتجارة هو فرع لـ B.N.C.I.

الجمعية الكنغولية للبنك : فرع آخر من فروع B.N.C.I

بنك أفريقيا البلجيكى : (بنك بروكسل وبروفينا) ٠

البنك المركزى للكونغو البلجيكية وروااندا أوراندى ٠

بنك الكونغو البلجيكية ٠

البنك البلجيكى الكنغولى ٠

الكمرون : الشركة الكمرونية للبنوك (البنك الألمانى ٥٪) ، بنك الكريدى ليونيه ٠

الكريدى ليونيه ٠

البنك الدولى للتجارة والصناعة B.I.C.I. • والاخير هو فرع من فروع بنك B.N.C.I.

الجمعية العامة لبنوك الكمرون وتتكون من بنك بايريش فيرنس ٥٪ جمعية باريس العامة ٥١٪ بنك الاتحاد الباريسى ، بنك العمل الوطنى وجمعية البنوك الدولية (مورجان) •

جابون : الاتحـــاد الجابونى للبنوك : (البنك الالمـانى ١٠٪ ، الكريدى ليونيه) •

ليبيريا : بنك مونروفيـــا : ويملكه ١٠٠٪ البنك الاهلى الاول بنيويورك (مورجان) •

بنك ليبيريا للتجارة والتنمية (ميديوبانكا ٦٠٪ ، جمعية البنوك الدولية (مورجان) •

ليبيا : بنك الصحراء الكبرى (طرابلس) •

بنك أمريكا الدولى ، كاليفورنيا ، بنك صقلية ، بالرنو •

أفريقيا الوسطى : اتحاد بنوك أفريقيا الوسطى : وتملكه جمعية باريس العامة والكريدى ليونيه •

نيجيريا : بنك باركليز •

بنك أفريقيا الغربية •

فيليب هيل (نيجيريا) ليمتد : يتكون من فيليب هيل ٤٠٪ البنك التجارى الايطالى ٣٠٪ ، الكريدى ليونيه ٣٠٪ •

البنك المتحد بأفريقيا : B.N.C.I. : بنك روتردام ، بنك العمل الوطنى وجمعية البنوك (مورجان) •

بنك نيجيريا للصناعة والتنمية : (شركة تشيس الدولية ، بنك أمريكا ، البنك الشمالى الغربى الدولى ، شركة ارفنج المالية الدولية ، بنك طوكيو ، يمتلك معهد موبيليارى الايطالى بالاشتراك مع البنك التجارى اسهما قيمتها ٤٨٠ر٠٠٠ جنيه ، الجمعية الماليـة لدول ما وراء البحار وتتكون من الشركة المالية الدولية (٤٩٠ر٠٠٠ جنيه) بنك نيجيريا (٤٩٠ر٠٠٠ جنيه) ، استثمار نيجيرى خاص (٢٠ر٠٠٠ جنيه) ، شركة نيجيريا للاستثمار (٥٠٠ر٠٠٠ جنيه) ٠

وهناك قرض حكومى يرفع جملة المبالغ الى ٤٪ مليون جنيه ٠

رواندا بوراندى : بنك رواندا أوراندى وهو أحد فروع B.N.C.I

السودان : بنك النيلين وهو أحد فروع الكريدى ليونيه ٠

ساحل العاج : الجمعيـة العـامة لبنوك سـاحل العاج وتتكون من بنك بايريش فيرنس ، جمعية باريس العامة ، بنك الاتحـاد البارسى بنك العمل الوطنى ، شركة البنوك الدولية (مورجان) ٠

بنك الكريدى العاجى وهو أحد فروع الكريدى ليونيه ٠

بنك B.N.C.I لسـاحل العاج وهو أحد فروع بنك B.N.C.I ٠

جمعية سـاحل العاج للبنوك وتتكون من البنك الالمانى ١٦٪ ، الكريدى ليونيه ٤٢٪ ، شركة البنوك الدولية ١٦٪ ، البنك التجارى الايطالى ١٦٪ ، حكومة ساحل العاج ١٠٪ ٠

داهومى : جمعية داهومى للبنوك : أحد فروع الكريدى ليونيه ٠

مالى : بنك كريديه المالى : أحد فروع الكريديه ليونيه ٠

المغرب : بنك المغرب الفرنسى السـويسرى ويتكون من شركة البنك السويسرى ٥٠٪ بنك الكريدى التجارى الفرنسى ٥٠٪ ٠

البنك الاهلى للتنمية الاقتصادية ويتكون من البنك الالمانى ، بنك العمل الوطنى والبنك التجارى •

بنك كيس ماروكين دى مارش وتمتلك الكريديه فونسييه جزءا منه •

بنك الفونسييه بالمغرب وتمتلك كريدى دى نور جزءا منه •

بنك المغرب التجارى ويتكون من الشركة الصناعية التجارية C.I.C والكريدى ليونيه بالمغرب والاتحاد الافريقى المالى بالمغرب والاتحاد الاوروبى الصناعى والمالى •

تشاد : البنك التشادى للكريدى والديبو (حكومة تشاد والكريدى ليونيه)•

تونس : اتحاد البنوك للتجارة والصناعة (B.N.C.I. وبنك روما) •

بنك تونس C.I.C.

الاتحاد الدولى للبنوك •

بنك الاسكومبت والكريدى للصناعة بتونس B.E.I.T. ويتكون من بنك شمال أفريقيا الصناعى، جمعية البنوك الدولية (مورجان) وبنك الكومتوار الوطنى ويسكومبت بباريس •

مدغشقر : بنك ملاجاش للاسكومبت والكريدى •

جنوب أفريقيا : بالاضافة الى بنك باركليز وبنك الكريدى ليونيه وغيرها من بنوك المملكة المتحدة وفرنسا الكبرى هناك بنك جنوب أفريقيا الفرنسى (بنك الهند الصينية) ، البنك الاهلى الاول لمدينة نيويورك ، البنك التجارى الافريقى C.I C. (١٢٫٦٣١ سهم) وبنك ستاندرد •

* * *

بالاضافة الى ما تقدم هناك عدد من البنوك الاخرى تعمل فى أنحاء أفريقيا مثل البنك البريطانى للشرق الاوسط الذى يعمل فى تونس والمغرب وليبيا ، ومثل بنك ناشيونال وجريندلى وله فروع ووكالات فى جمهورية الصــومال ، وهناك بنك أنشىء حديثا هو البنك التجارى بأفريقيا الوسطى ومنشئه جماعة روتشيلد للبنوك ، وهناك بنك لامبرت وبنك مديوبالكا .

وتدل تقارير البنوك الفرنسية الهامة فى السنة المالية ١٩٦٣/١٩٦٤ على أنها تقوم بتكييف نفسها طبقا لاحوال الدول المستقلة الجديدة دون أن تفقد جزءا من نفوذها السابق .

وفيما يلى تقرير بنك الكومبتوار الوطنى ديسكومت بباريس كما ظهر فى صحيفة ليموند بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٦٤ .

« لقد شكلنا سياستنا فى أفريقيا فى قالب جــديد . ففتحنا فى شهر أبريل ــ كما أشرنا فى العــام الماضى ــ بنك الاسكومت والكريدى للصناعة فى تونس B.E.I.T. والبنك الصناعى لشمال أفريقيا B.I.A.N. والشركة الدولية للائتمان (مورجان) . وهذه المؤسسة الجديدة قد ضمت فروعنا المحلية وفروع B.I.A.N ولقد اعتزمنا أن ننشىء بالاشتراك مع حكومة ملاجاشى بنك ملاجاشى للاســكومت والكريدى B.A.M.E.S. الذى ألحقنا به وكالاتنا فى مدغشقر والذى ترأسه شخصية ملاجاشية ويديره مجلس مشترك . كما نأمل أن نعطى قطاعنا التقليدى هذا ــ هذا القطاع الخاص بنفوذنا ــ دفعا جديدا ونؤكد بذلك مركزنا الذى احتفظنا به فى مدغشقر منذ عام ١٨٨٥ ، أما فى الجزائر فقد احتفظنا بوكالة واحدة فى مدينة الجزائر حيث احتفظنا فيها ببعض النشاط بالرغم من الظروف » .

وقبل ذلك بثلاثة أيام ــ أى فى ١٣ يونيو ١٩٦٤ نشرت صحيفة لوموند تقريرا عن نشاط الكريدى ليونيه جاء فيه :

« لقد بدانا فى خلال شهر فبراير من عام ١٩٦٣ بمعاونة البنك المغربى للتجـــارة تحويل وكالاتنـــا الى شركة تخضــع للقــانون المغربى • ان شركة B.M.C.E.E. تســـاهم مســـاهمة فعالة فى رأس مال الشركة الجـديدة (٠٠٠ر٠٠٠ر٦ درهم) التى تعمل تحت اسم الكريدى ليونيه بالمغرب •

أما فى تونس حيث حصلت وكالاتنـــا على نتائج مرضية فقـد أسـفرت المحادثات مع الجمعية التونسية للبنوك والبنك التجارى الايطالى والبنك التجارى الالمانى وبنك أمريكا عن انشاء الاتحاد الدولى للبنوك برأس مال قدره ٠٠٠ر٧٠٠ دينار الذى قام بعمل وكالاتنا ابتداء من ٢ يناير ١٩٦٤ •

وبمعاونة جمهورية تشاد تم انشاء البنك التشادى للكريدى والديبو فى فبراير ١٩٦٣ برأس مال قـدره ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ فرنك • وهذان الاســهامان الاخيران يساعدان على اكمال تمثيلنا فى القارة السوداء حيث تقوم احدى عشرة شركة مصرفية برعاية مصالحنا » •

وقد احتفظ الفرنسيون بعلاقات نقدية وثيقة مع البلاد الواقعة فى أفريقيا الغربية الفرنسية وأفريقيــا الاستوائية الفرنسية ، ويســيطر البنك المركزى لولايات أفريقيا الغربية Banque Centrale des Etats de l'Afrique de l'Ouest على النقد فى كل من موريتانيا والسنغال وســاحل العاج وفولتا العليا وداهومى والنيجر ، وما زالت العملة التى يصـــدرها البنك تســمى بالفرنك C.F.A (وكانت هذه اختصار الكلمات Colonies Francaises d'Afrique) أى مستعمرات أفريقيا الفرنسية ، اما الآن فنفس الحروف C.F.A. هى اختصــار للكلمات Communanté Financière Africaine • وقد انشئت لجان مالية فى الدول المختلفة ويمثل فيها الأفريقيون تمثيلا طفيفا •

ولا ينطبق هذا على البنك المركزى لولايات أفريقيا الاستوائية والكمرون B.C.E.A.C. الذى يختص بالكونغو (برازفيل) وجابون وجمهورية أفريقيــا

الوسطى وتشاد ، والكمرون ، وتمتلك اللجان المالية الوطنية نفس السلطات التى كانت لها فى أفريقيا الغربية الفرنسية الســابقة ويتكون المجلس الادارى من فرنسيين •

وكما سبق أن أشارت جماعة للبحوث فى قسم الاقتصاد بجامعة غانا إلى أن أهم ما يميز كتلات النقد أن الاحتياطى من النقد الاجنبى لدول منطقة الفرنك السويسرى موجود كله فى فرنسا نفسها ، وتقوم هذه بتقرير نصيب كل عضو على انفراد ، ولكن لا يمكن للعضو أن يسحبه الا بحدود تنظمها اتفاقية ثنائية مع الحكومة الفرنسية، أما سياسة النقد المحلية والاشراف على النقد الاجنبى والسياسة الضرائبية ، فيجب أن تعمل داخل نطاق الاطار الذى يحدده الفرنسيون » •

وهناك بعض المستعمرات الفرنسية السابقة مثل تونس والمغرب والجزائر ومالى وغينيا قامت منذ حصولها على الاستقلال بانشاء بنوك وعملات خاصة بها ، ولكنها ما زالت تربط نقدها بالفرنك الفرنسى •

ولقد أصاب وجود نقد مستقل نمو التجارة فى أفريقيا بالضرر ، لقد أدى هذا الى خلق تجارة غير شرعية والى خسارة فى الايراد فى بلاد كثيرة مما يجعل مهمة انشاء سوق افريقية مشتركة أمرا عسيرا ، ومثلها مثل الحدود السياسية المصطنعة القديمة التى هى أثر من آثار العهد الاستعمارى فان هذه المناطق المالية المختلفة تساعد على تأكيد الاختلافات فى الوقت الذى يجب أن تعمل فيه الدول الافريقية المستقلة على توحيد تنميتها الاقتصادية •

انها تطيل الصلة بالدول المستعمرة السابقة كمــا تقوى قوى الاستعمار الجديد •

ولقد خطونا خطوة الى الامام فى سبيل تحقيق التعاون الاقتصادى فى القارة فى شهر سبتمبر ١٩٦٤ عندما أنشأنا بنك التنمية الافريقى ، ومقره فى ابيدجان بساحل العاج وتقتصر عضويته على الحكومات الافريقية المستقلة • ويتولى السلطة

في البنك مجلس المديرين ، كل مدير يمثل احدى الدول الاعضاء ، وهدف البنك هو الاسراع في عملية التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي بين الدول الاعضاء ، ولتحقيق هذا الهدف يشجع البنك استثمار رأس المال العام والخاص في أفريقيا .

وبينما نشجع الاستثمار الاجنبي الخاص الا أننا ننظمه بحيث يوجه الى قطاعات التنمية الهامة دون أن نتيح فرصة كي يتحكم الاجانب في هذه القطاعات ، وهنا نرى الحاجة ماسة أيضا الى وجود تخطيط موحد ، وبمعاونة حكومة موحدة وقانون للقارة يتحكم في الاستثمار الاجنبي يستطيع بنك التنمية الافريقي أن يسير قدما نحو الاسراع في عمله الخاص بتحقيق التنمية الاقتصادية للقارة .

الفصل السابع عشر

الصناعات الجديدة وأثرها على الدول المنتجة للمواد الأولية

ان الحرب العالمية الثانية التى كانت تجرى على نطاق يشمل كل الكرة الأرضية تقريبا كانت تتطلب العبقرية العلمية الابتكارية بشكل لم يسبق له مثيل، ولكنها كانت كلها تسير نحو هدف واحد هو الدمار . كانت الحاجة تدعو الى كميات ضخمة من العتاد والى كميات ضخمة من التموين وخدماته ، وكلها تخدم غرضا واحدا هو القضاء على الشعوب ومحو المدن ، وكان هذا يتطلب معاونة الحكومات لاعمال البحث الخاصة بابتكار الطرق الجديدة للانتاج على نطاق واسع ، وكانت الولايات المتحدة التى أصبحت الترسانة الأولى لحلفائها الغربيين من أولى الدول التى عمدت الى تعديل جهازها الصناعى حتى يتكيف مع الطرق الحديثة فى نهاية الحرب، ومنذ ذلك الوقت زادت الحاجة الى اعادة تعمير المدن المخربة والى اصلاح الاقتصاد المتصدع من سرعة هذا الاتجاه ، وزاد من هذه السرعة أيضا سياسة التطويق والمغامرات العسكرية ـ مثل فيتنام وقبرص وكوريا ـ والحرب الباردة وتخزين الاسلحة وسباق الصواريخ وسباق بناء سفن الفضاء ، وينتشر بسرعة أيضا الاتجاه نحو الاوتوماتيكية ونحو استخدام الالكترونات كما هو حادث الآن فى أمريكا حيث يحاولون فى كل انتاج على نطاق واسع أن يحل زر من الازرار محل العمل اليدوى .

وقد أدى التقدم فى القدرة الانتاجية الى زيادة الطلب على مواد الصناعة الاولية ، كما نشأت تشكيلة كبيرة من المواد الخام التركيبية التى يساعد بعضها المنتجات الطبيعية كما يحل بعضها الآخر محل هذه المنتجات ٠ وكان لهذا أثره على أسعار المواد الأولية الطبيعية فى السوق وهى حقيقة أوضحها رئيس مجلس ادارة اتحاد مناجم كاتنجا العليا فى اجتماع حملة الاسهم المنعقد فى عام ١٩٦٤ ٠ وتقع بورصة المعادن فى لندن ـ وهى الهيئة المتحكمة فى الاسعار العالمية للمعادن ـ تحت نفوذ كبار المنتجين والمنقبين مثل اتحاد المناجم نفسه والشركات المتصلة به مثل شركة الاختيار الروديسية وشركة كونزنك ريو تنتو وشركة المعادن المتحدة وشركة لندن للقصدير ٠

ويهدد المشتغلون بتجارة الكاكاو البلاد المنتجة بأنهم سوف يستخدمون المواد التركيبية البديلة ، كذلك نجد أن البلاد التى تقوم بزراعة المطاط تعارض استخدام المنتجات الصناعية ، وكما أن ارتفاع أسعار المنتجات الاولية وذبذبتها يتحكم فيه المنتجون المحتكرون كذلك نجد أن التهديد باستخدام المواد التركيبية ليس بالتهديد الذى يحتقر شأنه وذلك لأن المتحكمين فى المواد الطبيعية هم المنتجون للمواد الصناعية ، ولهذا يحرص منتجو المواد التركيبية على ألا يمنعوا فى منافسة المنتجات الطبيعية ، مثال ذلك : نجد أن شركة دنلوب لا تنشط كثيرا فى صناعة المطاط الصناعى بسبب مزارعها الواسعة فى الملايو ٠

ويستغل عمالقة المطاط فى أمريكا ـ فايرستون ، جودرتش ، جودير مطاط الولايات المتحدة ـ فى انتاج المطاط الصناعى، فتعمل شركة مطاط الولايات المتحدة فى مزرعة للمطاط فى الملايو وأندونيسيا ومساحتها ٩٠ر٠٠٠ فدان بالاضافة الى امتيازات لها فى البرازيل وفنزويلا وكولمبيا وغيرها من دول أمريكا اللاتينية ٠ ويوجد مطاطها الصناعى ومصانعه فى الولايات الجنوبية للولايات المتحدة حيث اليد العاملة أرخص من الشمال ، وفى عام ١٩٦٢ زاد نطاق انتاجها من البلاستيك كما زاد انتاج مادتها « الكرالية » والاخيرة هى خليط من المطاط والبلاستيك يستخدم فى السيارات وفى الاجهزة الاخرى التى كانت تستخدم المطاط قبل ذلك ٠

وتمتلك شركة جوديير ـ وهى احدى الشركات العشرين الكبرى فى الولايات المتحدة ـ مزارعها من المطاط فى أندونيسيا وكوستاريكا والبرازيل وجواتيمالا ، وهى تدير مصانع للمطاط الصناعى فى هوستون بتكسـاس وأكرون بأوهيو ، وفى عام ١٩٦١ زادت امكانيات الشركة فى مجـال البحوث الخاصـة بالمطـاط والبلاستيك وغيرهما بمقدار ٣٠٪ ، وأصبحت الشركة مهتمة بالكيماويات والملاحة الجوية ٠

وقد أصبحت شركة فايرستون مضغة فى الافواه فى أفريقيـا الغربيـة ، والى أن قدمت شركات التنقيب عن خام الحديد كانت هى المسيطرة على اقتصـاد ليبريا ، وما زالوا يطلقون عليها هناك « ملك المطاط » وكغيرها من عمالقة شركات المطاط فانها تحصل على مطاطها من مزارعها فى دول أمريكا اللاتينية وفى سيلان ، ولها ثمانية وخمسون مصنعا فى الولايات المتحدة منها أربعة لصناعة المطـاط الصناعى وواحد بغرض الدفاع الوطنى ، ولها كذلك ثلاثة وخمسـون مصنعا منتشرة فى أنحاء العالم وخاصة فى نصف الكرة الغربى ٠

وتأخذ شركة جودريتش نفس الوضع ٠ وهى منتجة للراتنج ذات الماركة التجارية ـ جيون ـ وهى تتحكم فى شركة جيون البريطانية متعاونة مع شركة التقطير وهى التى تتحكم فى تجارة الوسكى والجن فى بريطانيا العظمى ، ومعهما أكثر من مائة شركة فرعية تشتغل فى المركبات الكيماوية وفى الكحول الصناعى وفى البلاستيك وفى سبائك المغنسيوم التى تستخدم فى آلات النفاثات وفى غيرها من العمليات الاخرى ، ومن بين الشركات التابعة لجودريتش شركة صناعات B. T. R. التى تضم فيما تضم شركة الاطارات والمطاط البريطانية والشركة الدولية للمطاط الصناعى ، ومزارع المطاط التى تمتلكها شركة جودريتش موجودة فى ليبريا وفى أمريكا اللاتينية وفى الملايو ، وتتصل هذه الشركة بشركة A.K.U. Algemene Kunstzijde Unie بهولنـدة مكونة شركة لصـناعة المطـاط الصناعى الذى يستخدم فى أغراض خاصة وهى التى تتحكم فى كبار منتجى المطاط من الفرنسيين مثل كليجر كوئبس ، ومثل شركتى فايرستون ومطـاط الولايات المتحدة لها شركات تتبعها فى اليابان ٠

فهذه الشركات وغيرها من شركات المطاط الدولية الرئيسية مثل شركة بيرللي الايطاليه ومثل شركتى كونتننتال وفينكس الالمانيتين ومثل شركتىميشلان وكليجر كولومبوس الفرنسيتين ومثل شركة دنلوب البريطانية تكمل الدائرة الصغيرة من الشركات التى تسيطر على انتاج العالم من المطاط ، وكلها تقوم بانتاج المطاط الصناعى وغيره من المواد التركيبية • وتدل وسائل الاعلان العنيفة التى تستخدمها هذه الشركات فى كل بلاد العالم على المنافسة الحادة بينها من أجل الحصول على الاسواق • ونجد أن لكل منها مصانع وعددا من الوكلاء والممثلين منتشرين فى أنحاء الكرة الارضية •

ويوضح هذا العرض الموجز للشركات المحتكرة لانتاج المطاط علاقاتها بعضها ببعض وسيطرتها الكاملة على كل من المطاط الطبيعى والصناعى فى جميع أنحاء العالم • ويتضح أكثر اذا ما توغلنا بعمق فى عمليات الشركات الصناعية كيف أن هذه الشركات تسيء استغلال الدول النامية اساءة بالغة •

ولما كانتالدول الصناعية هى التى تقوم بصناعة المنتجات الاساسية الجديدة اللازمة للصناعات الجديدة كانت هى المستثمرة الكبرىوصاحبة الامتياز فىالحصول على المواد الاولية المأخوذة من البلاد غير الصناعية ، ومن بين هذه البلاد استراليا وكندا وهما تعتبران لاغراض عملية مستعمرات مالية لرأس المال الغربى الذى يسيطر عليه الامريكيون •

ونظرا لما يتطلبه اكتشاف المنتجات الجديدة والوصول بها الى حد الكمال ، ونظرا لما يتطلبه انشاء المصانع التىتقوم بانتاجها ، ونظرا لضخامة رءوس الاموال المطلوبة لهذا الغرض أصبح انتاج هذه المواد الصناعية حكرا على قلة من أضخم المؤسسات العالمية مثل شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية I. C. I. وشركة ديبونت دينيمور وشركة اتحاد كاربيد وشركة كورتول وشركة سينا وفيسكوزا وشركة مونتى كاتينى وشركة A.K U. وشركة يونيليفر والشركة الثلاثية المكونة من فاربن باير وهوشست و B.A.FS. وشركة داو الكيماوية ،

وشركة كبريت خليج تكساس وشركة لونزا وشركة سيشيم ، وتتصل الشركة اليابانية المتفرعة من شركات ميتسوى - وهى شركة تويو رايون - بكبريات الشركات الامريكية والاوروبية مثل شركات ديبونت، I. C. I. ومونتى كاتينى ، وقد اهتمت بها شركة ديبونت فى أثناء احتلال أمريكا لليابان عقب الحرب العالمية الثانية ، وتقوم هذه الشركات العملاقة بتجميع قواها من أجل السيطرة ، ونجد بينها منافسة وحشية طوال الوقت بغرض احتكار الاسواق واحتكار منابع المواد الاولية اللازمة لا لانتاج المواد الصناعية (التركيبية) فحسب ولكن من أجل انتاج الصناعات المعدنية والالكترونية والنووية التى أصبحت جزءا لا يتجزأ من توسع ما بعد الحرب ، ولذلك لم يعد عجيبا حتى أثر نظرة عابرة على مصالحها أن نرى تغلغلها فى استغلال المواد الخام فى القارة الافريقية حتى وان كانت تحركاتها المالية تبدو وكأنها بعيدة كل البعد عن هذه العمليات .

وعندما كانت فكرة انضمام أو اندماج شركة كورتول مع شركة I. C. I. محل نظر فى عام ١٩٦١ كان لها رد فعل فى العالم كله ، ولكن لا نستغرب ذلك اذا ما استعرضنا تشعباتها واستعرضنا مركز شركة I. C. I. فى أسواق العالم الصناعية والتجارية ، وتمثل شركة I. C. I. ، أكثر من ٣٠٪ من الصناعات الكيماوية البريطانية و ٨٨٪ من رأسمالها موزع فى خمسين دولة ، ويبلغ رأس المال المرخص لها به عدة أضعاف ميزانية معظم الدول الافريقية ، وكان فى نهاية عام ١٩٦٢ - ٣٠٣ر٣٩٣ر٩١٠ جنيه استرلينى ، وهذا الرقم أكبر من ميزانية جنوب أفريقيا التى تعتبر أكبر بلاد القارة الافريقية من جهة التصنيع، وقد تمكنت هذه الشركة من انتاج المواد الكيماوية ومواد الصباغة والبويات والاليـاف والبلاستيك والمواد الكيمـاوية العضـوية الثقيـلة والمفرقعـات والاسمدة وأن تنشىء فى عام ١٩٦٢ شركة جديدة هى شركة صناعات المعادن الامبراطورية بغرض أن تركز جهودها على جانب من أعمال الشركة يختلف اختلافا بينا عن نشاطها الكيماوى الاساسي - مصالحها المتصلة بالمعادن غير الحديدية - فيما عدا الالومنيوم وفى الميدان الاخير تتصل شركة I. C. I. مناصفة مع شركة الكوا (شركة أمريكا للالومنيوم) التى هى عبارة عن امبراطورية مصالح ميلون .

ويوجد لشركة صناعات المعادن الامبراطورية مصالح في شركة اكستنديد منيرفس تيوب ٠ ولشركة ستيوارت ولويدز نفس المصالح ٠ والاخيرة عبارة عن شركة رأس مالها ٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه وتعمل في تشغيل مسبك للحديد المطاوع المستعمل في صنع المواسير المتنوعة الاشكال ، وعن طريق الفروع والشركات المتصلة بها وعن طريق وكلائها في أنحاء العالم تمتلك شركة ستيوارت ولويدز مكانا مرموقا في جميع الاسواق الدولية ، ومن بين هذه ٧٠٪ من شركة ستيوارت ولويدز بجنوب أفريقيا ، وتسيطر الاخيرة على ست شركات تعمل في جنوب غربي أفريقيا وروديسيا وجنوب أفريقيا ، ولها ١٣٪ في مشروع الصلب بزامبيا وفي شركة الحديد والصلب الروديسية ، والشركة الاخيرة هي فرع من فروع الشركة الانجليزية الامريكية الروديسية التي تتحكم فيها وتسيطر عليها الشركة الانجليزية الامريكية بجنوب أفريقيا ، وقد صادف شركة ستيوارت ولويدز منافسة من الشركات الاحتكارية الامريكية في جنوب أفريقيا حيث كان فرع الشركة يجري مفاوضات مع الولايات المتحدة ومع الجماعات البرازيلية بغرض انشاء مصنع الى جانب المصنع القائم بالقرب من جوهانسبرج ، وكان الامريكيون ومن خلفهم اتباعهم البرازيليون يحاولون فرض مادة على الاتفاقية لتخفيض مساهمة شركة ستيوارت ولويدز من ٥١٪ الى ٢٥٪ في حالة ما اذا حدث أن أممت صناعة الصلب في المملكة المتحدة ٠

وتقوم شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية I.C.I. بمعانة حكومة جنوب أفريقيا لبناء صناعاتها الكيماوية وصناعاتها الخاصة بالاسلحة وذلك عن طريق شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية بجنوب أفريقيا وشركة المفرقعات الافريقية والصناعات الكيماوية التي تشترك فيها مع شركة دي بيرز ، وتقوم شركة المفرقعات الافريقية بتزويدها بكثير من المواد اللازمة لمصنع غزل النيلون الذي يقوم ببنائه غزالو النيلون البريطانيون والذي يتكلف ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه في بلفيل بالقرب من كيب تاون ، ويقف الفرع الروديسي لشركة المفرقعات الافريقية من وراء بناء مصنع السماد الذي سيبنى في ليفنجستون بزامبيا والذي

يتكلف ٢٠٠٠ر٠٠٠ر٢ جنيه بمعاونة الحكومة التى تقوم فى نفس الوقت بمساعدة الشركة لانشاء مصنع آخر فى دوروا برودیسیا لاستغلال الفوسفات •

ولقد زاد استهلاك الوقود والمعادن العامة زيادة خيالية منذ الحرب لدرجة أن الدول الرأسمالية الغربية واليابان لجأت الى الدول المتخلفة صناعيا طلبا للكميات الزائدة ، وقبل الحرب كانت الدول الصناعية تعتمد أساسا على رصيدها من خام الحديد ، أما اليوم فشركات الحديد والصلب العملاقة سواء فى أوروبا أو أمريكا أو اليابان ـ بالاضافة الى استثماراتها فى كندا واستراليا ـ فقد تحولت أكثر من ذى قبل الى أفريقيا للحصول على المواد الافريقية ، فهناك الايدى العاملة رخيصة ، وهناك امتيازات ضرائبية ، وهناك حكومات ذات سياسة تفتح آفاقا بعيدة لمكاسب طائلة من موارد لا تنفذ ولقد صرح مستر م• د• بنجارت نائب رئيس شركة نيومونت للتعدين ـ وهى شركة أمريكية كبرى لها استثمارات شبه ثابتة فى التعدين والبترول الخام ـ ان الشركات الامريكية يمكنها أن تحصل فى أفريقيا على أرباح طائلة أكثر بكثير مما تحصل عليه فى استثماراتها بالولايات المتحدة ، ومستر بنجارت يعرف جيدا ما يقول لأن شركة نيومونت تشترك مع مجموعة من الشركات فى أكبر المشروعات الاستغلالية فى شمال وجنوب أفريقيا مثل شركة أوكيب للنحاس وشركة تسوميب وشركة بالابورا للتعدين وتساهم بنسبة ١ر١٢٪ فى مناجم قبرص• ويمكننا أن نتخيل الارباح الخيالية التى يحصلون عليها اذا تذكرنا أن متوسط أجر العامل الأمريكى فى الساعة هو دولاران وسبعين سنتا فى مقابل عشرة سنتات فقط هى متوسط أجر العامل الافريقى ، ولا عجب اذن أن نرى أن رأس المال الخاص بشركة نيومونت والمستثمر فى شركة تسوميب قد تضاعف عشرين مرة فى مدى ثلاث سنوات •

وتواجه البلاد الافريقية مشكلة حاجتها الى تحويل اقتصادها الذى يكاد لا يفى بضروريات حياتهم الى شكل آخر كفيل بأن يحسن من أحوال معيشة سكانها ، ولكن بدلا من أن تقوم الحكومات الافريقية بعمل موحد من شأنه تجميع رءوس الأموال لبناء اقتصاد أفريقى صلب نجد أنها تمنح امتيازات لاستغلال

مواردها من المعادن والزراعة والغابات وتكون النتيجة نمو صناعات الدول الاستعمارية وتقدم اقتصادها ، ولا توجد لدى أى شركة النية الصادقة لانشاء صناعات كاملة فى أى دولة من هذه الدول الافريقية بغرض تنمية هذه الدول اقتصاديا ، كما لا نتوقع أن يوفر العائد الناتج عن تصدير المنتجات الاولية من التعدين أو الزراعة أو الغابات رأس المال المرتقب الذى يساعد فى نشأة الصناعة فى البلاد الافريقية ٠

ان العائد الذى تحصل عليه الدول المصدرة للمنتجات الاولية لا يكاد يذكر اذا قورن بالارباح الطائلة التى تحققها شركات الاحتكار صاحبة الامتياز والتى تلعب دورين : دور المستخرج ودور البائع ٠ وأحسن مثل لذلك هو اتحاد المناجم ٠ فهو يعمل فى كاتنجا فى مساحه من الارض تبلغ ٣٤٫٠٠٠ كيلو متر حيث يمتلك ثلاثة مناجم للنحاس ، منجما للنحاس والزنك ، خمسة مناجم للنحاس والكوبالت ، منجما للحديد ، ومحجرا لحجر الجير ، ويوصل بينها جميعا طرق وسكك حديدية تمتلكها الشركة ، وتصنع خامات النحاس والكوبالت والزنك ـ مرحلة أولى ـ فى ستة مصانع ، وتمتلك الشركة ستة محطات لتوليد الكهرباء تشغل مسبك لوبومباشي ومصانع جادوتفيل شيتورو ومصانع كولويزى لويلو لتكرير النحاس والكوبالت ، وقد انتجت المصانع الاولى منه فى عام ١٩٦٢ ٢٩٥٫٢٣٦ طن بينما أنتجت المصانع الثانية ٩٫٦٨٣ طن ٠ ويرسل المعدن المركز الى مصانع التكرير التى تملكها شريكته الشركة العامة للمعادن ببروكسل والتى تقوم الى جانب ذلك باستخراج الراديوم واليورانيوم من كاتنجا ، كما تقوم بتكرير الجرمانيوم المستخرج بواسطة اتحاد المناجم ، أما الزنك فيرسل فى شكله المركز من كاتنجا ٠

ويرسل الانتاج عبر الكنغو بواسطة شركة سكك حديد كاتنجا ديلولو ـ ليوبولدفيل ثم يرسل عبر البحار بواسطة الشركة البحرية الكونغولية ، وتتكفل بالتأمين عليه شركة التأمين الكونغولية والشركة البلجيكية للتأمينات البحرية والشركة الفرعية للاتحاد الملكى البلجيكى ، وتتم أعمال المصارف بواسطة الشركة البلجيكية

للبنوك وبنك الكونغو البلجيكية وشركة البنوك البلجيكية الامريكية ، وينتقل الموظفون بواسطة خط طيران سابينا ٠ ولاتحاد المناجم ممتلكات فيها جميعها وفى غيرها كذلك ٠

وان من عادة هذه الشركات الاحتكارية الضخمة ـ وهنا يجب أن نذكر أن شركة اتحاد المناجم هى ثالث شركة منتجة للنحاس فى العالم وأول شركة منتجة للكوبالت ـ أن تحدد الاسعار التى تتفق مع نسبة الربح التى تريد أن تحققها ، طبقا لأحوال الاسواق العالمية ، ومن بين أساليبها التى كثيرا ما تلجأ اليها أن تنتج أقل من قدراتها وأن تحجز بعض الانتاج وهكذا ، وكان انتاج معظم منتجى النحاس فى الثلاث سنوات الماضية عبارة عن ٨٥ ٪ فقط من طاقاتها ولكنها تعود الآن تدريجيا الى كامل طاقاتها ، وقد قامت شركة اختيار روديسيا بتشغيل مصنعها بأقصى طاقته عقب الاضراب الذى حدث فى موفوليرا عام ١٩٦٣ وحددت مبيعاتها بنسبة ٨٥٪ ، وكانت النتيجة أن بلغت نسبة الانتاج الخام فى نهاية عام ١٩٦٣ حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ طن سنوى نتيجة هذا التحديد الاختيارى للانتاج ، وبلغت كمية المخزون خارج الولايات المتحدة ـ بقصد معاونة الاسعار ـ من ١٣٠ر٠٠٠ طن الى ١٥٠ر٠٠٠ طن ٠ كما ثبت السعر فى عام ١٩٦٢/١٩٦٣ بحوالى ٢٣٤ جنيه للطن الواحد ، ثم ارتفع طلب النحاس فنفذ المخزون منه فى منتصف يناير ١٩٦٤ وارتفع السعر فى بورصة المعادن بلندن ، ورفع المنتجون الروديسيون السعر الى ٢٣٦ جنيها ، ويبدو من ملاحظات رئيس مجلس ادارة شركة اتحاد المناجم أن البورصة دفعت الى هذا دفعا بالرغم من أن المنتجين كانوا قد خفضوا انتاجهم بمقدار ١٠٪ ، وبالرغم من الاضراب وبالرغم من خفض الانتاج كانت الارباح الصافية التى حققتها الشركة الروديسية أعلى فى عام ١٩٦٣ منها فى عام ١٩٣٢ وأعلى بكثير من عام ١٩٦٠ عندما كانت الاسعار مرتفعة ، وقد بلغ العائد فى عام ١٩٦٠ ـ ٣١ر٠١٩ر٠٠٠ جنيه ، وفى عام ١٩٦٢ ـ ٤٦ر٢٩٨ر٠٠٠ جنيه وفى عام ١٩٦٣ ـ ٥٠ر٩٣١ر٠٠٠ جنيه ٠ وبلغت الارباح بعد استنزال الضرائب ٧ر٦٠٠ر٠٠٠ جنيه فى عام ١٩٦٠ و ٧ر٧٣٥ر٠٠٠ جنيه فى عام ١٩٦٢ و ٨ر٢٧٣ر٠٠٠ جنيه فى عام ١٩٦٣ وكان هذا نتيجة تكديس الكميات المخزونة .

وكثيرا ما نقرأ عن الاسعار المرتفعة للنحاس والقصدير والزنك وغيرها ، وما لا يمكن فهمه هو أن هذه الاسعار هى أسعار السلع فى الاسواق الصناعية فى شكلها الاول ٠ وتترك هذه المعادن موطنها الاصلى وهى فى حالتها الاولى كخام أو بعد أن تمر فى مرحلة أولى من مراحل التحويل تكون نتيجتها عائدا رمزيا للبلاد المصدرة ٠ وهذا العائد لا يكاد يذكر اذا قورن بما يضاف على قيمة المعادن فى اللحظة التى تشحن فيها ، ونحن نعرف أن السفن متصلة ـ اما مباشرة أو غير مباشرة ـ بالمنتج الاصلى كما هو الحال مع اتحاد المناجم ، وتحصل الشركات صاحبة الامتياز على الفرق بين القيمتين ـ قيمتها فى البلاد المنتجة وقيمتها فى البلاد الاجنبية كما تستفيد مؤسسات الشحن والنقل والمصارفوالتأمين والتصنيع والبيع المتصلة بها ، وقد عبر عنذلكفكتور برلوفىكتابه « الامبريالية الامريكية » ص ٦٢ بقوله : « ان البلاد الضعيفة التى لا تمكنها مواردها من بناء السفن وخطوط الطيران يجب أن تدفع الضريبة الى شركات النقل الامبريالية على البضائع التى تستوردها وتصدرها ، وان البلاد التى تفتقر الى الموارد المالية المناسبة يجب أن تدفع أجرا الى مراكز رأس المال نظير التسهيلات المصرفية والتأمين » ٠

أما المبالغ التى تترك فى البلاد المنتجة لدفع أجور العمال فهى تافهة ، فأكثر من ٥٠ ٪ من الدخل القومى للكنغو كان يدخل بانتظام فى جيوب المستوطنين الاوروبيين والشركات الاجنبية ، وكان الباقى يوزع علىقطاعات الاقتصاد المختلفة٠ وعلى هذا لا يبدو غريبا أن يعيش الاربعة عشر مليونا من الكونغوليين فىفقر مدقع، وفى جابون يذهب ثلث الدخل القومى الى جيوب غير الافريقيين ، ويذهب خمسا الدخل القومى فى ليبيريا الى الشركات الاجنبية (وذلك طبقا لتقرير الامم المتحدة فى ٧ يناير ١٩٦٤) ٠ واذا حاولت الدول الافريقية المستقلة أن تفرض بعض الضرائب على أرباح هذه الشركات قامت الصحف الامبريالية وعبرت عن استيائها وأصدرت تحذيراتها بأن الدول الافريقية سوف تخنق الاستثمار الاجنبى اذا ما استمر تعديها على حقوق المستوطنين الاجانب ٠

وقد طلعت صحيفة لندنية فى ٢٨ يناير ١٩٦٤ بمقال عنوانه « ضرائب غانا تصيب شركة أشانتي في الصميم » ونشرت أرقاما تبين بهـا أن الضرائب التى فرضتها حـكومة غانا قـد خفضت أربـاح شركة منـاجم الذهب بأشـانتى من ١٦٢ر١١١ر١ جنيه الى ١٤٢ر٦٠٩ جنيه فى عام ١٩٦٢/١٩٦٣ ٠ وبالرغم من ذلك فقد بلغت نسبة ربح السهم ٣٧½٪ بعد أن كانت ٥٠٪ وبعد أن كانت أعلى من ذلك فى السنوات السابقة ٠ مع أن رأس مال الشركة الاصلى كان ٢٥٠٠٠٠ر٢٥٠ جنيه ثم ارتفع نتيجة الاحتيـاطى والارباح الماضيـة والحاضرة حتى وصـل الى ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ جنيه ٠ وان مقدرة الشركة على دفع فوائد الاسهم دليل على وفرة ما لديها من الاحتياطى الذى جمعته مدة قيامها بعملياتها بالاضافة الى ما قد سحب من رأس المال ٠

ويدر الماس ايرادا اضافيا فى بلاد غرب أفريقيا نتيجة حصولها على بعض الارباح التى كانت تدخل قبل ذلك جيب شركة Consolidated African Selection Trust - CAST وشركة دى بيرز Beers وقد أصبح لغانا سوق للماس وادارة حكومية للتسويق تأخذ العمولة التى كان يأخذها وسطاء شركة دى بيرز ٠ وكانت CAST تربح أكثر فى سيراليون ثم فرض أجر للخدمة تتقاضـاه الادارة الحكومية مما أثار الاحتجاج ٠ ومع ذلك فقد اسـتطاعت شركة كاست أن تعلن ثبات أرباح أسهمها فى عام ١٩٦٢/١٩٦٣ بمقدار ٣ شلن و ٦ بنس عن كل سهم كانت قيمته ٥ شلنات (أى ٧٠٪) ٠ وكان عددالاسهم الصادرة هو٦٥٤ر١٩٨ر١٨ والمرخص به هو ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ سهم ، وفى أقل من ٢٠ عاما وصل رأس مالها الى ٦٦٣ر٥٤٩ر٤ جنيه بينما كان رأس المال الاصلى ٠٠٠ر٢٥٠ جنيه ٠ وبالاضافة الى ذلك بلغت قيمة الماس المخزون فى آخر العام ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ جنيه ٠

وتدفع أفريقيا أرباحا أخرى على شكل أثمان للبضائع والخدمات التى تجبر على شرائها من الشركات الاحتكارية التى تقوم باستخراج المواد الاولية ٠ وهذا هو الضغط الشديد الذى تقاسى منه أفريقيا والذى زاد أكثر من ذى قبل منذ الحرب العالمية الاولى ، وقد قدر خبراء الامم المتحدة أن البلاد غير المستقلة قد دفعت من

٢٫٢ الى ٣ بليون دولار فى عام ١٩٤٧ أكثر مما كانت تدفعه لوارداتها من السلع المصنوعة فى عام ١٩١٣ ، ويدل فهرست هيئة التغذية والزراعة أنه فى المدة من ١٩٥٠ الى ١٩٦١ قد هبط عائد المواد الاولية من ٩٧ الى ٩١ (٧٠ للكاكاو والبن والشاى) بينما ارتفع عائد البضائع المصنوعة من ٨٨ الى ١١٠ ، وبالنسبة للصلب الذى يعتبر سلعة لا غنى عنها للدول النامية وصل العائد الى ١٣٤ ، وطبقا لميزان التبادل بين البلاد المنتجة للمواد الاولية والبلاد المصدرة للبضائع هبط الميزان من ١١٣ الى ٨٢ لغير مصلحة البلاد المنتجة للمواد الاولية ، وبلغت قيمة صادرات غانا فى عام ١٩٦٢ نفس قيمة صادراتها فى عام ١٩٦١ ولكن زاد حجمها بمقدار ٦ ٪ وانخفضت قيمة الواردات فى عام ١٩٦٢ بمقدار ١٦ ٪ بينما انخفض الحجم بمقدار ١٤٪ فقط ، أما فى جمهورية الكونغو (برازافيل) فبينما ارتفعت الصادرات فى عام ١٩٦٢ عن صادرات عام ١٩٦١ بمقدار ٧٧ ٪ فقد انخفضت الواردات بمقدار ١٥ ٪ ولم تكف قيمة الصادرات لتغطية نصف قيمة الواردات ٠

(تقرير الأمم المتحدة ـ ديسمبر ١٩٦٣)

الفصل الثامن عشر

تركيب الاستعمار الجديد وتشكيله

وحتى نستطيع أن نضع حدا للتدخل الاجنبى فى شئون الدول النامية كان لزاما علينا أن ندرس ونتفهم ونكشف ونحارب بنشاط الاستعمار الجديد فى أية صورة يتنكر فيها ، فطرق الاستعمار الجديد بارعة ومتنوعة ، وهى لا تقتصر على المجال الاقتصادى ولكننا نراها فى الميادين السياسية والدينية والايديولوجية والثقافية .

وعندما وجدت الامبريالية نفسها تواجه شعوبا مكافحة ، هى شعوب المستعمرات السابقة فى آسيا وفى أفريقيا وفى الخليج الكاريبى وفى أمريكا اللاتينية غيرت من أساليبها ، ودون شعور بتأنيب الضمير استغنت عن أعلامها بل واستغنت عن بعض موظفيها المكروهين ، وادعت أن هذا معناه منح الاستقلال لرعاياها السابقين ثم أعقبت ذلك بمعونة لتحقيق التنمية فى هذه المستعمرات السابقة ، وتحت ستار مثل هذه العبارات أخذت تبتكر الطرق التى لا عدد لها لتحقيق أهدافها التى اعتادت أن تحققها باسم الاستعمار السافر .

ان جملة هذه المحاولات الحديثة لتخليد الاستعمار بينما يدور الكلام حول « الحرية » هو ما نطلق عليه اسم « الاستعمار الجديد » .

وعلى رأس دول الاستعمار الجديد الولايات المتحـــدة التى ظلت تمارس سلطانهـــا فى أمريكا اللاتينيـــة أمدا طويلا ، ثم اتجهت مترددة أولا نحـو أوروبا ثم اتجهت اليها بعد الحرب العـالمية الثانيـة بقدم ثابتـة عنـدما كانت معظم دول هذه القارة مدينة لها ، ومنذ ذلك الوقت بدأ البنتاجون يعمل باتقان مخطط وعناية كاملة بالتفاصيل لتثبيت صعوده ، والدليل على ذلك واضح فى جميع أنحاء العالم ٠

من هو الحاكم الحقيقى فى بريطانيا العظمى وفى ألمانيا الغربية وفى اليابان ، وفى أسبانيا وفى البرتغال وفى ايطاليا ؟ واذا كان جنرال ديجول يحاول أن يفلت من سيطرة الولايات المتحدة الاحتكارية فكيف نفسر تجـاربه فى الصــــحراء الكبرى ، جنود مظلاته فى جابون ، رحلاته الى كمبوديا والى أمريكا اللاتينية !

وتختفى وراء هذه الاســئلة أذرع أخطبـوط وول ستريت الممتـدة ، وان الكئوس التى يفرغ فيها الدماء التى يمتصها والقوة البدنية التى يملكها لمستمده مما يطلقون عليه اسم « الحكومة المستترة » التى هى ثمرة لعلاقة وول ســتريت مع البنتاجون ومع أجهزة المخابرات المتنوعة ٠

وانى أقتبس من كتاب « الحكومة المستترة » تاليف دافيد وايز وتوماس روس العبارة الآتية :

« الحكومة المستترة ٠٠٠ هى تجمع فضفاض غير محدد لافراد وهيئـــات ينتمون الى أجزاء كثيرة من الحكومة الظاهرة ، ولا تقتصر هذه الحكومة المستترة على ادارة المخابرات المركزية ، وان كانت هذه الادارة هى قلبها النابض ، بل ولا تقتصر على تلك الادارات التسع التى تكون ما يطلق عليه مجتمع المخابرات وأعنى به مجلس الأمن الوطنى ، ادارة مخابرات الدفاع ، ادارة الامن القومى ، مخابرات الجيش ، مخابرات البحرية والبحوث ، لجنـة الطـاقة الذرية ، ادارة المباحث الفيدرالية ٠

وتضم الحكومة المستترة بالاضافة الى هذه جميعها عدة هيئات ووكالات أخرى ، بالاضافة الى أفراد آخرين ، يبدون فى الظاهر كأنهم جزء عادى من الحكومة التقليدية ـ بل وأكثر من ذلكفان هذه الحكومة المستترة تضم مؤسسات تجارية تبدو وكأنها مؤسسات خاصة ٠

ولقد بدأنا نحس أن هذه الحكومة الشبحية هى التى تشكل حياة ١٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الامريكيين ٠٠ وقد يحدث أن يرتاب الشخص المطلع على بواطن الامور فى أن الولايات المتحدة كثيرا ما تتبع فى سياستها الخارجية العلنية اتجاها معينا ثم تعمل سرا عن طريق الحكومة المستترة فى اتجاه مضاد ٠

ان الحكومة المستترة حديثة العهد نسبيا ، فقد نشأت نتيجة عاملين متصلين ، أحدهما أن الولايات المتحدة احتلت بعد الحرب العالمية الثانية مكان الصدارة بين مختلف القوى الدولية ، وثانيهما أن مكانتها هذه تهددها الشيوعية السوفييتية ٠٠

وأصبحت شبكة المخابرات فى سنة ١٩٦٤ جهازا خفيا ضخما يستخدم سرا ما يقرب من ٢٠٠٫٠٠٠ شخص وينفق عدة بلايين من الدولارات فىالسنة »

وهناك من قلعة الاستعمار الجديد وحصنه يوجد الجهاز الذى يتولى الآن توجيه كل أجهزة المخابرات فى البلاد الغربية سواء أكان هذا التوجيه بواسطة الاقناع أو بواسطة استخدام العنف ، وكانت النتائج مواتية فى الجزائر أثناء مؤامرة ابريل ١٩٦١ التى قامت ضد قواد ديجول ، كذلك كانت النتائج فى جواتيمالا والعراق وايران والسويس وفى حادث قيام الطائرة U 2 باختراق الفضاء السوفييتى ، هذا الحادث الذى قضى على مؤتمر القمة الذى كان انعقاده مرتقبا ، وكذلك فى ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية ـ فى اضطرابات ١٩٥٣ ـ وفى أزمة المجر الفاشلة عام ١٩٥٩ وفى أزمة بولندة عام ١٩٥٦ وفى كوريا وبورما وفورموزا ولاوس وكمبوديا وفيتنام الجنوبية ، وكذلك يلعب دوره فى اضطراب الكونغو (ليوبولدفيل) الذى بدأ باغتيال لومومبا وما زال مستمرا

حتى الآن . كذلك نراه في حوادث كوبا وتركيا وقبرص واليونان وفي غيرها من الاماكن التي هي أكثر من أن تحصى احصاء كاملا .

فما هو الهدف الذي تحققه هذه الاحداث التي لا عداد لها ؟ ان الهدف العام قد سبق ذكره ، ألا وهو ممارسة الاستعمار بينما يتشدقون بالكلام عن الاستقلال .

ونجد في الجبهة الاقتصادية أن العامل القوى المناصر لشركات الاحتكار الغربية والمعادى أو الضار للدول النامية هو سيطرة رأس المال الدولي على الاسواق العالمية وعلى أسعار السلع التي تباع وتشترى فيها . ففي المدة بين عامي ١٩٥١ و ١٩٦١ - باستثناء البترول - انخفض مستوى أسعار المواد الاولية العام بنسبة ١ر٣٣٪ بينما ارتفعت أسعار البضائع المصنوعة بنسبة ٥ر٣٪ (وارتفعت أسعار الآلات والمعدات بنسبة ٣ر٣١٪) . وفي نفس هذه المدة - العشر سنوات - بلغت خسارة الدول الآسيوية والافريقية وأمريكا اللاتينية - اذا أخذنا أسعار ١٩٥١ كأساس - حوالي ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠٠ر٤١ دولار . بينما في نفس المدة أيضا ارتفع حجم صادرات هذه البلاد الا أن ما حققته من نقد أجنبي نظير هذه الصادرات قد انخفض .

والاسلوب الثاني الذي يلجأ اليه الاستعمار الجديد هو فائدة الديون المرتفعة ، وتبين الارقام المأخوذة من البنك الدولي عام ١٩٦٢ أن احدى وسبعين دولة من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية كانت ديونها الاجنبية تبلغ حوالي ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٧ دولارا تدفع عنها فوائد ومصاريف خدمات تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٥ دولارا ومنذ ذلك الوقت قدرت هذه الديون الاجنبية في هذه المناطق بأنها كانت تزيد على ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ جنيه . وبلغت نسبة فوائد الديون في عام ١٩٦١ أكثر من ٥٪ بالنسبة لثلاثة أرباع الديون ، وتصل الفوائد في بعض الحالات الى ٧٪ أو ٨٪ وفي نفس الوقت كان يحدث أن يكون أجل هذه الديون قصيرا ومرهقا للدول المدينة .

وبينما بلغت رءوس الاموال الاجنبيــة المصــدرة الى ست وخمســين دولة ناميـــة ما بين عــامى ١٩٥٦ و ١٩٦٢ مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ دولار بلغت الارباح والفوائد المأخوذة عليها من الدول المدينة أكثر من ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ جنيه وقد برزت طريقة التغلغل عن طريق المعونة الاقتصادية أخيرا عنــدما بدأت بعض الدول فى رفضها ، ومن بين الدول التى رفضت المعونة سيلان وأندونيسيا وكمبوديا ، وقد قدر المتوسط السنوى لمثل هذه المعونة فى المدة من ١٩٥١ الى ١٩٥٥ بمقـــــدار ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠٠ر٢ دولار ، وفى المدة من ١٩٥٦ الى ١٩٥٩ بمقـدار ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٧ر٤ دولار ، وفى المدة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٢ بمقـــدار ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٦ دولار ٠ واذا أخذنا احدى السنوات « كعينــة » ـ ١٩٦١ مثلا ـ نجد أن متوسط المبالغ المسحوبة من البلاد المعانة بواسطة البلاد المعينة هو : ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٥ دولار على هيئة أرباح و ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١ دولار على هيئــة فوائد و ٠٠٠ر٠٠٠ر٨٠٠ر٥ دولار نظـير فرق النقـــد ٠ أى أن جمــلة ما ســـحب هو ٠٠٠ر٠٠٠ر٨٠٠ر١١ دولار بينمـــــا جمـــلة ما أعطى هــو ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٦ دولار ٠

وهكذا تتحول المعونة لتصبح وسيلة أخرى من وسائل الاستغلال ، أو طريقة حديثة لتصدير رأس المال بعد طلائها بما يجمل من منظرها ٠

ويستخدم الاستعمار فخا آخر فى الجبهة الاقتصادية ، وهو المعروف باسم المعونة المتعددة المصادر ، وتتم هذه عن طريق المنظمات الدولية : المنظمة المالية الدولية ، البنك الدولى للتعمير والتنمية (وهو المعروف باسم البنك الدولى) ، منظمة التنمية الدولية ٠

هذه بعض الامثــلة وكلها يسنــدها رأس مال الولايات المتحــدة ، وقــد اعتادت كل هذه المنظمات أن تفرض على الدول المقترضــة عــدة شروط مجحفــة مثل تقديم بيان عن اقتصادياتها واخضــاع سياستها وخططهــا لتفتيش البنك الدولى وقبول رقابة المنظمة واشرافها على طرق استغلال هذه القروض ، أما بالنسبة

لقروض التنمية فقد تعهدت منظمة التنمية الدولية ان تقدم فى المدة من ١٩٦٠ حتى منتصف ١٩٦٣ معونات جملتها ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ولكنها لم تقدم فعلا سوى ٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار ٠

وقد أشارت صحيفة « التايمز » فى عددها الصادر فى أول يوليو عام ١٩٦٥ الى أن نشاط المعونة الفنية والاقتصادية فى البلاد النامية من جانب الدول الشيوعية قد زاد فى السنوات الاخيرة ٠ فبلغت جملة المساعدات فى عام ١٩٦٤ ما يقرب من ٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠جنيها ٠ وهذا المبلغ يعادل ثلث المعونة الشيوعية التى أعطيت فى العشر سنوات السابقة ٠ وقد تلقى الشرق الاوسط حوالى ٤٠٪ من جملة المبلغ ، وتلقت آسيا ٣٦٪ وتلقت أفريقيا ٢٢٪ وتلقت أمريكا اللاتينية الباقى ٠

وترجع أسباب ضخامة المعونة التى منحت عام ١٩٦٤ الى زيادة نشاط الصين فى هذا المجال ٠ فساهمت الصين وحدها بمقدار ربع المعونة وساهم الاتحاد السوفييتى بمقدار النصف وساهمت دول شرق أوروبا بمقدار الربع ٠

وبالرغم من أن المعونة المقدمة من الدول الاشتراكية ما زالت أقل منمعونة الغرب الا أنها أكثر تأثيرا ، لانها سريعة ومرنة كما أن الفائدة التى تدفع مقابل القروض لا تزيد على ٢٪ بينما فوائد القروض الممنوحة من الغرب تصل الى ٥٪ أو ٦٪ ٠

ولا تحكى الارقام كل قصة « المعونة » فهناك شروط تحيط بها : عقد معاهدات تجارية وبحرية ، اتفاقيات بفرض التعاون الاقتصادى ، حق التدخل فى الشئون المالية الداخلية بما فى ذلك شئون العملة والنقد الاجنبى وخفض الحواجز التجارية فى وجه سلع الدولة المانحة ورأس مالها ، حماية مصالح الاستثمارات الخاصة ، تقرير كيفية استخدام المعونة ، اجبار الدولة المعانة على رصد مبالغ معينة ، تزويد الدولة المعينة بالمواد الخام ، وأخيرا اجبار الدولة

المعانة على استخدام الجزء الاعظم من المعونة لشراء سلع من الدولة المعينـــة ٠ وتطبق هذه الشروط بالنسبة الى الصناعة والتجارة والزراعة والملاحة والتأمين وهناك شروط أخرى سياسية وعسكرية ٠

وتتيح هذه « التجارة غير المرئية » لشركات الغربالاحتكارية فرصة أخرى للتغلغل الاقتصادى ، فالدول الامبريالية تسيطر على أكثر من ٩٠٪ من شركات الملاحة العـالمية عبر المحيطات ، فهى التى تتحكم فى أســعار النقل بالسفن وقد ارتفعت هذه الاســعار فيمـــا بين عامى ١٩٥١ و ١٩٦١ خمس مرات وبلغت نسبة الارتفاع حوالى ٦٠٪ وما زال هذا الاتجاه مستمرا ، وهكذا نجد أن أجور الشحن السنوية التى تتحملها آســيا وأفريقيــا وأمريكا اللاتينية لا تقــل عن ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠٠ر١ دولار وهذا بخلاف الارباح والفوائد الاخرى ٠ أما من جهــة مدفوعات التأمين فقد بلغت الزيادة فيها فى عام ١٩٦١ فقط ، بالنسبة لآســيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٧٠ دولار ٠

وبعد ما ذكرناه نكون قد بدأنا نفهم الطرق الاساسية التى يستخدمهــا الاستعمار الجديد ، أما العرض التام لابتكاراته وحذقه فلم نأت عليها بعد ٠

ففى مجال العمل مثلا نجد أن الامبريالية تقوم بعملياتها بواسطة أسلحة العمل الخاصة بها مثل أحزاب أوروبا الديمقراطية التى يتزعمها حزب العمــال البريطانى ، وبواسطة الاتحادات الدولية لنقابات العمال الحرة International Confederation of Free Trade Unions - ICFTU التى حل محلها مركز العمل الافريقى الامريكى بنيويورك New York Africa - America Labour Centre أو AALC الذى يعمل برياسة جورج مينى ورجل المخابرات الامريكية المعروف فى مجالات العمل أرفنج براون ٠

وفى عام ١٩٤٥ ـ نتيجة لانتصار الحلفاء على الفاشستية تكون الاتحـــاد العالمى لنقابات العمال World Federation of Trade Unions — W F T U

وكان يضم كل نقابات العمال فيما عدا اتحاد العمال الأمريكى — A F L — American Federation of Labour وقبل عام ١٩٤٩ قام عدد من أجهزة العمل الموالية لأمبريالية الغرب بقيادة مؤتمر نقابة العمال البريطانيين T U C بالانسلاخ عن الاتحاد العالمى لنقابات العمال وكونوا الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة I C F T U

واستمرت هذه تعمل بزعامة نقابة العمال البريطانيين ، ويدل تاريخها فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية على أنها عادت بالفوائد الجمة على شركات الاحتكار الدولية التى كانت تحقق أرباحا طائلة من هذه المناطق ٠

وقد استطاع اتحاد العمال الامريكى AFL أن يحرز فى بروكسل عام ١٩٥١ السيطرة على المجلس التنفيذى للاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة ، ومنذ ذلك الوقت تدفق سيل من آلات الكتابة وآلات الاختزال والسيارات والمؤن والمبانى والمرتبات والرشاوى لقادة العمال وزعمائهم فى أجزاء مختلفة من عالم الدول النامية لدرجة أن الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة أصبح مرتبطا باسم ادارة المخابرات المركزية (الامريكية) ٠ وهكذا ساءت سمعته لدرجة أن عقول زعماء اتحاد العمال الامريكى AFL رأت أن الحاجة أصبحت تدعو الى انشاء جهاز جديد ٠ فأنشئوا مركز العمل الافريقى الامريكى AALC فى مواجهة الامم المتحدة على الجانب الآخر من النهر ٠

ولقد جاء فى النشرة التى صدرت عن المركز فى ابريل سنة ١٩٦٥ دون خجل ما يأتى :

« سوف يقوم اتحاد العمال الامريكى كنصير حازم للاستقلال الوطنى والديمقراطية والعدالة الاجتماعية بزيادة مجهوداته من أجل المعاونة لتقدم الاحوال الاقتصادية للشعوب الافريقية ٠ وحتى يحقق هذه الغاية قام بتوسيع مساعداته

لاتحادات العمال الافريقية الحرة بأن أنشأ مركز العمل الافريقى الامريكى ، وسوف تعين هذه المساعدات العمال الافريقيين ليلعبوا دورهم الحيوى فى البناء الاقتصادى الديمقراطى فى بلادهم » ٠

ثم ظهر عدد شهر مارس من نفس النشرة وكشف عن اللعبة : « ولتعبئة موارد رءوس الاموال المستثمرة فى تعليم العمال والتدريب المهنى والجمعيات التعاونية والعيادات الصحية والاسكان سوف يتعاون المركز مع المؤسسات الخاصة والعامة » ولسوف يقوم كذلك بتشجيع تعاون ادارة العمل لتوسيع استثمار رأس المال الامريكى فى الدول الافريقية ٠

فهل هناك ما هو أوضح من هذا ؟ ٠٠

ومحاكاة منه لما كان يقوم به الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة بدأ المركز ينشىء فصولا تعليمية ، فأنشأ فصلا للسائقين والعمال الميكانيكيين فى نيجيريا ، وأنشأ فصلا لتعليم صناعة تفصيل الملابس فى كينيا ، وقدمت منح دراسية للعمال الافريقيين الذين يريدون دراسة نقابات العمال فى النمسا ٠ وقد بدأت أجهزة العمل فى الاماكن الاخرى ممثلة فى الاحزاب السياسية ـ ومن أبرز أمثالها حزب العمال البريطانى ـ استعدادا مماثلا لتشجيع « تعاون ادارة العمل لتوسيع استثمار رءوس الاموال فى الدول الافريقية » ٠

ولكن عندما اشتدت حدة الصراع ثبت أن طرق الاستعمار الجديد السابق ذكرها معتدلة وهادئة ، وبدأت فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية سلسلة من الانقلابات مع سلسلة من الاغتيالات السياسية كان من نتيجتها فقد أفضل الزعماء فى البلاد المستقلة حديثا وهم بعد فى مستهل حياتهم السياسية ، وحتى يضمن الامبرياليون نجاحا وتوفيقا فى مجهوداتهم استخدموا بخبث ومكر أسلحة ايديولوجية وثقافية على شكل مؤامرات ومناورات وحملات للتشهير ٠

والآن نعرض لدراسة بعض هذه الطرق التى استخدمها الاستعمار الجديد والتى لم نأبه أو نلتفت اليها ، وأول هذه الطرق هو احتفاظ المستعمرين ببعض الامتيازات التى فيها عدوان على سيادتنا : مثال ذلك اقامة قواعد عسكرية أو السماح بوجود قوات أجنبية فى المستعمرات السابقة أو تزويدنا بالمستشارين بمختلف طوائفهم ، وأحيانا يطالبون ببعض الحقوق مثل حيازة أراض أو حقوق التنقيب عن المعادن أو البترول أو كلاهما ، ومثل فرض الضرائب الجمركية أو اصدار عملة ورقية (بنكنوت) أو الاعفاء من الضرائب الجمركية أو الاعفاء من الضرائب الاخرى بالنسبة لمشروعات الاجانب أو الحق فى تقديم « المعونة » • ويطالبون أحيانا ـ ويمنحون ـ امتيازات فى حقل الثقافة مثل قصر خدمات الاستعلامات على أجهزة الغرب واستبعاد أجهزة الدول الاشتراكية •

وحتى فى مجال السينما نجد أن قصص هوليوود الخيالية مشحونة ، ويكفى أن نستمع الى تهليل المتفرجين الافريقيين وهم يشاهدون أبطال هوليوود وهم يذبحون الهنود الحمر والاسيويين لكى ندرك مدى تأثير هذا السلاح ، وفى القارات النامية حيث خلف التراث الاستعمارى أمية تصم السواد الاعظم من السكان ، نجد أن فى مقدور أصغر الاطفال أن يتفهم الرسالة التى تحملها قصص الدم والعنف الصادرة من كاليفورنيا ، والى جانب قصص القتل وقصص الضرب والقفز ، نجد حلقة لا تنتهى من الدعاية المعادية للاشتراكية فنجد باستمرار أن الرجل الذى يمثل نقابة العمال والرجل الثائر والرجل ذا البشرة السمراء هو فى الغالب شرير القصة ، بينما نجد الشرطى أو العميل الفيدرالى ، أو باختصار الرجل الذى هو من طراز جاسوس ادارة المخابرات المركزية هو بطل القصة ، وهنا نجد حقا التفسير الحقيقى لهذه الاغتيالات السياسيه التى يكون الافراد المحليون هم الاداة المنفذة لها •

وبينما توجه هوليوود عنايتها الى القصص الخيالية تقوم الصحافة الاحتكارية الضخمة ـ ومعها سيل من المجلات البارعة الحيلة المرتفعة التكاليف ـ بتوجيه عنايتها الى ما تطلق عليه « الاخبار » ، ففى كل بلد نجد وكالة أو

وكالتين للانباء تسيطران على كل شيء بحيث تكون عملية توحيد الجهود ميسورة بغض النظر عن عدد الصحف أو المجلات المستقلة الموجودة بها ، ومن النـاحية الدولية نشعر بخطورة الولايات المتحدة عن طريق مراسليها الاجانب ومكاتبهـا فى الخارج ، وعن طريق نفوذها على الصحافة الرأسمالية الدولية ، وتحت هـذا الستار يخرج سيل من الدعاية المناهضة لفكرة التحرير من عواصم دول الغرب موجهة نحو الصين وفيتنام وأندونيسيا والجزائر وغانا وغيرها من الدول التى تقـوم بشق طريق استقلالهـا للوصـول الى الحرية ، ويتفشى التحيز فى هـذه العملية ، فحيثما يكون هناك نضال مسلح ضد قوى الرجعية نجد أنهم يشيرون الى الوطنيين على أنهم متمردون أو ارهابيون أو على أنهم ارهابيون شيوعيون .

ومن أكثر الطرق الماكرة التى يلجأ اليها أنصار الاستعمار الجديد ، الحركة الانجيلية ، ففى أعقاب حركة التحرير جاءت موجة حقيقية من الطوائف الدينيـة أغلبيتها أمريكية ، ويمثل ذلك « شهود يهوذا » الذين قاموا بتدبير اضطرابات فى البلاد النامية بواسطة تلقين المواطنين ألا يقوموا بتحية أعلامهم الوطنيـة الجديدة ، ولكن لم يستطع الدين أن يخمـد الحركة التى قامت لتنـاهض هـذا النشاط وأعقب ذلك حركة ركود ، ومع ذلك فما زال عدد الانجيليين آخـذا فى النمو .

ولكن الانجيلية والسينما ما هما الا فرعان صغيران من فروع شجرة ضخمة فمنذ عام ١٩٦١ قامت الولايات المتحدة ببذل نشـاط لرسم خطة ايديولوجية ضخمة تغزو بها ما أسموه « العالم الثالث » مستخدمة فى ذلك كل امكانياتهـا من صحافة الى اذاعة الى منظمات السلام .

ففى عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٣ عقد لهذا الغرض عدد من المؤتمرات الدولية فى أماكن متعددة مثل نيقوسيا بقبرص وسان جوزيه بكوستاريكا ولاجوس بنيجيريا وكان من بين المشتركين فى هذه المؤتمرات رجال ادارة المخـابرات المركزية الامريكية ووكالة أنباء الولايات المتحدة USIA ورجال البنتـاجون ورجال وكالة التنمية الدولية ومنظمة السلام ، وقد خططت البرامج بحيث يقوم مواطنو

الولايات المتحدة فى الخارج بالعمل فى نشـاط المخابرات وأعمـال الدعـاية ، واستخدمت الطرق المختلفة لتجنيد العملاء السياسيين ولغرض التحـالف مع الولايات المتحدة ، ويقف فى مركز هذه البرامج المرسومه أن تقوم الولايات المتحدة باحتكار ميدان الدعاية كما تحتكر الوقوف فى وجه أى محاولات مستقلة من جانب الدول النامية فى مجال الاستعلامات ٠

وقد سعت الولايات المتحدة ـ وما زالت تسعى ـ بنجاح كبير فى أن تنسق طبقا لاستراتيجيتها نشاط الدعاية بين جميع دول الغرب ، فعقدت فى شـهر أكتوبر من عام ١٩٦١ مؤتمرا فى روما لدول حلف شمـال الاطلنطى لمناقشـة مشاكل الحرب النفسية ، وقد أهابت بالمشتركين أن ينظموا العمليات الايديولوجية المشتركة فى البلاد الافرو أسيوية ٠

وفى شهرى مايو ويونيو من عام ١٩٦٢ عقدت الولايات المتحـدة ندوة فى فينا لمناقشة الحرب الايديولوجية ، وقـد اتخـذت فى هـذه الندوة قرارا سريا يقضى بالقيام بدعاية هجومية ضد الدول النامية طبقا لخطة وضعتهـا الولايات المتحدة ، وقد اتفق على أن تقوم وكالات الدعـاية التابعـة لدول حلف شـمال الاطلنطى ـ فعليا وان لم يكن ظاهريا ـ بالاتصال بسفارات الولايات المتحدة فى هذه البلاد ٠

ومن بين الاجهزة المستخدمة فى حرب الغرب النفسية أجهزة مخـابرات الدول الغربية وعلى رأسها جهاز « الحكومة المستتره » فى الولايات المتحدة ٠ ومن أهم هذه الاجهزة أيضا حركة اعادة التسليح الخلقى MRA ومنظمة السلام ووكالة استعلامات الولايات المتحدة USIA ٠

ويقوم بحركة اعادة التسليح الخلقى منظمة تأسست عام ١٩٣٨ بواسـطة رجل أمريكى يدعى فرانك بوكمان ، وفى الايام الاخيرة قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية كانت تدعو الى مهادنة هتلر بل وتمجيد هملر زعيم الجستابو ، وقـد بدأ

غزو هذه الحركة لقارة أفريقيا فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، حيث قامت هذه الحركة فى مواجهة حركة الانطلاق التى ظهرت عند انتصار الحلفاء عام ١٩٤٥ ضد الاستعمار وقامت منظمة اعادة التسلح الخلقى بانفاق الملايين لنشر فكرة التعاون بين قوى احتلال الشعوب الافريقية وبين هذه الشعوب .

ومن الاهمية بمكان أن نذكر أن مويس تشومبى وجوزيف كازافوبو فى الكونغو (ليوبولدفيل) هما من أنصار حركة اعادة التسلح الخلقى .M.R.A ، وقد وصف جورج سلدس هذه الحركة فى كتابه « ألف أمريكى » One Thousand Americans « بأنها منظمة فاشستية يمولها الفاشستيون وانها متعاونة مع الفاشستيين فى جميع أنحاء العالم ... » ويؤيد صدق هذا الوصف اشتراك بعض الرجال فى منظمة « اعادة التسليح الخلقى » اشتراكا ايجابيا مثل جنرال كاربنتيه القائد السابق لقوات حلف شمال الاطلنطى البرية وجنرال هوينج تشين أحد كبار قواد تشيانج كاى شيك . وأخيرا قامت بعض الصحف ـ وبعضها صحف غربية ـ تقول بأن ادارة المخابرات المركزية C I A هى التى تمول حركة اعادة التسليح الخلقى .

وعندما بدأ يخبو نفوذ منظمة اعادة التسليح الخلقى ظهرت الرغبة فى ايجاد جهاز جديد يغطى الحلبة الايديولوجية ويسيطر عليها . فكان الجهاز الجديد هو منظمة السلام الامريكية فى عام ١٩٦١ التى أنشأها الرئيس جون كيندى بمعانة صهره سارجنت شريفر ، والاخير هو مليونير جمع ثروته من المضاربة فى الاراضى فى شيكاغو ، ومعروف عنه أنه صديق ومحل ثقة وزميل الرئيس السابق لادارة المخابرات المركزية ألين دالاس وقد عملا معا فى مكتب الخدمات الاستراتيجية (OSS) ـ وهى عبارة عن ادارة المخابرات العسكرية كما عملا فى ادارة المخابرات المركزية C I A .

وسجل حياة شريفر يجعلنا نسخر من تعليمات كيندى الى شريفر ألا يقحم ادارة المخابرات المركزية فى منظمة السلام ، كذلك نسخر من الاعلان الذى ظهر

عن منظمة السلام بأنها منظمة اختيارية فى حين يقوم مكتب البحوث الفيدرالى F B I بالنستر على كل أعضائها .

ومنذ أن قامت هذه المنظمة فى عام ١٩٦١ انكشفت حقيقة أعضاء منظمة السلام وطردوا من كثير من بلاد أفريقيا والشرق الاوسط وآسيا بسبب أعمالهم الثورية السرية ، وقد شكت من نشاطهم أندونيسيا وتنزانيا والفلبين وحتى الدول الموالية للغرب مثل تركيا وايران .

وربما كان أكبر منفذ للحرب السيكولوجية هو وكالة الاستعلامات الامريكية U S I A . وتنفق الولايات المتحدة المبالغ الطائلة وتستخدم الأعداد الضخمة من الرجال والكميات الهائلة من المواد على هذا الجهاز بغرض تحقيق أهداف استعمارها الجديد .

ويعمل فى وكالة الاستعلامات حوالى ١٢٫٠٠٠ شخص ينفقون سنويا أكثر من ١٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار . ويعمل فيها أكثر من سبعين هيئة من هيئات التحرير الخاصة بالمطبوعات التى تنشر فى الخارج ، وتتضمن شبكتها ١١٠ محطة اذاعة ، ستون منها خارج الولايات المتحدة ، وهى تذيع برامج للقارة الافريقية من محطات فى المغرب وأرتريا وليبريا وكريت وبرشلونة وأسبانيا كما تذيع من محطات على ظهر السفن الامريكية . ولأفريقيا وحدها تذيع وكالة الاستعلامات ثلاثين برنامجا تمجد الولايات المتحدة وتحط من شأن الدول ذات السياسة الخارجية المستقلة .

وتفخر وكالة الاستعلامات بأن لها ١٢٠ فرعا فى ١٠٠ دولة منها خمسون فى أفريقيا وحدها ، كما أن لها ٢٥٠ مركزا فى البلاد الاجنبية وملحق بكل مركز مكتبة ، وهى تستخدم ٢٠٠ سينما و ٨٫٠٠٠ جهاز عرض وبكل مكتبة حوالى ٣٠٠ فيلم .

وتدير هذه الوكالة هيئة مركزية تعمل باسم رئيس الولايات المتحدة الذى يقوم بتخطيط وتنسيق نشاطها بالاتصال الوثيق بالبنتاجون وادارة المخابرات المركزية وغيرها من أجهزة الحرب البـاردة التى تضم مراكز مخـابرات القوات المسلحة ٠

وتحاول وكالة الاستعلامات بنشاط أن تمنع أى توسع من جـانب أجهزة الاعلام الوطنية حتى تحتكر الميدان لأفكارها ، وهى تنفق مبالغ ضخمـة لنشر وتوزيع حوالى ستين صحيفة ومجلة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ٠

وتساند الحكومة الامريكية وكالة الاستعلامات الامريكية عن طريق ضغوطها المباشرة على الامم النامية ، وحتى تضمن للوكالة الاحتكار الكامل لعمليات الدعاية تقوم الحكومة بعقد كثير من الاتفاقيات التى تستهدف التعاون الاقتصادى يعطى الامريكيون بمقتضاها الاولوية فى نشر البيانات ، ومحاولة منها فى نفس الوقت لاغلاق باب الدول الجديدة فى وجه المصادر الاخرى للمعلومات تستخدم الحـكومة ضغوطا أخرى ٠

حدث مثلا بعـد أن وافقت كل من توجو والـكونغو (ليوبولدفيـل) على انشاء مراكز استعلامات أمريكية بهما أن فكرتا فى اتباع طريق عـدم الانحياز بأن تسمحا بانشاء مراكز استعلامات روسية ولكن تدخلت واشنطون وهددت بوقف كل معونة ، وأجبرت بذلك الدولتين على نبذ خطتهما ٠

وقد دلت الدراسات التى قام بها محايدون عن وكالة الاستعلامات الامريكية ـ مثل دكتور ر٠ هولت الاستاذ بجامعة برنستون والكولونيل المتقاعد ر٠ فان ـ دى فلد وعملاء المخابرات السابقون مثل موريل داير وويلسون دايزارد وغيرهما ـ على وجود صلات وثيقة بين هذه الوكالة وبين مخابرات الولايات المتحدة ، فمثـلا كان دونالد ويلسون نائب الوكالة عميلا سياسيا من جهاز المخابرات الامريكى ، كما كان جوزيف فيلبس مساعد مدير الوكالة فى أوروبا جاسوسا ناجحا فى عدة دول فى شرق أوروبا ٠

وتكشف بعض واجبات وكالة الاستعلامات الامريكية الاخرى عن حقيقة طبيعتها كجهاز هام للمخابرات في يد الامبريالية الامريكيه .

فأولا : ان المنتظر أن تقوم الوكالة بتحليل الموقف في كل بلد من البلاد وتقدم التوصيات الى السفارة الامريكية - ومن ثم الى الحكومة - بشأن التغيرات التي يمكن أن تحدث حتى يكون الميزان المحلي في جانبها .

ثانيا : تنظم شبكات من المرشدين لاذاعات الراديو والمحادثات التليفونية بينما تجند « مخبرين » من بين موظفي الحكومة ، وكذلك تستأجر أشخاصا لتوزيع الدعاية الامريكية .

ثالثا : تجمع معلومات سرية مع العنايه الخاصة بالمعلومات بالدفاع والاقتصاد كوسيلة للتخلص من منافسيها الدوليين في مجال الاقتصاد والجيش .

رابعا : انها تعرف طريقها الى المطبوعات المحلية للتأثير على سياساتها ، والامثلة على ذلك من أمريكا اللاتينية عديدة ، ولقد أبدت نشاطا ملحاظا في رشوة الشخصيات العامة البارزة في كينيا وتونس مثلا . وأخيرا : فانها تمول وتوجه بل وتمد بالاسلحة كل القوى المناهضة للحياد في الدول النامية مثل تشومبي في الكونغو (ليوبولدفيل) ومثل باك هنج جي في كوريا الجنوبية . وبالاختصار فانها بمواردها المالية غير المحدودة لا تقف عند حد في تدبير الانقلابات .

ومن أحدث التطورات التي جدت على استراتيجية الاستعمار الجديد أخيرا انشاء « منظمة رجال الاعمال Businessmen Corps التي ستزاول عملها كشقيقتها منظمة السلام في البلاد النامية ، وفي مقال كتبه ف. تشيرنفسكي في صحيفة « الشئون الدولية » بموسكو في يناير ١٩٦٥ تحت عنوان « المخابرات الامريكية وشركات الاحتكار » : قال « ليس هناك أدنى ريب في أن هذه المنظمة هي جهاز مخابرات أمريكي جديد أنشىء على غرار الشركات الاحتكارية الامريكية لاستخدام رجال الاعمال في عملية التجسس » .

وليس غريبا على المخابرات الامريكية أن تنشىء شركاتها التجارية لتكون ستارا تختفى خلفه مراكز الجاسوسية ، ويقول تشيرنفسكى مثلا أن ادارة المخابرات المركزية قد أنشأت شركة فى تايوان باسم شركة المقاولات الغربية ، وتحت ستار هذه الشركة ترسل الجواسيس والمخربين الى جنوب الصين ، كذلك هناك شركة آسيا التجارية الجديدة ــ وهى شركة أنشأتها ادارة المخابرات المركزية فى الهند وهى تمويه يختفى خلفه عملاء المخابرات الذين يعملون فى جنوب شرقى آسيا ٠

هذه قائمة بأوجه نشاط أنصار الاستعمار الجديد وطرقهم فى الوقت الحاضر ، وعندما يقرأها ضعاف النفوس يشعرون بضرورة الاستسلام أمام هذه القوة الظاهرة وهذه الموارد التى لا تنفد ٠

وفضلا عن ذلك فان التاريخ لحسن الحظ ملىء بالامثلة التى لا عدد لها والتى تثبت أحد قوانينه الكبرى :

ان المستقبل المتفتح أقوى دائما من الماضى الذابل ، لقد وضح هذا بجلاء فى كل ثورة كبرى قامت خلال التاريخ ٠

لقد ناضلت ثورة ١٧٧٦ الامريكية حتى حققت النصر على عدم الكفاية وسوء الادارة والفساد والانقلابات والمناهضين للثورة ٠ ولقد تكرر نفس الشىء فى كل ثورة قامت بعد ذلك ٠

وكانت الثورة الروسية فى فترة التدخل الاجنبى ــ ١٩١٧ ــ ١٩٢٢ ــ تبدو وكأنها توشك أن تموت ، كما أن الثورة الصينية اضطرت فى وقت من الاوقات الى أن تنسحب من قواعدها وأن تجمع عتادها وأن تبدأ المسيرة الكبرى التى لم يسبق لها مثيل ، ومع ذلك فقد انتصرت ، أما جنود الامبريالية المرتزقة من البيض الذين هبطوا بكل ثقة من سماء ستانلى فيل بعد رحلة جدية من جزيرة

أسنسيون فقد ظنوا أن مهمتهم جد يسيرة ، ومع ذلك فحتى الآن تقــوم قوات الكنغوليين الوطنيين (ليوبولدفيل) بشق طريقها الى الامام ، انهم لا يتحدثون عما اذا كانوا سينتصرون ولكنهم يتحدثون عن متى ينتصرون ٠

وتمدنا آسيا بمثل آخر عن قوة ارادة الشعب لتقرير مصيره ، ففى فيتنام الجنوبية تجرى « حرب خاصة » لوقف تيار التغير الثورى ، و « الحرب الخاصة » هى احدى أفكار جنرال ماكسويل تيلور وامتداد عسكرى لمبدأ جــون فوستر دالاس : فليقاتل الآسيويون الآسيويين . وبالاختصار تقومالدولة الأجنبية بتقديم المال والطائرات والمعدات الحربية بكافة انواعها والقيادة الاستراتيجية والتكتيكية من القائد العام الى المستشارين والضباط ، بينما تقوم قوات الحــكومة بعمليــة القتال نفسها ٠ ولكن بالرغم من الغارات الجوية وبالرغم من زيادة القوة الاجنبية فى المنطقة فان شعب كل من فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية يقدم الدليل على أنه شعب لا يقهر ٠

ونرى فى جهات أخرى من آسيا ، فى كمبوديا ولاوس وأندونيسيا والفلبين الآن وتايلاند وبورما تقف شعوب هذه البلاد التى كانت مستعمرة وتقف بثبات وتكسب المعارك ضد العدو الامبريالى الذى يفوقها قوة ٠ وفى أمريكا اللاتينية بالرغم من الحملات التأديبية الاخيرة فان الثورات المسلحة فى كولمبيا وفنزويلا وغيرهما ماضية فى تأكيد مكاسبها ٠

وهنا فى أفريقيا قاومنا نحن فى غانا كل المجهودات التى بذلتها الامبريالية وأعوانها ٠ ولقد قضت تنزانيا على مؤامرات الانقلاب قبـــل أن تقوم ، وفعلت برازفيل وأوغندة وكينيا نفس الشىء ، وقــد تقف تركة الاســتعمار المثقلــة فى طريق قوى الشعب المنطلقة ولكنها مع ذلك سوف تمضى فى طريقها بقوة لا تلين ٠

وتثبت كل هذه الامثلة بما لا يترك مجالا للشك بأن الاستعمار الجديد ليس علامة لقوة الامبريالية وانما هو آخر لهثاتها ٠

ان الامبريالية تنظر الى الاستقلال على أنه ضرب من الكماليات التى لا تسمح به لشعوبها المستعبدة ولذلك فانها تحاول أو تسعى أن تستعبد ما تعتقد أنه منحة ٠

ومعنى هذا أن الاستعمار الجديد يمكن أن يقهر ولسوف يقهر ، ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك ؟ ٠

تشير طرائق الاستعمار الجديد حتى الآن الى اتجاه واحد ، وهو الاتجـاة القديم الذى طالما استخدمته الطبقات الحاكمة من الاقلية ٠

فرق تسد ٠

ولهذا يكون من الواضح جدا أن الوحدة هى وسيلتنا الاولى للقضـاء على الاستعمار الجديد ٠

اننا نحتاج أول ما نحتاج وبصفة أساسية الى حكومة موحدةفى هـذه القارة الشديدة الانقسام ، والى جانب ذلك نحتاج الى تقوية منظمـة التضـامن الافرو آسيوى ٠ وان روح باندونج لتسير فى طريقها ، ويجب أن نسعى فى أن نضم اليها على أساس أكثر صلابة اخواننا فى أمريكا اللاتينية ٠

وفضلا عن ذلك فان كل هذه القوى التحررية تحظى فى كل مناسبة بتأييد القطاع الاشتراكى ٠

وأخيرا يجب أن نشجع ونستفيد الى أقصى حد من مظاهر معاونة التحرر ومناهضة الاستعمار الموجودة داخل العالم الامبريالى نفسه وهى وان كانت قليلة الآن الا أنها آخذة فى النمو ٠

وحتى نستطيع تنفيذ مثل هذا البرنامج السياسى يجب أن نعتمد جميعا على الخطط الوطنية التى تستهدف تقوية أنفسنا كأمم مستقلة ٠ والشرط الخـارجى

اللازم لمثل هذه التنمية المستقلة هو الحياد وعدم الانحياز السياسى ، وقد عبرنا عن هذه الرغبة فى مؤتمرين للدول غير المنحازة عقدا فى السنوات الاخيرة ، وقد أوضح ثانيهما الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٦٤ بجلاء أنه يتفق وقوى التحرر الناهضة كما يتفق مع الكرامة الانسانية •

والشرط الذى يجب أن يسبق ذلك ـ وهو شرط نتكلم عنه كثيرا ولكن نادرا ما نقوم بتنفيذه ـ هو توفير وضوح الايديولوجية بين جماهير قارتنا المناهضين للاستعمار والمؤيدين للتحرر ، ان هذه الجماهير هى وحدها التى تضع الثورات وتحافظ عليها أو تفسدها •

يجب أن نقوم بأقصى ما يمكننا من سرعة بتحليل الاستعمار الجديد بعبارات واضحة بسيطة حتى تتفهمه الجماهير ، وتقوم بهذه المهمة منظمات الشعوب الافريقية المنطلقة ، وقد بدأ اتحاد نقابات العمال الافريقية AATUF هذه المهمة ولم يتأخر عن حركة الشباب الافريقى ، وحركات النساء والصحفيين والفلاحين وغيرهم ، وسوف تقيم هذه المنظمات مستندة الى الوضوح الايديولوجى الدليل على أن الاستعمار الجديد هو علامة من علامات ضعف الامبريالية وانه يمكن هزيمته ، وبعد كل ذلك سيكون الرجل الصغير المحنى الظهر المستغل الذى يشكو من سوء التغذية ، هذا المقاتل فى سبيل الاستقلال الذى تغطى الدماء جسمه ـ سيكون هو الذى يقرر ، ومما لا شك فيه أنه سوف يقرر الحرية •

كلمة ختامية

لقد حاولت فى المقدمة أن أبسط المشكلة التى تواجه العالم فى الوقت الحاضر ، فقد انتهى الصراع الذى كان قائما بين الاغنياء وبين الفقراء فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين ، هذا الصراع انتهى بحل أو تسوية ٠ فاختفت الرأسمالية كنظام من مناطق واسعة فى العالم ، وقامت الاشتراكية فى الأجزاء الاقل تقدما أكثر منها فى الجهات الاكثر تقدما وفى الحقيقة ان الثورة ضد الرأسمالية نجحت أكثر ما نجحت فى هذه المناطق التى كان الاستعمار الجديد يمارس فيها نشاطه ٠ أما فى الدول المتقدمة صناعيا فبدلا من أن تختفى فيها الرأسمالية فانها زادت قوة ، ولكنها لم تستطع أن تحقق هذه القوة الا عن طريق تضحية مبدأين كانا من مبادىء الرأسمالية الاولى ، ألا وهما اخضاع طبقات العمال داخل الدولة الرأسمالية وابعاد الدولة من أن يكون لها أى دخل فى المشروعات الرأسمالية ٠

وبنبذ هذين المبدأين واحلال مبدأين آخرين محلهما ، وهما رفع مستوى معيشة الطبقة العاملة وتنظيم الدولة للرأسمالية فى الداخل ، نجحت الدول المتقدمة فى أن تصدر مشكلتها الداخلية وتحول الصراع بين الاغنياء والفقراء من المجال القومى الى المجال الدولى ٠

ويجادل ماركس فيقول أن تطور الرأسمالية سوف يسفر عن أزمة داخل الدولة الرأسمالية ، لان الهوة التى بين من يملكون ومن لا يملكون ستزداد اتساعا لدرجة لا يمكن معها تجنب الصدام وسوف تكون الهزيمة من نصيب الرأسمالية ٠

ولم تبطل أساس دعواه الحقيقية بأن الصدام الذى تنبأ به لم يتم فى كل مكان على مستوى قومى بل انتقل بدلا من ذلك الى المستوى العالمى • لقد أجلت الرأسمالية العالمية أزمتها ولكن كان ثمن ذلك تحويلها الى أزمة دولية ولم يعد الخطر المحدود الآن هو خطر قيام حرب أهلية داخل الدولة الواحدة بل أصبح الخطر خطر قيام حرب دولية يثيرها بؤس السواد الاعظم من البشر الذين يزيدون فقرا فى كل يوم •

فاذا ما تحررت أفريقيا اقتصاديا واتحدت سياسيافسوف يجد الاحتكاريون أنفسهم وجها لوجه مع طبقة العمال فى بلادهم وعند ذلك ينشأ صراع جديد تكون نتيجته تصفية كاملة وانهيار تام للامبريالية •

وبنفس الطريقة التى نشأت بها أزمة الرأسمالية الداخلية داخل العالم المتقدم نتيجة لعمل رأس المال القومى الذى لم يمكن السيطرة عليه ، سوف تقوم أزمة أكبر يثيرها فى الوقت الحاضر عمل الرأسمالية الدولية الذى لم يمكن التحكم فيه فى البلاد النامية من هذا العالم ، ولكن قبل أن نتمكن من حل المشكلة يجب على الاقل أن نتفهمها ، ولا يمكن أن نحل المشكلة بادعائنا أن الاستعمار الجديد غير موجود ، كما يجب أن ندرك أن الطرق المستخدمة فى الوقت الحاضر لا ينتظر أن تسفر عن أية نتيجة أكثر من أنها ستجعل الازمة تتفاقم •

وفى عام ١٩٥١ تكلم مستر ترومان ـ رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الوقت فقال : « ان الحرب الوحيدة التى يجب أن نخوضها هى حرب الانسان القديمة ضد أعدائه القدامى •• الفقر والمرض والجوع والامية » • وقد ردد قادة الساسة فى العالم المتقدم نفس هذه المشاعر • ولكن ما زالت الحقيقة الصلدة تقول : ليس بين كل الحروب التى نشبت منذ عام ١٩٥١ حرب ضد الفقر والمرض والجوع والامية • ومهما بلغت ضآلة الحروب الاخرى التى نشبت فهى النوع الوحيد الذى نشب • ونحن لا نستفيد كثيرا اذا ما وصفنا هؤلاء الذين عبروا عن هذه الآراء بعدم الامانة أو الاخلاص •

ان موقف قادة الدول الرأسمالية المتقدمة بالنسبة لشركات الاستعمار الجديد يشبه كثيرا موقف مديرى شركة الهند الشرقية من عميلهم ـ وارين هستنجز ـ الذى تولى عملية نهب الهند نهبا كاملا • وقد كتب ماكولى يصف هذا فقال :

« حقيقة لم يأمر المدربون بارتكاب أى جريمة كما أنهم لم يقروا ارتكابها ، وعلى العكس فان من يدرس الكتابات التى دبجوها فى ذلك الوقت يجدها تفيض بالمشاعر الرقيقة العادلة وبالتعاليم الممتازة ، انها كانت دستورا للاخلاق السياسية تستحق كل اعجاب ، ولكن كان يقلل من شأن كل فضيلة فيها أو يمحوها طلب المال • ونحن لا يمكننا أن نتهم من أرسل هذه الكتابات أو حتى نشك فى أنهم كانوا منافقين ، وربما لأنهم كتبوها وهم على بعد ١٥٫٠٠٠ ميل من المكان الذى يجب أن تنفذ فيه ، فلم يدركوا مقدار التناقض الذى قد يتهمون به • ولكن كان يمكن لضابطهم فى كلكتا أن يدرك بوضوح هذا التناقض •• كان هستنجز يرى أنه كان لزاما عليه أن يتجاهل أحد شيئين : اما مقالاتهم الاخلاقية أو مطالبهم المالية ، وبما أن المفروض عليه أن يعصى مخدوميه فى أحد الامور فانه كان يجب عليه أن يختار المعصية التى تنال عفوهم أكثر من غيرها •

ووصل الى حكم سليم عندما أدرك أن طريق الامان يقتضيه أن يتجاهل المواعظ ويرسل المال » •

وتجد الدول الرأسمالية المتقدمة أنها محتاجة لان تعول نفسها وأن تتحمل عبئا ثقيلا متزايدا تفرضه عليها تكاليف التسلح ومن ثم تشعر بالضرورة الملحة فى أن تحقق الحد الاقصى من الارباح من شركاتها المالية الدولية التى تسيطر عليها، وبالرغم من كثرة المواعظ التى تلقيها الرأسمالية الخاصة بشأن الاسراع فى تحقيق تنمية الاجزاء المتخلفة من هذا العالم ورفع مستوى معيشتها فان من يتولون الاشراف على تنفيذ هذا الاجراء يدركون التناقض بين تحقيق هذا الهدف وبين جمع المال اللازم للانفاق على الحروب وتحقيق رفاهيتهم فى الداخل • انهم يعرفون

أنهم معذورون اذا فشلوا فى رفع مستوى المعيشة على النطاق العالمى ، ويعرفون أنهم لن يحظوا بالصفح أو المغفرة اذا ما خانوا النظام وتسببوا فى أزمة داخل بلادهم قد تؤدى الى هلاك الدولة المتخمة أو عرقلة الاعداد للحرب ٠

ولن يحظى نداؤنا الى الرأسمالية بأن تقضى على هذا النظام الذى يقسم العالم الى أغنياء وفقراء بأكثر مما حظى به نداء مديرى شركة الهند الشرقية الى وارين هستنجر بأن يعمل على اقامة عدالة اجتماعية فى الهند ، فاذا ما وجدت الرأسمالية نفسها ـ كما سبق أن وجد هستنجر نفسه ـ مضطرة الى اختيار أحد طريقين ، فانها ولا شك ستختار طريق الاستغلال ٠

الا توجد وسيلة لتجنب هذا الصراع العالمى الحتمى الذى يسفر عن حرب دولية طبقية ؟٠٠ اننا اذا قبلنا حتمية هذا الصراع فاننا نتنكر لايماننا بالتعايش السلمى أو بسياسة عدم الانحياز التى تمارسها فى الوقت الحاضر دول كثيرة تجاهد للهرب من الاستعمار الجديد ٠

هناك مخرج من هذا ، فأولا ولأول مرة فى التاريخ الانسانى ندرك أن موارد العالم المادية من الضخامة بحيث لايجب أن يكون هناك أغنياء وفقراء ، ولكن ما نفتقر اليه هو التنظيم الذى يقوم بتوزيع هذه الموارد الضخمة ، وقد يفرض الضغط العالمى اعادة التوزيع ، ولكن لايمكن أن يتحقق الضغط العالمى نتيجة نداء مهما كان النداء بليغا ولا يمكن أن يتحقق نتيجة جدال مهما كان الجدال مقنعا ، انه لايتحقق الا بالعمل ، ان الضرورة تحتم اعادة تشكيل العالم بحيث يصبح أولئك الذين كانوا ضحايا النظام القائم بلا حول ولا قوة قادرين فى المستقبل على القيام بضغط مضاد ، ان هذا الضغط المضاد لا يؤدى الى حرب بل على العكس فان غياب هذا الضغط المضاد هو الذى يهدد السلام ٠

ويمكننا أن نجد نظيرا لهذا فى الطرق التى انهت الاستعمار المباشر ، فلم يحدث قط أن منحت دولة امبريالية الاستقلال لاحدى مستعمراتها الا بعد أن

تأكدت بأنه لا سبيل أمامها الا ذلك ، وهناك أمثلة كثيرة لدول نالت استقلالها نتيجة حرب تحرير ولكن هناك أمثلة أخرى كثيرة لاستقلال منح دون حرب . ان تنظيم قوى الاستقلال داخل المستعمرة نفسها كاف لأن يقنع الدولة المستعمرة بأن مقاومة الاستقلال ضرب من المحال أو بأن النتائج السياسية والاقتصادية للحرب الاستعمارية سوف ترجح كفة الفوائد التى يمكن أن تجنيها اذا ما احتفظت بالمستعمرة .

وقد أوضحت فى الفصول الاولى من هذا الكتاب ضرورة الوحدة الافريقية وشرحت كيف يمكن لهذه الوحدة أن تحطم الاستعمار الجديد فى أفريقيا . وبينت فى الفصول التالية قوة الموقف العالمى الذى يتمتع به أولئك الذين يستفيدون من الاستعمار الجديد .

ومع ذلك فان الوحدة الافريقية هى فى متناول شعوب أفريقيا .

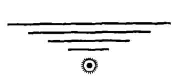
ان الشركات الاجنبية التى تستغل مواردنا رأت منذ مدة طويلة القوة التى تحصل عليها لو أنها نسقت عملها على مستوى القارة الأفريقية كلها . فمن طريق تداخل مناصب الادارة وعن طريق تشابك ملكية الاسهم وبطرق مختلفة أخرى أمكن لهذه الجماعات التى تضم شركات مختلفة فى الظاهر أن تكون هيئة احتكارية رأسمالية ضخمة .

والطريقة المؤثرة الوحيدة التى نستطيع بواسطتها أن نتحدى هذه الامبراطورية الاقتصادية ونستعيد ملكية تراثنا أن نعمل على مستوى القارة الافريقية بأن تكون الحكومة الاتحادية .

ليس هناك من يقول بأن قوى الاستعمار الجديد تستطيع أن تلغى قرارا اتخذته الشعوب الافريقية لتحقيق وحدتها بل على العكس من ذلك فان انصار الاستعمار الجديد عندما يواجهون الموقف الجديد سوف يكيفون أنفسهم طبقا للميزان العالمى الجديد للقوى بنفس الطريقة التى كيف العالم الرأسمالى بها نفسه فى الماضى للتغير الذى طرأ على ميزان القوى .

ان الخطر الذى يهدد السلام العالمى ليس مبعثه عمـــل من يسعون لانهاء الاستعمار الجديد بل مبعثه عدم عمل أولئك الذين يســمحون باستمراره ، ان الدفع بأن فى الامكان تجنب الحرب العالمية الثالثة شيء ، وفرض امـكان تجنبها عن طريق اغماض عيوننا عن تطور الموقف الذى قد يشعلها هو شيء آخر ٠

واذا كان ولابد من منع الحرب فيجب أن تمنع بالعمل الايجابى ٠ وان هذا العمل الايجابى فى يد الشعوب التى تقاسى فى الوقت الحـاضر من الاستعمـار الجديد ، ولكنه لا يكون فى يدها الا اذا هبت للعمل فى الحـال معتصمة بالارادة وبالوحدة ٠



الفهـــــرست

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع

الفصل السادس عشر :

الفصل السابع عشر :

الفصل الثامن عشر :

الموضـــوع

الفصل السابع :

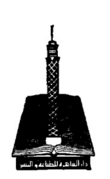
امبراطورية أوبنهيمر

الفصل الثامن

الاستثمارات الأ

الفصل اا

الث



الثمن ٢٥ قرشا .